

فى بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب

بقلم

علامة عصره ووحيد دهره

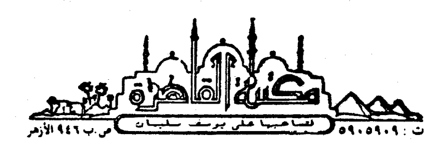
الشيخ عبد ربه بن سليمان بن محمد بن سليمان

« الشهير بالقليوبى »

أحد علماء الأزهر الأعلام ، الخادم للسنة المطهرة
الذى تنتهى اليه اسانيد السنة جمعاء فى هذا العصر
والذى لم يسبقه احد فى شرح جامع الأصول لأحاديث
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لابن الأثير

الجزء السادس

سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م



ت : ٥٩٠٥٩٠٩ ص.ب ٩٤٦ الأزهر

بالصنادقية - ميدان الأزهر الشريف - مصر

الباب الثاني عشر

في تحقيق ليلة النصف من شعبان وأنها سنة والإجماع عليها وفيه فصول

الفصل الأول

وفيه كيف أبدع الله تعالى الكائنات على حالتين لمقتضى كمال ذاته وحكمته العالية في كل شيء وخاصة في دينه القويم الذى أبان فيه تعالى لعباده العقلاء أنه الحق وماعداه ضلالة ، وأبان تعالى أن ، من كان من أهل الحق فإنه يؤلف ويشرح ويوعظ ويرشد وبه يقول ولا يحيد عنه ، ومن كان من المسلمين من أهل الضلالة فإنه يؤلف ويكتب ويوعظ ويرشد وبه يقول ويميل ويهوى حسب الدرهم والدينار ويتأول معانى الآيات والسنة على حسب هواه فنسأله تعالى العفو والعافية والسلامة فنقول :

فسبحانك اللهم وبحمدك يامن أبدعت الكائنات على وفق إرادتك ، وجعلتهم على حالتين يبدع صنعتك فكانا أجل بيان على عظيم قدرتك فسبحانك حيث قلت وقولك الحق (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ففي هذه الآية الكريمة أكبر دلالة على إبداعه الموجودات على حالتين لوجود الزوجية فيهما ليفهم العاقل أن المبدع يجب أن يكون واحداً لا ثانى له فسبحانه لا نحصى ثناءاً عليه قال تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها وإليه ترجعون) وقال تعالى (وكنتم أزواجاً ثلاثة) كيف لاوقد أبدع الدنيا والآخرة فى آن واحد وجعل الدنيا على حالتين الخير والشر ، والآخرة على حالتين الجنة والنار ، وفى كل منهما على حالتين وماجعل فى الدنيا مما نصبه دلائل لابن آدم ليعرف به ومنه خالقهما وخالقه ليعبده ويوحده ولا يحيد عن طاعته ويعرف أنه عبد لله تعالى مخلوق له كالنبات والجماد والحيوان وكل شيء فلا ينصرف عن عبادته وطاعته وأنه عبد مخلوق لله تعالى يتصف بالعبودية ويعرف أنه عبد والواجب على كل عبد أن يكون مطيعا لسيده وليسمع أوامره ويجتنب نواهيه نسأله تعالى التوفيق .

نقول ليس الغرض من قوله تعالى ومن كل خلقنا زوجين الذكر والأنثى فى جميع الحيوانات والطيور والدواب والحشرات والهوام فحسب ، بل مما خلق لابن آدم من الزمان والمكان ولا من الجهات الست لا غير بل المراد بالزمان الليل والنهار والنور والظلمة والجهات الست أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت وفى المثل . فصرت

أضرب أخماساً لأسداس وفى هذه المناسبة السموات السبع والأرضين السبع والبر والبحر واليابس والرطب وأهل البر يعيش فى كل بر ولو أدخل البحر لهلك وأهل البحر يعيش فى البحر ولو أخرج منه لهلك وهاهو جبريل عليه السلام لما انتهى مع النبى اللهم صلى وسلم وبارك عليه فى العروج إلى سدرة المنتهى قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلى هنا المقام يامحمد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أو حبيب يفارق حبيبه فقال جبريل عليه السلام لو جاوزت لاحترقت بالأنوار الربانية ، لتعرف حق الأنوار على زوجين ولا تعجب يا أخى فاسأل العلماء قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وكيف جبريل عليه السلام المخلوق من النور الإلهى يخشى الهلاك لو انتقل من نهاية سدرة المنتهى وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الآدمى البشرى يجتاز الأنوار ويوكل الله تعالى بحضرته ملكين يصحبانه إلى ما فوق العرش وهكذا كل ما فى الوجود لا تراه إلا على زوجين وفى الفرد الواحد كذلك على زوجين إذ كل فرد من أنواع الموجودات إلا على زوجين وأهم كل ذلك أن الفرد الموجود شىء وذلك الشىء ذراته بيد الله تبارك وتعالى قال عز من قائل (بيده ملكوت كل شىء) وعندنا الشىء هو الموجود فتجد الذرة بقدرة الله مخلوقة ومحفوظة فتجد ذاتها تؤدى جميع ما خلقت لأجله لا تتأخر وصلتها بخالقها التى بها حياتها لتؤدى جميع ما خلقت لأجله من حيوان ونبات وجماد فإذا نظرت إلى هذا التكوين الإلهى تجد كل شىء على زوجين فجل الصانع المبدع وقد فسر بعض الأفاضل فى قوله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) قال كل شىء يقبل الهلاك وينعدم إلا الجهة المتصلة بخالقها فإنها لا تهلك ولا تنعدم لأن بها وعليها الحساب فى الآخرة فإن لم تعتبر الزوجين إلا المخلوق وخالقه لكفى سواء كان من وجوده وروحه أو صلته بخالقه عز وجل ، هذا وإذا نظرت إلى هذا الفرد الذى تراه وأنعمت النظر فى تركيب جسمه فلا ترى إلا شيئا واحداً ولكنها أعضاء ركبها القادر بقدرته وما نهاية كل عضو إلا مفاصل وكل مفصل منه على زوجين مصداق قول الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى (كل سلامى من الناس عليه صدقه وكل يوم تطلع فيه الشمس عليه صدقه) الحديث وهكذا كل ما أبدع الإله القادر من السر والجهر والعطف والغضب والنعم ظاهرة وباطنة والفواحش ما ظهر منها وما بطن وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الله تعالى أبدع الوجود على المقابلة والمماثلة وهما زوجان أيضا بل فى كل فرد منهما زوجين إذ بالمقابلة يحصل التضاد العداوة ككون

فوق يقابل تحت ويمين يقابل شمال وأمام يقابل خلف وهكذا فلا تستطيع أن تقول فوق تحت فى آن واحد بل فوق يقابله فوق وتحت يقابله تحت . أو أبيض وأسود مثلا فلا يقال أبيض أسود بل يقال أبيض وأبيض أو أسود وأسود . وإن تشأ فقل خلق الله تعالى الوجود على المقابلة والمماثلة بأن تجعل كل متقابلين يستويان بالضرورة على حالتهما التى اقتضت حكمة الحكيم العليم أن يكونا عليها كالشقاء والفساد والضلال مثلا فكل واحد منهما يماثل ماعليه صاحبه فيألفه ويصاحبه ويعاشره ويستأنس به ويتخذه خليلا له ولو حاولت أن تخرجه وتفصله عنه فلا تستطيع قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) وكذا كل مؤمن لمؤمن بينهما المماثلة فهم على وفاق تام تحصل بينهما الموافقة التامة فى الدنيا والآخرة صدق الله تعالى حيث قال (إنما المؤمنون إخوة) ولو كان هناك شىء أرق وأحن وأعطف من الحنان لعبر به تعالى وصدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال (مثل اليدين مثل الأخوين تغسل إحداهما الأخرى) وقال : (المؤمن للمؤمن كالبنيان) فسبحان من ألف بين قلوب عباده فتجد الموفقان مؤتلفان فى الخير دائماً ولا يتنازعان فيه .

فسبحان من وضع الأشياء موضعها   وفرق العز والإذلال تفريقـا

(ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) فمن وفقه الله تعالى دائماً يدأب على الخير ويبحث فيه ولا يحيد عنه ومن وفقه للشر دائماً يبحث فيه ولا يحيد عنه والشيطان عده فى الغى إذ المكون للانسان هو الله تعالى وقد جعله على حالتين فمن نشأه الله على البحث فى الهداية والتقوى وفقه الله تعالى وأمده ومن نشأه على البحث فى الضلالة والغواية وفقه وأمده قال تعالى (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وهذا فى العقائد أيضاً على زوجين قال تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) وقال تعالى : (وهديناه النجدين) فمن شاء الله تعالى له السعادة أزلا وفقه لعمل الخير والسعادة فهو لا يحيد عنها ولا ينصرف منها ودائماً تجده داعيا للخير ويعمل به ويراه مذهباً له ومذهب أهل الحق ، ومن شاء الله تعالى شقوته أزلا فلا يفكر ولا يبحث إلا على المخالف النافى

عن أهل الحق ويراه له مذهبا ويتلمس له أدلة وخاصة إذا رأى أحدا من أهل الضلالة السابقين له موافقاً له فى الخواطر الشيطانية يدلل له وله ويقول هذا هو إجماع الأمة ومن هذه الأمة ؟ أهو وأمثاله من أهل الانحراف والإنصراف عن الحق قال تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال فانى تصرفون) .

ولا يخفى عليك أن القرآن المجيد أيضاً على زوجين فيه دلالة الضالين ودلالة المهذبين قال تعالى بعد الآيات التى قدمنا (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محذورا) ولقد قال سبحانه وتعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) فالتأويل فى القرآن رجاء الفتنة من قديم وقد أبان الله سبحانه وتعالى أن أهل الحق هم عليه لا يوجد بينهم خلاف إلى يوم القيامة ومنشأ الخلاف والضلال من أهل الخلاف الذين أبانهم سيد العالمين الذى لاينطق عن الهوى فى قوله الشريف (سألت ربى أن لاتجتمع أمتى على الضلالة فأعطانيها) وفى قوله الشريف (يد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار) وفى قوله الشريف (يد الله مع الجماعة ومن فارق الجماعة قيد شعرة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) وفى رواية (قيد شبر) ، ثم إن الله تبارك وتعالى قال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ثم إن المراد بالأمة السواد الأعظم من المسلمين الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب أم الفرق الضالة الخارجة عن إجماع المسلمين فنرجو من يفرق ويتعقل ويميز من هؤلاء فيا أيها العاقل فكر وتعقل فى قول الخالق عز وجل (كنتم خير أمة أخرجت للناس) هل المراد بخير أمة السواد الأعظم من المسلمين أم الفرق والجماعات التى شذت وخرجت عن إجماع المسلمين وعلى كل حال فلا يحكم العاقل إلا وهم من الفرق التى خرجت عن إجماع المسلمين المبينة فى قول سيد العالمين اللهم صلى وسلم وبارك عليه (افترقت المجوس إلى سبعين فرقة وافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قالوا ما هى يا رسول الله قال الجماعة وفى رواية قالوا ما هى يا رسول الله قال السواد الأعظم من المسلمين وفى رواية قالوا ما هى يا رسول الله قال ما عليه أنا وأصحابى) الحديث .

فيا أخا العقل ماذا تصنع إلا أن نحمد الله تعالى على أن أوجدنا فى زمان جعل فيه سبحانه وتعالى أضعف الناس إيمانا العلماء الذين تخرجوا من الأزهر فى سنة ١٩٢٩ ميلادية خرجوا على الخروج على إجماع المسلمين واتبعوا سنن المخالفين من قبلهم ونهجوا على منوالهم فلا يسعنا إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ويا ليتهم اقتصر بهم الأمر على ليلة النصف من شعبان أو الإسراء أو المعراج أو المولد الشريف . أو المحمل أو موالد الأولياء والذبائح التى تذبح للأولياء أو زيارة سيد العالمين أو الصالحين بعد الموت أو التوسل أو معامل الخيرمن أهل الخير فى الخير بل تعدى بهم الأمر فى الاعتراض على الله تعالى فى كلامه العزيز وبيان سيد العالمين وسنوردهم لك واحدا واحدا وخاصة الذين يكتبون فى منبر الشرق ولا بأس بذكر بعضهم هنا وإن كنا سنذكرهم بعدومصدرهم الذى بنوا عليه دعواهم الباطلة وأكاذيبهم العاطلة كالغزالى الذى قال على منبر الأزهر من مدخل الحسين فكأنما زار صنما فقيل له الرئيس زاره فقال هذا رأيى وينكر المولد وليلة النصف من شعبان وسيد سابق الذى قال من يترك الصلاة مدة كالكافر لا يعيدها وسنذكر أدلتهم ونحوها كعبد الجليل عيسى الذى يذكر خلاف الأئمة المبنى على بيان سيد العالمين العام لجميع المسلمين وقد بيناه سابقا بعد ذكرنا للأئمة ووجه من يدعى أن بين الأئمة خلافا فى الأحكام موفى والحمد لله وياليت اعتراضهم على الأئمة فحسب بل اعتراضهم على سيد العالمين الذى قال الله تعالى فيه (وما ينطق عن الهوى) بل إن تشأ فقل اعتراضهم على الله تعالى كعبد اللطيف السبكى الذى يقول فى شأن سيدنا إدريس عليه السلام أنه رسول من ضمن رسل الله عز وجل عليهم الصلاة والتسليم ، الله تعالى يقول فى كتابه العزيز الحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (واذكر فى الكتاب إدريس أنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) الله تعالى يقول لعباده المؤمنين على لسان سيد العالمين فى قصص الأنبياء المرسلين أن إدريس عليه السلام كان نبيا وعبداللطيف السبكى يقول كان رسولا ويأتى من هنيهاته ويدلل ليرد على الله تعالى القول المحكم الصريح وسيأتى فى قولنا لعبد الجليل عيسى فى قوله المعراج كان بالروح فقط ويقول كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجتهد ويخطىء وكم لهم من الأقوال المخالفة لإجماع المسلمين . وها هو شيخ الأزهر حسن مأمون كان له درسا فى الأزهر فى شهر رمضان سنة ١٣٨٥ هجرية وقد سأله سائل كم تصلى صلاة التراويح فى رمضان فأجاب السائل

بقوله ثمانى ركعات وأخبرت بذلك قبل أن يقوم من درسه فاستقبلته وهو خارج من الأزهر وأنا فى درسى قائلا له وأسمعته بصوتى الجهور من يقل إن صلاة التراويح ثمانى ركعات فهو جاهل وحمار ولم ير العلم طول حياته بل ضال مضل خارج عن إجماع المسلمين بنص الكتاب والسنة والإجماع بل هو أعمى البصر والبصيرة ولم يفقه ولم ينقه بل هو إمعة ينقاد حيث يقاد وهكذا حال كل ضال يخالف إجماع المسلمين على رأى المثل خالف تعرف ولما رجعت لمنزلى بعد المغرب لمت نفسى وأنبتها أنا اعتديت على المراغى ولم يرجع وعلى عبد المجيد سليم ولم يرجع وعلى شلتوت أساس الفساد فى متخرجى الأزهر الآن بل مسحت به الأرض ولم يرجع فأنت ياعبد ربه بذى اللسان وماهكذا يكون مع شيوخ الأزهر ولمت نفسى لوما شديداً وعزمت لا أعود إلى ذلك ثانية ولما أصبحت وتوجهت للدرس وقلت للناس ياناس أنا صائم وأحمل على شيخ الأزهر هذه الحملة الشعواء أنا لا حق لى فى ذلك فقال الناس لعنك له وشتمك فيه حمله على أن قال فى الإذاعة ونشرت فى الجرائد أن صلاة التراويح عشرين ركعة من الصدر الأول صدر الصحابة وذكر الناس له حديثاً لم أره ولم أستمع بهذا الحديث إلا ممن نقله عنه وهو قوله قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عليكم بسنة عمر بن الخطاب) فقلت الحمد لله الذى هداه للحق وصرفه عن الضلال وسررت .

لعلك قد عرفت أن العلماء أيضا على زوجين قسم تبع الحق ويعمل به ويدعو إليه ولا يحيد عنه أبدا وقسم يتبع الضلال ويعمل به ويدعو إليه ولا يحيد عنه أبداً هكذا سنة ربك تبارك وتعالى قال عز وجل (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم وآتاهم تقواهم) وقال تعالى (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) ولما كان سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد أبان لعباده أن مصدر الأشياء التى لا تصدر إلا منه وعنه سبحانه قال تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) والقرآن الكريم فيه أدلة الاثنين نسأله التوفيق لما يرضاه .

الفصل الثانى

فى تحقيق ليلة النصف من شعبان والإجماع عليها ببيان الكتاب العزيز والسنة المطهرة وبيان الفرق بينها وبين ليلة القدر الذى ارتبكت فيه عقول الضالين .

اعلم نور الله تعالى بصائرنا لندرك الحقائق على وضعها الإلهى الذى يريده لعباده الصالحين.
أن أهل التفسير الذين وفقهم الله تعالى لعباده لينيروا لنا معنى كلام الله سبحانه وتعالى
فيذكروا لنا الحق المراد لله تعالى المبين من كلام سيد العالمين أو ما عليه إجماع المسلمين
أو بحسب اللغة العربية التى جاء بها الكتاب العزيز ويذكرون ضده المعارض له أيضا
ويكون الأمر فيه إلى القارىء الكريم الذى يميز بين الحق والباطل ولذا تجد
الضال يدع الحق ولا يأخذ إلا برأى المخالف ليضلل به بين البرآء من المسلمين ويقول
هذا هو المراد من الآية الكريمة وخاصة فى الآيات الخاصة بالمواسم التى يعمل أهل
الخير كليلة النصف أو الموالد التى تعمل طول السنة وإليك بعض آيات التى خالف فيها
أهل الضلال كقوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) آيتان فى القرآن الكريم تجد
الضال يترك كل معانى الآيتين ولا يتمسك إلا بالبشرية وينكر على كل من قال
(نور) ولم يفتح عليه بشىء غير ذلك كابن تيمية وابن عبد الوهاب وحامد الفقى ومن
على منوالهم . الله تعالى يرد على المنكرين لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى رسالته
فهو سبحانه وتعالى يقول لحضرته قل إنما أنا بشر مثلكم وآتى بعالم تستطعه الأوائل
وأنتم بشر مثلى هل يستطيع أحد منكم أن يأتى بمثل ما جئت به أو أنكم تعلمون
بأن الرسل كان يأتيهم الوحى رجل يكلمهم ويكلمونه ولكنى يأتينى الوحى وهو نور
فيدخل فى النور وهل لبشر جاءه الوحى بمثل ما جاءنى أو البشرية ليقابل بها البشرية
من الآدميين فلست أدرى كيف عماهم الله تعالى عن قوله عز وجل (قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين) جرت عادة الله تعالى أن يذكر كل رسول من مبدأه لنهايته
وكيف لا يذكر سيد العالمين من مبدأه لنهايته فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
فقال العلامة الألوسى النور هو حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم والكتاب هو حضرته
صلى الله تعالى عليه وسلم خطه البارى على صحائف الإمكان فيه أبدع ما يكون وما كان
بدليل عواد الضمير عليهما مفردا وفى قوله تعالى (وما ذبح على النصب) يتمسك
الضال أى ما ذبح على الصنم مع أن النصب الحجر الذى كان يذبح عليه للأصنام يقول
الضال وكذلك أيضا كل ما يذبح باسم الولى مثل الذى يذبح للصنم قلنا لهم فيما مضى
والذى ذبحه سيدنا إبراهيم لأضيافه كان كذبحه للصنم لأنه لغير الله تعالى وكذلك كل
ما يذبح للضيوف أو للتوسعة . قاتلهم الله أنى يؤفكون فأنت إذا نظرت إلى شأنهم
فلا يتمسكون إلا بالمخالف كشأن اليهود والنصارى والمشركين الذين كانوا يعترضون

القرآن عند نزوله كحيي بن أخطب لما أنزل الله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) قال اليهود يعبدون عزيرا والنصارى يعبدون المسيح والمشركون يعبدون الأصنام فلنا بهم أسوة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (ما أجهلك بلغة قومك) فهم كهم في أتباعهم المخالف ضد المسلمين الذين يفعلون الخير في كل المواسم الخيرية والله تعالى يقول (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) فقد حث الله سبحانه وتعالى في جميع كتابه العزيز على فعل الخير وخاصة إذا كان يتناول المواساة للفقراء كالموالد كما بينا سابقا وهاهو الضال الأول الذى أخذ بحديث الإسراء الذى يرويه البخاري وجميع كتب السنة الصحاح مناما بنى عليه الضال الأول بأن المعراج والإسراء كان مناما ونسج على منواله كل ضال مثله وما الحديث إلا كان بالمدينة المنورة والإسراء والمعراج كان قبل الهجرة ولنوافق الضال أنه كان قبل الهجرة فيكون إذاً تطمينا لحضرته لما سيواجهه يقظة كما حصل لسيدنا موسى في العصى في الجبل والسيدة مريم من كلام سيدنا عيسى لها حين نزوله من بطنها فهو تدريج لهم عند الحاجة يظهرون الأمر الخارق للعادة ليكون قوة لهم في دعواهم الصدق

وإن تعجب فعجب قولهم المخالف لما في الكتاب والسنة من أن كل من مات من الآدميين انتهت حياته كعقيدة اليهود والنصارى أو لم تر إلى قول الغزالي في افتتاح مولد سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه إنما الاحتفالات تعمل للأحياء في نظر الضالين أن من مات من الآدميين انتهت حياته ولم ينظروا إلى قوله سبحانه وتعالى في حق اليهود والنصارى والمشركين وكل من يعتقد أن مع الله إلها آخر وظلموا أنفسهم بالكفر أبان لنا سبحانه وتعالى أنهم أحياء في قبورهم أحيى من الحياة الدنيا . وألفت رسالة في حياة ابن آدم في قبره وأنه إذا مات رقى في الحياة فكان أحيى من حياة الدنيا بصريح الكتاب العزيز وبيان السنة المطهرة فهؤلاء أجهل الناس بأمور دينهم نسأل الله تعالى العفو والعافية .

ولذلك أدلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة على أن ليلة النصف من شعبان هى غير ليلة القدر بما وصف تعالى إحداهما بأوصاف تغاير الأخرى قال العلامة الكشاف في تفسيره الذى هو حجة الإمام الفخر الرازى في تفسيره وأجمع الأئمة على

أن لا يقال لأحد من المفسرين إماما إلا الفخر وأيضا هو حجة المحدث العلامة القرطبي في تفسيره . فالكل يأخذون عنه لصحة نقله وسنده وأحجيته في اللغة . قال رضي الله تعالى عنه قال الله تعالى (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) الواو في (والكتاب) واو القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وقوله (إنا أنزلناه) جواب القسم (والكتاب المبين) القرآن و(إنا أنزلناه في ليلة مباركة) والليلة المباركة قيل ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان : ثم علق رضي الله تعالى عنه على ليلة النصف من شعبان وبيان وصفها من المخالفة لليلة القدر بقوله ولها أربعة أسماء . الليلة المباركة : وليلة البراءة . وليلة الصك . وليلة الرحمة . وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة . وقيل تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب له البراءة كذلك الله عزوجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة . وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم . وفضيلة العبادة فيها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله عليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان . ونزول الرحمة . قال عليه الصلاة والسلام (إن الله يرحم أمتي في هذه الله بعدد شعر أغنام بني كلب . وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام (إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا . وما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه (سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير) ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة : فيا أيها القارىء الكريم قل للمخالف هل وصف الله عز وجل ليلة القدر بشيء من هذه . على أن ليلة القدر ليس فيها إلا ثلاثة أوصاف . ليلة القدر خير من عبادة ألف شهر لمن وفق لها . وتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل ما يحتاج إليه العباد في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم . وهي سلام حتى مطلع الفجر . وقد اغتر الضال بأن القرآن لم يبدء نزوله إلا في ليلة القدر وهي لا تكون إلا في شهر رمضان . نعم ولكن

لانرجع فيه إلالبيان حضرة من أسندالله تعالى إليه البيان والتبيين . قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس) الآية وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) الآية إذاً فقد وجب على كل عاقل يريد بيان الحق فى الدين أن يرجع إلى بيان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فكان لزاما علينا أن نرجع إلى بيانه الشريف ولا نشط ونذهب إلى المخالفة . هاهو العلامة الألوسى فى تفسيره الجزء الثامن ص ٣٨ نزل القرآن جملة واحدة من أم الكتاب إلى اللوح المحفوظ وأول مانزل منه قوله تعالى (إقرأ) الخمس الآيات وكانت فى ليلة القدر فى شهر رمضان وبينته السنة كما أنزل سبحانه وتعالى حقيقة تكوينه لآدم من أم الكتاب إلى اللوح المحفوظ ليلة النصف من شعبان وما يكون من بنيه من المخالفة حتى قالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها) فقال تعالى لهم (إنى أعلم مالا تعلمون) فاقتضت الحكمة الإلهية إنزال مايبرمه فى السنة فى ليلة النصف من شعبان ثم ينفذ طوال السنة على مقتضى إرادته سبحانه وتعالى والسنة المطهرة تكفلت ببيان ذلك والعجزة عنها يتبعون آراء المخالفين لإجماع المسلمين أولهم . ابن تيمية ومن على مبادئه وفى هذا العصر ظهر كل مخالف على هذا المبدء بإنكارهم ليلة النصف من شعبان . والمعراج ، والموالد . وكل ما فيه موسم وفعل خير للمسلمين ومن مهام ما احتج به الأفاضل من هذه الأمة التى عصمها الله تعالى أن لا تجتمع على الضلالة بقول الله تعالى وبدعوة نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم . من أنها ليلة النصف من شعبان لتميزها عن ليلة القدر بست خصال الأولى ، قال تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) والثانية أنها ليلة العبادة لقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها . ثالثها : نزول الرحمة فيها بصريح القرآن . ورابعها : حصول المغفرة فيها لورود السنة بذلك . خامسها : أنه تعالى أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة فى أمته ليلة النصف من شعبان . وسادسها : أن القبلة تحولت ليلة النصف من شعبان لما فى ذلك مرضاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وما أجمع المفسرون إلا على مارواه عكرمة . أن ليلة النصف من شعبان . يبرم فيها أمر السنة ونسخ الأحياء من الأموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم . قال : أخبرنا عبد الواحد الميجى أنبأنا أبو منصور السمعانى حدثنا جعفر الريانى حدثنا حميد ابن زنجويه حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى عقيل عن بن شهاب أخبرنى

عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله صلى عليه وسلم قال (تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى) . وروى أبو الضحى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن الله يقضى الأقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فيها . هذا كلام أهل التفسير فى تحقيق ليلة النصف من شعبان وليلة القدر لم يكن فيها إلا ثلاث أوصاف كما قدمنا .

وأما أدلة السنة المطهرة هى التى قد أسند الله تعالى إلى حضرته البيان والتبيين كما قدمنا . وإنه يجب عليك أيها القارىء الكريم أن تعتقد أن لله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين لعباده فيما هو مرغوب فيه لينالوا به الأجر والثواب العظيم ليكون العمل به من بيان قوله سبحانه (لا يزال عبدى) الأحاديث القدسية وإن كان حضرته صلى الله عليه وسلم لم يجهر به لأنه ليس بفرض ولا يرغب فيه كل محب لله تعالى ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ولما انتقل صلى الله تعالى عليه وسلم من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة . وفق الله تعالى من شاء من عباده بأن جمعوا من صدور الصحابة الذين جعل سبحانه صدورهم أحفظ من ضبط الدفاتر . فجمعوا ما كان يحدثهم به صلى الله تعالى عليه وسلم من المبدء فى الوجود إلى المعاد ومن أمور الدين والدنيا والآخرة إلا جمعوه جمعاً متقنا وحافظوا عليه كالقرآن فى التحديث والجمع والإتقان وكان من مهام ما جمعوه ما كان مختصا ببيانه ومعرفة فضله لعباد الله تعالى كالليالى التى خص الله تعالى بها هذه الأمة إكراما لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم الليالى التى أجمع علماء الأمة من مواسم الخير والبركة كليلة النصف من شعبان . منها ما أخرجه الترمذى (وكفانا بالترمذى الذى ثبتت مشيخته للبخارى . وابن أبى شيبة . والبيهقى . وابن ماجه . عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرجت أطلبه فإذا هو بالبقيع رافعا رأسه إلى السماء فلما رجعنا قال : ياعائشة أكنت تخافين أن يحيف الله تعالى عليك ورسوله . قلت مابى من ذلك . ولكنى ظننت أنك أتيت بعض نسائك . فقال إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بنى كلب . قال الألوسى فى تفسيره الجزء الثامن . ص ٣٨ طبع بولاق . قال ذكر أفاضل الأمة فى ذكر فضل هذه الليلة أخباراً كثيرة . منها ما أخرجه ابن ماجه .

والبيهقي . في شعب الإيمان . عن علي كرم الله تعالى وجهه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذ كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلى فأعافيه ، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر ا هـ وما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يطلع الله تعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن وقاتل نفس ا هـ . وأخرج بن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم من طريق محمد بن سوقه عن عكرمة أنه قال . الآية في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وفي كثير من الأخبار الاقتصار على قطع الآجال ا هـ . وأخرج الدينوري في المجالسة . عن راشد بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (في ليلة النصف من شعبان يوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة ا هـ . ونحوه في الباب كثير . ومعنى ينزل ربنا) أي أمر ربنا

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزلت الزبور لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثماني عشرة وأما القرآن فإنما نزل جملة واحدة من أم الكتاب إلى بيت العزة في ليلة النصف من شعبان ثم نزل بعده مفرقا بحسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وأخرج الخطيب في رواية مالك رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . يفتح الله الخير في أربع ليال : ليلة الأضحى والفطر وليلة النصف من شعبان ينسخ فيها الآجال والأرزاق ويكتب فيها الحاج وفي ليلة عرفة . إلى الآذان ا هـ وأخرج الخطيب ، وابن النجار ، والبخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان كله حتى يصله برمضان ولم يكن يصوم شهراً تاما . إلا شعبان . فقلت : يا رسول الله إن شعبان لمن أحب الشهور إليك أن تصومه . فقال نعم يا عائشة . إنه ليس نفس تموت

فى سنة إلا كتب أجلها فى شعبان فأحب أن يكتب أجلى وأنا فى عبادة ربى وعمل صالح اهـ وروى أن عطية الحرورى سأل ابن عباس عن قوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) كيف يصح ذلك مع أن الله تعالى أنزل القرآن فى جميع الشهور ، فقال ابن عباس : يا ابن الأسود لو هلكت أنا ووقع فى نفسك هذا ولم تجد جوابه ، لهلكت ، نزل القرآن جملة واحدة من أم الكتاب إلى اللوح المحفوظ فى السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك فى أنواع الوقائع حالا فحالا اهـ وقال قتادة وابن زيد : أنزل القرآن ليلة النصف من شعبان من أم الكتاب إلى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر فى رمضان نحو مافى عشرين سنة . اهـ وروى الحافظ أبو نعيم عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أربع ليال لياليهن كأيامهن وأيامهن كلياليهن ، يبر الله فيهن القسم ويعتق فيهن النسم ، ويعطى فيهن الجزيل ، ليلة النصف من شعبان وصباحها . وليلة القدر وصباحها ، وليلة عرفة وصباحها ، وليلة الجمعة وصباحها) وروى أبو نعيم الحافظ أيضا بسنده . عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل يلحظ إلى الكعبة فى كل عام لحظة فعند ذلك تحن قلوب المؤمنين إليها) قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : ونرى أن تلك اللحظة فى ليلة النصف من شعبان . وروى عبد الرزاق بن عمر . وابن ماجه من قوله صلى الله عليه وسلم : إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله عز وجل ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر فأغفر له : ألا مسترزق فأرزقه : حتى يطلع الفجر) وروى الإمام أحمد فى مسنده مرسلا (إن الله عز وجل يطلع ليلة النصف من شعبان إلى العباد فيغفر لأهل الأرض إلا رجلين مشركا أو مشاحنا) وروى الإمام أحمد أيضاً فى مسنده من حديث ابن لهيعه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يطلع الله تبارك وتعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين . مشاحن . وقاتل نفس) وروى الدارقطنى فى كتابه السنن وغيره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل يطلع إلى عباده فى كل ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويملى للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه) وروى الدينورى فى المجالسه عن راشد بن سعيد عن عائشة رضى الله عنها قالت . قال رسول الله صلى عليه وسلم (اتانى

جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله عز وجل فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب لا ينظر الله عز وجل فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى إلى قاطع رحم ولا إلى مسبل ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر . قالت ثم وضع عنه ثوبيه وقال ، عائشة تأذنين لى فى قيام هذه الليلة . قلت نعم بأبى أنت وأمى فقام فسجد طويلا حتى ظننت أنه قد قبض فقمت ألتمسه ووضعت يدى على باطن قدميه فتحرك ففرحت وسمعته يقول فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . فلما أصبح ذكرتهن له . فقال ياعائشة تعلميهن وعلميهن وأمرنى أن أرددهن فى السجود)

أدلة أهل الإجماع على ما يعمل فى ليالى المواسم التى كان يحييها صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مختصا بها ورويت عن حضرته فى صحيح السنه وأمر بالعمل بها فنقول بعد أن روى أصحاب السنة المطهرة وبين فيها خصائص حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم لجمع الكثير من أفاضل الصحابة الذين رووا الأحاديث عن حضرته فى إنشاء ما كان يعمله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر الأمة بالعمل به لأنه كيف يروى الحديث ولا يعمل به . وخاصة فى ليالى التجليات التى يتجلى الله سبحانه وتعالى على عباده فيها مع قيام حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله سبحانه وتعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) ومن أهمها ليلة النصف من شعبان وليلة الإسراء والمعراج . وليلة القدر . وليلة عاشوراء وليلتى العيدين . والليالى العشر . فقد وفق الله تعالى الكثير من العلماء العاملين بتخصيص كتب جمعها أهلها كل عما تيسر له من الجمع وبيان ما جاء فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة ودونوا دواوينهم وأحكموا مادونوه من الأدلة ولا داعى بأن نطيل بذكر أسمائها . فأنت ترى أهل الحق يهتدون بهديها ويصدقون بما جاء فيها ويعملون بما عمل به أهل الإجماع وترى أهل الضلالة لا يصدقون ولا يعملون حسداً وبعداً عن الحق وأهله . وذلك لأنهما نشأ إلا على الضلالة وكسلامنه وخمولا. فمن بعد الصحابة شمر أهل السعادة عن ساعد الجد والإجتهاد كبار التابعين منهم السيد الحسن البصرى . وسعيد بن المسيب ويحى بن أكثم وغيرهم . ومن أهل الشام كخالد ابن معدان . ومكحول . يجتهدون ليلة النصف من شعبان فى العبادة وعنهم أخذ الناس تعظيمها واشتهر ذلك عنهم بالكيفية المعروفة الآن عند جميع أهل الحق . ورأوا أن

العبد إذا أراد أن يقتدى بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم . فإنه ينظر إلى ماجاء في الكتاب العزيز وفي بيان السنة المطهرة وبهما يقبل على ربه جل وعز ويتوجه إلى بخالص نيته فالله تعالى يوفقه ويعطه سؤله . فعمدوا إلى الله تعالى بخير ما يتوسل به إلى سبحانه من أنواع التوسلات . وأهمها الصلاة وقراءة القرآن الكريم . فالصلاة أولا بنيات متفاوتة كل ركعتين بنية خاصة الأولى بنية طول العمر . الثانية . بنية دفع البلاء . الثالثة بنية الاستغناء عن الناس . وكل ذلك جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة . أما الكتاب العزيز فقوله تعالى (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) وكثير في الكتاب العزيز مثل ذلك كما لا يخفى على ذي بصيرة . وأما السنة فقد روى الترمذى . وابن خزيمة في صحيحه وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال . رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بعبادة اثنتى عشرة سنة) وروى الطبرانى في معاجمة الثلاثة . عن محمد بن عمار ابن ياسر قال . رأيت عمار بن ياسر يصلى بعد المغرب ست ركعات وقال : رأيت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بعد المغرب ست ركعات وقال : (من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر) هذا لمن يوفقه الله تعالى في ليلة النصف وغيرها . وأما ليلة النصف فلا تكن إلا بنيات . فإليك بيان السنة في الصلاة التي لم تكن إلا بنيات ، إليك ما ورد في السنة المطهرة في الصلاة التي لم تكن إلا بنيات منها ما رواه البخارى ومسلم وجميع أصحاب السنن والمسانيد. عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعلمنا الإستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن . يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة . ثم ليقل : اللهم إنى أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه . وإن كنت تعلم أن هذا شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير حيث كان ثم أرضى به . قال . ويسمى حاجته) هذه الصلاة بنية الاستخارة وإليك ما رواه الترمذى ورواه بن خزيمة في صحيحه . والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين . فقد روى النسائى بسنده إلى عثمان بن حنيف

رضى الله عنه أن أعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أدع الله أن يكشف لى عن بصرى . قال: أو أدعك ؟ قال يارسول الله إنه قد شق على ذهاب بصرى . قال : فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبى محمد نبى الرحمة يامحمد إنى أتوجه إلى ربى بك أن يكشف لى عن بصرى اللهم شفعه فى وشفعنى فى نفسى . فرجع وقد كشف الله عن بصره ١٠ هـ . فهذا من الأمور التى جاءت بها السنة الصحيحة وندبنا إليها الشرع الشريف وعلمها سيد العالمين أصحابه فى كل وقت من مهمات الدنيا التى تلم بكل شخص يفعل المسلم ذلك من أن يصلى ركعتين بنية قضاء حاجته فإن الله تعالى يكشف عنه مانزل وكفى ما قدمنا من البيان الشريف . ودع عنك طعن الجهلة الحسدة الذين لم يطلعوا إلا على الجهل وعجزهم عن الإطلاع.

فليلة النصف من شعبان وما يعمل فيها من صلاة ودعاء من صدر الصحابة والتابعين إلى يوم الدين وماعليه أهل الإجماع لا يخالف إلا فيه كل شقى مخالف للحق وأهله .

وأما ما يحصل من الاجتماع على ذلك من الصلاة والدعاء فقد وردت به السنة الغراء من صلاة النافلة جماعة ألم تر إلى صلاة التراويح وما جاء فيها وهى إحياء ليال رمضان كإحياء ليلة النصف من شعبان وكإحياء ليلة القدر والعيدين وغيرهما وكإحياء ليالى الخير مطلقا وأما ما يحصل من قراءة سورة يس بعد صلاة كل ركعتين فهى خير ما يتوسل به إلى الله تعالى كيف لا والقرآن الكريم خير ما يتوسل به إلى الله تعالى وخاصة ماورد فى فضلها من الأحاديث الصحيحة من ذلك ما رواه النسائى وهو من الكتب الصحاح الستة وأبو داود أيضاً . والإمام أحمد .وابن ماجه .والحاكم . عن معقل بن يسار . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قلب القرآن يس لايقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له اقرءوها على موتاكم) وروى مالك وهو من الكتب الستة . وابن حبان فى صحيحه . وابن السنى عن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له) وروى أيضاً الترمذى وهو من الكتب الصحاح الستة . عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات) وروى الثعلبى . عن عائشة رضى الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن فى القرآن لسورة تشفع لقارئها ويغفر لمستمعها

ألا وهي سورة يس تدعى في التوراة المعمة قيل : يارسول الله وما المعمة ؟ قال : نعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعى الدافعة . والقاضيه . قيل : يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال : تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة . ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كانت له كألف دينار) وهذا الحديث رواه الترمذي الحكيم في النوادر عن أبي بكر مسنداً . وروى الدارمي عن شهر ابن حوشب قال : قال ابن عباس من قرأ يس حين يصبح أعطى يسر يومه حتى يمسى ومن قرأها في صدر ليلته أعطى يسره حتى يصبح . وروى الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفورا له) وقال الإمام المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير عند حديث (إن لكل شيء قلبا) مانصه : قد تواترت الآثار بعموم فضائل يس : وفي هذا القدر كفاية ولولا الاطالة لذكرنا كلما جاء في فضلها إذ فضلها معلوم مشهور وامتلأت به الكتب والدفاتر واعتنقها الاكابر والأصاغر كيف لا وهي من كلام رب العالمين وخير مايتوسل به إليه تعالى كلامه فالناس يتوسلون إليه تعالى في هذه الليلة المباركة فلا يرد لهم طلبا ولا يخيب لهم فيها أملا فسبحان موفق الطائعين ومبعد الضالين المحرومين .

وفي اجتماع الناس على هذه الحالة ليلة النصف ما هي إلا لإجماع الأمة على ذلك وإجماع الأمة في الخير هو الذي جاء في الدين وبيان سيد العالمين . وكذا قراءتهم لسورة يس للتوسل بها إلى الله تعالى والدعاء أيضاً لورود السنة المطهرة في ذلك . منها ما رواه مسلم وغيره . عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) وأيضاً ما رواه البخاري أن أبا هريرة (جاء لأهل السوق وهم في عملهم فقال لهم أنتم هنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فتركوا سلعهم وجاءوا فوجدوا أقواما يقرءون القرآن) جماعات جماعات وحقا هو ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وإلا لمنع كل معلم للقرآن في المسجد أو كل تال أو كل من يريد حفظه فكل من ماانكر على قراء القرآن بالجمع للتدارس والتعليم لجاهل وحمار . إذ لسيدنا الإمام

الشافعى رأى فى جواز قراءة القرآن جماعة بصوت مرتفع سنة لما روى فى السنة .
وكذا قراءة الدعاء والأحزاب والأوراد قياساً على قراءة القرآن جماعة بصوت واحد مرتفع لما بينا من صحيح السنة . وإن كان فى الأحاديث ما هو للدعاء خاصة . وماهو للذكر فقد روى الحاكم وصححه عن حبيب بن مسلمة الفهرى . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يجتمع ملأ فيدعوا بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم الله) وروى مسلم وغيره . عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) وروى الإمام أحمد فى مسنده وغيره . عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيآتكم حسنات) وما رواه البخارى فى آخر كتابه من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم (إن لله تعالى ملائكة يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا حلقة تداعوا إليها هلموا إلى حاجتكم حتى يبلغوا العنان فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم على ما يجتمعون فيقولون يذكرونك يا الله فيقول الله عز وجل هل رأونى فيقولون لا وعزتك فيقول كيف لو رأونى فيقولون لكانوا أشد خشية وأشد عبادة فيقول على ما يرجون يقولون يرجون رضاك والجنة فيقول هل رأوها فيقولون لا وعزتك فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لكانوا أشد خشية وأشد ذكراً وأشد عبادة فيقول على ما يحذرون فيقولون غضبك والنار فيقول هل رأوها فيقولون لا وعزتك فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لكانوا أشد خشية وأشد ذكراً وأشد عبادة فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقول ملك فيهم فلان جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى جليسهم) فقد بينا لك أن الاجتماع لقراءة القرآن والذكر والأحزاب جائزة على ما جاء فى بيان السنة المطهرة وقد أجمعت عليه الأئمة الأربعة الإمام أبى حنيفة والإمام الشافعى والإمام أحمد بن حنبل بما رواه فى مسنده المتقدم والإمام مالك الذى كان رضى الله عنه وعنهم أجمعين يرى عمل أهل المدينة يقدمه على الحديث الصحيح وهو الذى روى فى موطأه أن وضع اليدين على الصدر من السنة ولكن كان يرى إسدالهما من السنة أيضا وهاهو الإمام الليث بن سعد يرى ذلك من السنة وناهيك بما رواه البخارى بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فوجد حلقتين حلقة ذكر . وحلقة علم (فجلس فى حلقة

العلم وقال إنما بعثت معلما) وأما ما روى عن الإمام مالك من أنه أنكر ذلك . إما لأنه أنكر حالة لم تكن عليها حالة أهل المدينة وكان لم يصل إليه فى ذلك شيئاً . على أن كبار المالكية المتؤخرين ردوا على سلفهم لقوة بيان ما جاء فى صحيح السنة وقالوا : إن هذا ليس من باب سد الذرائع : راجع تحقيق الخلاف وفضل الاجتماع . من كتاب رفع الإلتباس عما خفى على الناس . وقال : سيدى أحمد زروق المالكى فى كتابه قواعد التصوف . فى قاعدة ١١٩ ـ وأما التلاوة فصحح النووى وغيره من حديث (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله فيقرءون القرآن ويتدارسونه إلا حفت بهم الملائكة) الحديث كما فى الذكر وأخذوا منه جواز قراءة الحزب الذى يقرء فى المساجد . فقد ظهر جلياً أن صلاة الأوابين بنية الحوائج الثلاث انقلبت إلى صلاة حاجة فإذا انضمت إليها نية الراتب حصلت . ألا ترى من عليه سنة الوضوء وسنة قبل الظهر ونواهما فى الظهر حصل ذلك بصريح السنة . وأن قراءة يس للحاجة مشروعة على ماقدمنا . فكذا الدعاء المروى عن أجلاء الصحابة . وهل هناك دليل قاطع يمنع المسلم من التبرك بكتاب الله تعالى . أو بسؤاله بيس أن يطيل عمره . أو أن يدفع عنه البلاء . أو يغنيه عن الناس . اللهم لا . إلا أن يقول إن العمر لا يزيد ولا ينقص . فنقول : قد جاء فى السنة الصحيحة أن العمر يزيد وينقص . ففى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه) وفيه من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه) (وينسأ له فى أثره) يؤخر له فى أجله أى يطول . وأخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه . أن صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منساة فى الأثر . وأخرج الإمام أحمد فى مسنده . عن عائشة رضى الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان فى الأعمار) وروى عبدالله بن الإمام أحمد فى زوائد المسند . والحاكم . والبزار . والطبرانى من حديث على رضى الله عنه بلفظ (من سره أن يمد له فى عمره ويوسع عليه فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليصل رحمه) وروى من حديث محمد ابن على عن أبيه عن جده على رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وقد سئل عن قوله تعالى (يمحو الله مايشاء) هى الصدقة على وجهها . وبر الوالدين

واصطناع المعروف . وصلة الرحم تمحو الشقاء إلى سعادة وتزيد فى العمر . وتقى مصارع السوء ياعلى ومن كانت فيه خصلة واحدة من هذه الأشياء أعطاه الله تعالى هذه الثلاث الخصال كما روى من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يرفعه (إن الإنسان ليصل رحمه وما بقى من عمره إلا ثلاثة أيام فيزيد الله فى عمره ثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقى من عمره ثلاثين سنة فينقص الله عمره حتى لا يبقى منه إلا ثلاثة) قال أبو موسى هذا حديث حسن . وأخرج أبو يعلى من حديث أنس رضى الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة السوء) وأخرج البخارى فى الأدب المفرد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما بلفظ (من اتقى ربه ووصل رحمه نسيء له فى عمره وثرى فى ماله وأحبه أهله)

والزيادة فى العمر إما فى الزمن أو فى البركة وحسن الثناء كما قرره المحققون فى هذا المقام . وأيا كان فهى زيادة سواء كانت فى الزمن أو فى البركة وعلى هذا فلا محذور على المسلم أن يطلب من ربه الذى بيده ملكوت كل شىء هذه الأشياء الثلاث فى ليلة النصف من شعبان المباركة التى جاء فى فضلها ما جاء عن رب العالمين وبيان سيد المرسلين . وإذا علمت أن الله تعالى ينزل أمره فى هذه الليلة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر وقد بان لك أنه تعالى يقول : ألا من سائل فأعطيه ؟ أفلا تكون هذه النيات الثلاث من السؤال : اللهم إلا أن يكون المعترض . ليس من العرب ولا من المسلمين . وخاصة فيما قدمنا من يس من صحيح وغيره ومعلوم أنهم فى مرة من قراءة يس . فى هذا الحفل المنصب عليه الرحمات المحفوف بالملائكة المباهى به فى السماء يقرءون الدعاء المشهور . وقد بينا لك أن الاجتماع على الصلاة النافلة والقراءة والدعاء من بيان الشرع الشريف .

الدعاء وما ورد فيه وهو بلفظ : اللهم ياذا المن إلى آخره . فقد روى الطبرى فى تفسيره عند قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فقد دعى به أفاضل الصحابة . كالصديق . وعمر، وعثمان ، وعلى ، وابن مسعود . وابن عباس . وابن عمر وابن عمرو رضى الله تعالى عنهم أجمعين وما ذكره الطبرى وغيره هو كاف فى هذا المقام . وقد أخرج بن أبى شيبة فى مصنفه . وابن أبى الدنيا فى الدعاء موقوفا على ابن مسعود رضى الله عنه قال : (مادعى عبد قط بهذه الدعوات

إلا وسع الله له فى معيشته) والآن قد يعرف كل مسلم مصدر هذا الدعاء وحكمه عند علماء الحديث حكم المرفوع لأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لا يأتون بشيء من عنديات أنفسهم بل كله يكون عن سيد العالمين .

وأما فائدة الدعاء فقد دعانا تعالى فى كتابه العزيز فى كل ما ينزل بنا من أمور الدنيا فقال تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال تعالى : (أدعونى أستجب لكم) وقال تعالى : (قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) (واسألوا الله من فضله) إلى غير ذلك مما لا يفهمه الجهول . وأما السنة فقد روى البخارى وغيره من قول سيد العالمين عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما (ما من عبد يقول يارب إلا قال الرب لبيك غير أنكم لا تسمعون) وما رواه أصحاب الكتب الصحاح الستة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله يقول : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى) وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء فى الرخاء) وروى الترمذى والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء) ورويا أيضاً عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر) أى بر الوالدين أو ممن يلزمه بره من الأقربين . فقد روى من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه . قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن فى صفة بالمدينة فقال : (إنى رأيت البارحة عجبا . رأيت رجلا من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه) فالدعاء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ولا يعارض فيه إلا كل جهول بذلك وليس له أية صلة بالدين ولا بكلام رب العالمين ولا لبيان سنة سيد المرسلين ولا بالاطلاع على كلام أئمة المسلمين .

اعتراض المعترض على ما يعمل فى ليلة النصف من شعبان ووجه إنكاره عليه ماهو إلا ناشىء عن جهله بالكتاب والسنة والإجماع . إذ قد بينا أن هذا كان عمل الصحابة على خصائص أعماله صلى الله عليه وسلم الذى خصه الله تعالى ببيانه . فمحمد وإلى خير

ما يتوسل به إلى الله تعالى من صلاة وقراءة قرآن ثم بعد ذلك يتوجهون إلى الله تعالى بخير الدعاء وبينا وجه الإجماع وما ورد فى بيانه من الكتاب والسنة والاجماع فيه وعليه من الخير . وما ذاك إلا لعدم اطلاعه وعدم توفيق الله تعالى له . بل يقول ما جاءت فيه إلا أحاديث ضعيفة . وهو لا يعرف الحديث الصحيح من الضعيف إذ قد أثبتنا وبينا الأحاديث التى وردت فى الكتب الصحاح وغيرها وأثبت الأفاضل أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال والحديث الضعيف يكون بعضه ضعيفا وعند الآخر قويا . وقد أثبتنا الأحاديث التى وردت منها ما رواه مسلم . وأبو داود ، عن أسامه بن زيد قال . قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ماتصوم فى شعبان ؟ قال : (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى فيه وأنا صائم) وما رواه أبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان كله قالت : قلت : يارسول الله أحب الشهور إليك أن تصومه شعبان ؟ قال : (إن الله يكتب فيه كل نفس ميتة فى تلك السنة فأحب أن يأتينى أجلى وأنا صائم) وهذا ما خرجه الترمذى من الكتب الستة الصحاح والبيهقى وابن ماجه . وابن أبى شيبة عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : ألا أحدثكم عنى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا بلى . قلت : لما كانت ليلتى التى كان النبى صلى الله عليه وسلم فيها عندى انقلب فوضعه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه واضطجع فلم يلبث إلا ريثما (يعنى قليلا) ظن أنى قد رقدت فأخذ رداءه رويداً وانتقل رويدا وفتح الباب رويدا فخرج ثم أجافه رويدا فجعلت درعى فى رأسى واختمرت وتقنعت إزارى ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت فاسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال مالك يا عائشة حشياً رابية (يعنى تنهجى من شدة الجرى) قالت : قلت . لاشىء قال تخبرينى أو ليخبرنى اللطيف الخبير قالت : قلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى فأخبرته قال : فأنت السواد الذى رأيت أمامى ؟ قلت : نعم فلهدنى فى صدرى لهذه أوجعتنى ثم قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ . قالت . مهما يكتم الناس يعلمه الله تعالى نعم ، قال : فإن جبريل عليه السلام أتانى حين رأيت فنادانى فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشى فقال : إن ربك يأمرك أن تأتى

أهل البقيع فتستغفر لهم . قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون) وهذا الحديث خرجه مسلم فى صحيحه فى باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها من كتاب الجنائز عن عائشة رضى الله تعالى عنها ولفظه المتقدم وفى رواية البيهقى قال : إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بنى كلب ورواه البيهقى من طريق آخر مرسلا حيث أنه صلى الله عليه وسلم قال : (فى ليلة النصف من شعبان يغفر الله عز وجل لأهل الأرض إلا لمشرك أو مشاحن) وكذا حديث عائشة عنده أى عند البيهقى . قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت بإبهامه فتحرك فرجع فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : يا عائشة أو يا حميراء أظننت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد خاس بك (أى غدر بك) ؟ قلت : يا رسول الله ولكن ظننت أنك قبضت لطول سجودك ، فقال أتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : هذه ليلة النصف من شعبان إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم) ، وروى الإمام ابن جرير فى تفسيره عن عكرمة رضى الله عنه فى قوله تبارك وتعالى : (فيها يفرق كل أمر حكيم قال : فى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد وروى بسنده إلى عثمان بن محمد ابن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى) وروى البيهقى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شىء إلا لرجل مشرك أو فى قلبه شحناء) وروى ابن ماجه عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى : (إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من مسترزق فأرزقه ؟ ألا من مبتلى فأعافيه ؟ ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر ؟ ؟ . وبينا معنى النزول أى أمره لأنه تعالى لا يتحرك لأنها من صفة الحوادث . وروى سعيد

بن منصور عن عطاء بن يسار أنه صلى الله عليه وسلم قال: ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها إلى سماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم) . وعن راشد بن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال : (في ليلة النصف من شعبان يوحى الله إلى ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة) وفي هذا الباب أحاديث كثيرة ولو شئنا سردها لطال بنا المقام وإنما الجهول الكسول الذي أقعده الكسل عن الاطلاع فليس عليه إلا الطعن . وخاصة إذا عينته الحكومة في وظيفة بارزة .

الحديث الصحيح لو يعرف ما هو الحديث الصحيح ما تكلم ولافتح فاه ولكنه لجهله به يقول ما شاء أن يقول ، والحديث الصحيح هو ما يصلح لأن يكون دليلا قطعياً في الحكم الشرعي كالقرآن في نظر الفقيه كأحد الأئمة الأربعة وما عدى ذلك فهو حسن . وما قل عن رتبة الحسن فهو الضعيف عن رتبة الحسن لا نفس الحديث ضعيف في ذاته وقد تكلف أفاضل الأمة ببيان الموضوعات والدخيل من كلام اليهود والنصارى فكان اللازم على هؤلاء أن لا يظهروا جهلهم لهذه الدرجة وماذا يصنع ولكن على رأى من قال خالف تعرف ولو بالجهل .

اعتراضهم على ألفاظ الدعاء وما جاء فيه من القول . من قول الداعي إلى الله . إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب ، شقيا ، أو محروما ، أو مطرودا ، أو مقترا ، على في الرزق ، فامح اللهم . إلخ وهل أم الكتاب يمحى منها أو فيها ؟ . أولا أم الكتاب ما استأثر الله تعالى بعلمه ولا يعلم مافيه إلا هو سبحانه وهو المراد من بيان سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله الشريف (إن الله كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش رحمتي غلبت غضبي) وهو المراد في قوله تعالى (إنا جعلناه قرآنا لعلكم تعقلون . وإنه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) وهو المراد في قوله تعالى (ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) فأم الكتاب ما استأثر الله تعالى بعلمه وينزل منه إلى اللوح المحفوظ على ما بين لنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وقد بينا كل ذلك لعباد الله تعالى وحيث كان سبحانه وتعالى لا عليه وزير ولا وكيل ولا مدبر ولا مشير وأنه كما أبان لنا ما أبان في قوله تعالى (فعال لما يريد) هل بعد ذلك يعترض الجهول الذي لا يعرف كيف تصرف الأكل والشرب منه ولا كيف يبول يتمسك بقوله تعالى

(ما يبدل القول لدى) وينسي أو يجهل قوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) إذا كان شأنه عز وجل كذلك فكيف يتحتم عليه بأنه لا يمحو ولا يثبت. ولا يفوتك قوله تعالى (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير) أوليس النسخ من أم الكتاب وإنى اعترض على كل من يأتى بأى دليل ودليل . وفلا زال الإعتراض متجها وقائما ، اللهم إلا ما جاء فى بيانه الشريف صلى الله عليه وسلم من المحو والإثبات والنسخ أو نسيها والإتيان .فعلى العين والرأس كما قدمنا فقل للمعترض إذا كنت لا تعرف شيئاً فى المحو والإثبات فكيف تتمسك بالمحو والإثبات ألا تنظر إلى فرضية الصلوات الخمس من خمسين إلى خمس فكذلك هنا . إن هذا لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد نسأله تعالى التوفيق لأقرب طريق فالتغير والمحو والاثبات والنسخ والتبديل لا يكن إلا لله سبحانه وتعالى .

اعتراضهم فى الطلب من الأدنى إلى الأعلى وكيف يطلب هـذا الطلب بقوله : أمحو . واثبت ، نقول هو سبحانه وتعالى الذى علمنا ذلك فى قوله تعالى (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به واعف عنا واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) هكذا ندبنا سبحانه وتعالى فى كل ما نحتاج إليه منه وقد أبان لنا سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله : (ما من عبد يقول يارب إلا قال الرب له لبيك عبدى غير أنكم لاتسمعون) وفى الحديث الآخر (يجاب لكم إن كان له الخير فى الدنيا عجل له وإن كان الخير فى الآخرة ادخره له) فما من عبد يسأل ربه شيئاً إلا استجيب له وهذا ببيان الكتاب العزيز والسنة المطهرة فلا حذر ولا حجر ولا ضيق ولا تعسف ولا تزمت إلا من المنكرين الذين أخلى الله تعالى قلوبهم من الهداية والتوفيق وخلت من حب الخير وأهله ومالت إلى الجنوح والمخالفة عن إجماع المسلمين وهل بانكارهم هذا أفاد المسلمين بشىء أوهم عمروا به (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لاتباع شهواتهم وحظوظ أنفسهم ها هو الشيخ محمود خطاب السبكى هل أفاد الإسلام والمسلمين فى شىء كلا إلا بالمخالفة واتبعه كل ضال خارج مثله عن إجماع المسلمين ولا دليل لهم فى الدين فى كل ما يعملون به لا فى الآذان ولا فى غيره ويسمونه بالشرعى وليس فى الشرع فى شىء وما رأيت منهم عالما قط . بل مساجدهم مساجد ضرار يضاررون بها

المسلمين . ولكن أنهم خرجوا عن إجماع المسلمين بصريح الكتاب العزيز والسنة المطهرة . بل الصلاة معهم باطلة وفي مساجدهم عاطلة لا يقبلها الله تعالى . وهكذا كل مخالف لا ترى منه إلا الإعتراض وهل لو أردت أن تناقشه تجده فاض خال من كل شيء هكذا سنة الله تعالى في كل مخالف .

على أن أفاضل الأمة الإسلامية وهم علماؤها قد قرروا هل الدعاء المبتكر أفضل ؟ أم الدعاء المؤلف أفضل ؟ فقالت طائفة منهم الدعاء المبتكر أفضل كل واحد منهم يدعو فيه بما يشاء كما يشاء والله تعالى الكريم يسمع ويجيب لكل عبد سؤاله كما وعد سبحانه وتعالى : وقالت طائفة الدعاء المؤلف أفضل لأن فيه حاجة السائل وزيادة وزمننا هذا لا يستطيع الكثير من الناس أن يسأل كل شيء والمؤلف فيه حاجته وزيادة : وأجمعوا على أن الدعاء المؤلف أفضل وعليه نهج الكثير من الناس . ألا ترى إلى ماجاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة وما هو مأثور عن سيد العالمين من الأدعية والأوراد ، وقد قدمنا أن هذا الدعاء الذي يحصل في ليلة النصف من شعبان قد دعى به الكثير من أفاضل الصحابة وخاصة عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، راجع تفسير الطبري عند قوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ترى ما قررناه لك وتعرف كلام المنكر أنه لم يطلع على شيء إلا الإنكار .

على أن العلامة الزبيدي في شرح الإحياء ، قال : قد توارث الخلف عن السلف في إحياء هذه الليلة بصلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب ، كل ركعتين بتسليمة ، يقرأ في كل ركعة منها بالفاتحة مرة والاخلاص ست مرات وبعد الفراغ من كل ركعتين ، يقرأ سورة يس مرة ويدعو بالدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف ويسأل الله البركة في العمر ، ثم في الثانية البركة في الرزق ثم في الثالثة حسن الخاتمة ، وذكر أن من صلى هكذا بهذه الكيفية أعطى جميع ماطلب ، وهذه الصلاة مشهورة في كتب المتأخرين من السادة الصوفية ، ولم أر لها ولا لدعائها مستندا صحيحا في السنة ، إلا أنه من عمل المشايخ اهـ .

أقول إن لكل عالم هفوة كما أن لكل جواد كبوه ، هذا الفاضل قد سهى أو نسى عما جاء في هذا الدعاء وقدرواه الأفاضل الذين رووه موقوفا على ابن مسعود وخرجه بن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا ، كما خرج ابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد عن عمر رضي الله عنه موقوفا مثله ، وكما أن رووه موقوفا ابن جرير وابن المنذر والطبراني موقوفا

على بن مسعود رضى الله عنه ، ودعاء آخر وكما خرج ابن جرير عن شقيق بن وائل موقوفا أيضاً وكما جاء بمعناه عن عمر وعن ابن مسعود من طريق آخر وحكمهما الرفع ، وكما جاء عن شقيق بن وائل أحد سادة التابعين المخضرم الثقة الذى قال فيه يحيى بن معين لا يسأل عن مثله (أى فى التوثيق والضبط والعدالة) فما كان من شارح الإحياء إلا هفوة أو سهوة ، وإذا نظرت إلى خطبة العلامة الشنقيطى فى خطبة رسالته المذكورة إن حديث الدعاء الذى تستعمله العامة فى ليلة النصف من شعبان حديث ثابت مخرج فى كتب الحديث المعتبرة ، وقد استعمله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والتابعون ، فقد كانوا يدعون الله تعالى به مطلقا من تقييد لوقت الدعاء به بليلة النصف من شعبان بل كانوا يدعون الله تعالى به فيها وفى غيرها من الليالى وفى اثناء الطواف بالبيت الحرام وإن كان الدعاء به فيها مناسباً للمحو والإثبات الوارد أنهما يقعان فيها كانقضاء الآجال الذى وردت الأحاديث الكثيرة فيها بأنه يقع فيها كل سنة اهـ .

واعلم أن ما جرى عليه الناس من الأفعال الدينية وله مستند صحيح من السنة أو الكتاب العزيز أو للمذاهب المتبعة لا يجوز مجال الإنكار عليه ، وقد ابتلى الناس بفساد الأخلاق وعدم العمل بالدين فى هذا الزمان فكل منتصر لرأيه وإن كان ضالا خارجا عن إجماع المسلمين ، وقال القاضى عياض فى الإكمال . لا ينبغى للامر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يحمل الناس على معتقده وإنما يغير ما أجمع على إحداثه اهـ بل قال صاحب المنهاج من أئمة الشافعية أما المختلف فيه فلا إنكار فيه ، وليس للمفتى ولا القاضى أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نص القرآن والسنة المطهرة أو الإجماع اهـ قال المواق على خليل : ونحو هذا فى جامع الذخيرة للقرافى ، ونحوه فى قواعد عز الدين ، كذا نقله المواق وعليش فى فتاويه ، ورحم الله من عرف قدر نفسه ، وقد تبين لك أن النازلة إذا كان لها سبب صحيح حرم على أى عالم النهى عنها ، ولتعلم أيضاً أن الأمة متى جرت على هذا الدعاء فى هذه الليلة من زمن بعيد وقد ظهر لك فيما سبق مستنده كتابا وسنة فيجب عليك أن تعتقد أن كل منكر مخالف للحق وخارج عن هدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهدى السلف والخلف وما عليه إجماع المسلمين .

ومن أعجب ما تسمع منهم أن الدعاء لم يقله النبى صلى الله عليه وسلم : نقول له إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يدعون به وحكمه حكم المرفوع وأن الكثير من الصحابة كانوا يقولون بمثله والأحاديث معروفة معلومة للعلماء .

وهل ثم دليل على أن الدعاء بغير ما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم به محظور كلا وألف كلا، إن قول الله عز وجل (ادعوني استجب لكم) على إطلاقها بلسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره، ما لم يكن إثماً أو قطيعة رحم وهاهو ما في الوجود يدعون مولاهم بالسنة مختلفة وعبارات متباينة ولم يقل أحد ما قال حضرة المنكر بل بنى على إنكاره أن قراءة الأوراد أو دلائل الخيرات أو الصلوات على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتون بعبارات ظاهرها حق وباطنها باطل، ويقولون كل ذلك باطل وحرام ويقولون عليكم بالقرآن ويقطعون الناس عن فعل الخير بل لا يقرءون قرآنا ولا غيره، وهل هو الآمر الناهي بحفظ القرآن وهل يقرؤه وهل هو محافظ على الصلوات في أوقاتها كلا وألف كلا، وهل هو عمل بالقرآن أو عمل بما علم ولو كان كذلك ما اعترض ولا خرج عن ما عليه أهل الخير الذاكرين الله تعالى كثيراً وليس هو يعمل ويرجو أن يكون كل الناس مثله غير عاملين ولا محبين للعاملين نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق لما يرضيه .

واعلم أن كل من أنكر إحياء ليلة النصف من شعبان فهو منكر إحياء ليالي الخير والبركة وما فيهـا من الخير والبركة فيكون معارضا لله عز وجل ومعارضاً لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد جعل الله تعالى ليالي السنة كلها ليالي اجتهاد، كيف وقد قام صلى الله عليه وسلم الليل حتى تورمت قدماه، والله تعالى يقول لحضرته ولعباده أجمع (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) بل امتدح سبحانه وتعالى قوام الليل بما يشرح صدرهم ويبين فضلهم ويصف كراماتهم بقوله جل من قائل (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وهذا بعض ما جاء في الكتاب العزيز عن قيام الليل، وأما السنة فبحر واسع ويكفينا منه مارواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم في الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له : لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال : (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)، وما رواه الترمذي وغيره عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن

الإثم) وفى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما (ياعبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل) وفى صحيح بن حبان والأصبهانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله يبغض كل جعظرى (الفظ الغليظ المتكبر) جواظ (غليظ اللحم المختال فى مشيته) صخاب فى الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة .

وهل ليلة النصف من شعبان ماهى إلا من الليالى السنة المأذون فيها بالقيام والإحياء وأما ادعاء المنكر على تخصيصها بالدعاء المذكور بعد صلاة الحاجة بالنيات الثلاث على ما بينا ، وأما يس فلم يقل أحد ممن له طرف من العلم بالتخصيص والفوا تعلمهم أن هذا ليس خاصاً بالليلة المذكورة ، وكان وجه الاقتصار على هذه الليلة لما قدمنا مما جاء فى فضلها من أن الله تبارك وتعالى ينادى عباده من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ولما ورد أنها يقدر فيها كل شىء وينفذ ، وإذا ثبت هذا كان الأولى أن يكون الدعاء فى هذه الليلة حتى يسأل أن يقدر له الغنى عن الناس والسعادة وطول العمر وتيسير الرزق وغير ذلك مما يطلب العبد من خير الدنيا والآخرة قد علمت أنها ليلة تقدير لتواتر السنة فيها لاليلة القدر وما جاء فى ليلة القدر إلا من المخالفين المعارضين لإجماع المسلمين لأجل أن لا يعمل الناس لا فى هذه ولا ذاك وهذا هو غرضهم ، كمن توجه من زعيم السبكية للباقورى وزير الأوقاف لمنع الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان ، ومنع المبادرة فى الذباع فى صلاة الفجر يعنى يكونون فى منتهى السرور حيث خدم الكافر وتعطيل شعيرة من شعائر الدين الإسلامى بدعوى أنها بدعة أو لم تكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن أراد أن يتقرب للسعودية بعد حفل للمحمل وقد كان يسأل الله تعالى أن يحول حال المسلمين إلى أحسن حال ليغفر لهم وينتقم لهم هو بيده ملكوت كل شىء وهو على كل شىء قدير .

وقد قلنا أن الموقوف على الصحابى من كل مالامجال للرأى فيه وحكمه حكم المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فيكون قد قاله صلى الله عليه وسلم لأن الصحابة الذين شهد الله لهم بالفضل والعدالة فى التوراة والانجيل قبل أن يخلقوا لم يكن يأتوا بشىء من عنديات أنفسهم ولا يقولون إلا ما سمعوه وما تلقوه ، وهذا محل اتفاق عند المحدثين والأصوليين ، وإذن فحديث الدعاء حديث ثابت عن المحدثين وسنة مروية

فى كتب الرجال المعتبرين ومضى العمل به بين خيرة الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى وقتنا هذا غير أن ابن مسعود ولا غيره لم يخصصه بليلة النصف ولا غيرها .

نقول لك . لمناسبة الدعاء لهذه الليلة لما رأى الصالحون مافى هذه الليلة من تقادير الآجال والارزاق والسعادة والشقاوة وغير ذلك فمن كل أرادوا أن يعملوا بأسباب التوسل لعلهم ينالوا من الله تعالى خيرا فدأبوا على ذلك وصار العمل به فى جميع بلاد المسلمين إلا فى البلاد التى أوجد الله تعالى لهم فيها منكر فنفوض أمرنا فيه إلى الله تعالى ولا يخفى على كل ذى عقل راجح أن التخصيص فى السنة المطهرة كثير . فها هو الشفع والوتر الذين يقرءفيهما بسور مخصوصة . وها هو الصحابى الذى كان يختم كل ركعة بقل هو الله أحد وقال إنى أحبها لأن فيها صفة الرحمن وأقره النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وتخصيص بعد الأيام بالصوم وتخصيص يوم الجمعة بقراءة الكهف . والقنوت فى الصبح ، وآية الكرسى عقب الصلوات ، والقيام بالقراءة والركوع وما فيه من التسابيح والسجود وكذلك فالتكبير فى العيدين والتلبية فى الحج وغير ذلك مما يدل على أن التخصيص فى الشريعة جائز لاشىء فيه ، وأن الإنسان له أن يختار متى كان على ضوء الشرع فله أن يختار فى عبادة ربه مايشاء مما جاء به الشرع الشريف . وهاهو العلامة الزبيدى فى شرح الإحياء فى رده على من منع التخصيص حيث قال ، وتخصيص بعض السور فى بعض الصلوات المعينة قد ورد به الشرع ، ومن طالع كتب الحديث عرف ذلك ، وكذا تخصيص بعض الليالى بالقيام وبعض الأيام بالصيام ، وإن كان المنكر يقول ، بالكراهة التنزيهية كما صرح به أفاضل العلماء ، وها هم خيرة علماء الأمة اختاروا أورادا ووزعوها على الأوقات ونصبوا كل وقت يخصه الأمة مجمعة على ذلك ولم يشذ أحد إلا أولئك الملاحدة المعرضون عن طاعة ربهم أعداء الإقبال على الله تعالى ، وإذن لا يصح نهى المجتمعين على طاعة ربهم من هذه الخيرات ومن نظر إلى السنة المطهرة لا يجد أى مانع يمنع أهل الخير ، وإن هؤلاء معذورون لأنهم مقلدون لغيرهم ، ولذا تراهم فى كلامهم وفى دروسهم منطقهم واحد وألفاظهم واحدة لاتفاوت بينهم ، هدى الله تعالى الجميع ووقى المسلمين شر فتنتهم ،

قد قدمنا الكلام على ليلة النصف من شعبان وأنها هى الليلة المباركة وليلة القدر وبينا أنها مباركة لكثرة ما فيها من الأوصاف التى ذكر الله تعالى فيها من الخيرات

والمزايا والخصال الست التى لم تذكر فى ليلة القدر إلا الخصال ثلاث وفهم الكثير من الناس من أنها ليلة القدر، وقد بينا أن ليلة القدر نزل فيها القرءآن ،نعم أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصادقا على مقتضى حكمته تعالى العالية فى ليلة القدر التى هى فى شهر رمضان فشهر رمضان نال الشرف بنزول القرآن فيه وفيه تكون ليلة القدر بالحق والتحقيق والذى عليه إجماع خيرة الأمة ومن قال تكون فى طوال السنة فهذا لا أصل له ، والذى والحمد لله حققناه لا تكون إلا فى شهر رمضان وهو لصداق قوله تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) وكان أول ما نزل منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس الآيات التى فى قوله تعالى (اقرء) وكان ذلك فى شهر رمضان وكان ليلة القدر فا ما نزول القرآن الكريم من أم الكتاب إلى اللوح المحفوظ دفعة واحدة لم يكن إلا فى ليلة النصف من شعبان كما حصل فى أمر آدم عليه السلام ، ولما تبين من بيان الحق سبحانه وما يكون عليه أمر ذرتيه وكان قد خرج من علم الغيب إلى علم الحوادث فقالوا ما قالوا ، وأما القرآن نزل دفعة واحدة وكان ينزل على حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم نجما نجما بحسب الوقائع والمناسبات والأسباب ولم يكن فيه لعلم الخلائق شيئاً ولذا حجب الله تعالى المردة والشياطين عن استراق السمع ،

ومن هنا يظهر لك وجه الخلاف من أنها ليلة النصف من شعبان لا ليلة القدر من رمضان ، لما ثبت فيها بالتنصيص لكثرة ما جاء فى فضلها ، ولما تقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث صحيحة ومن خالف لا يعول على كلامه لأنه أعمى مقلد لثلة . وأما ليلة القدر فقد أبان الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مزيد فضله عليه وعلى أمته حين بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان ممن قبلنا عاش ألف شهر لم يعص الله تعالى فيها ، أو منهم من حمل السلاح ألف شهر ، فقال يارب جعلت أمتى أقصر الأمم اعماراً فقال الله تعالى جعلت ليلة من قامها من أمتك أعطيته ثواب الألف شهر ثم أبانها سبحانه وتعالى بأنها هى الليلة التى أول ما أنزل عليك القرآن فى الدنيا هى تلك الليلة التى تسمى ليلة القدر ما يقدر للملائكة ويخلص فى صحف الملائكة كل أمر محكم لا يتبدل ولا يتغير أو محكوم به حال كونه أمرا من عندنا على لسان الملك الذى حملت البطاقة التى يقتضى تنفيذها فى هذه السنة على ما جاء فى بيان السنة المطهرة على ما قدمنا

ولا غرابة فى أن الله تعالى كان يكرم نبيه فى كل ما يخطر بباله ويعطه سؤله حالا والسنة ملأى ببيان ذلك . وقد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها (ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك) ومنها ما قد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أعطى الله أمتى ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان الله تعالى إذا أرسل رسولا قال له ماجعلت عليك فى الدين من حرج وقال لأمتى ماجعلت عليكم فى الدين من حرج وكان الله إذا أرسل رسولا قال له أدعنى استجب لك وقال لأمتى ادعونى أستجب لكم وكان الله إذا أرسل رسولا قال له جعلتك شهيداً عليهم وقال لأمتى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وهكذا ما هو أكثر فى السنة المطهرة من ذلك وفى هذا القدر كفاية ونسأل الله تعالى التوفيق لما يرضيه ولجميع المسلمين .

الباب الثالث عشر

فى بيان البدعة والمبتدعة وحكمها فى الشرع الشريف وفيه فصول

الفصل الأول

وفيه جميع ما قالته الفرق الضالة وسموه بدعة

إعلم وفقنى الله تعالى وإياك وجميع من يطلب الحق لرضاته إن فرق الخوارج الضالين عن الحق وعن الطريق المستقيم ومن على مبادئهم الفاسدة ينشئون على مبدء أسلافهم المنافقين فلاوجهة لمن تعلم منهم شيئاً فى الدين إلا التفرقة بين المسلمين ويطعنون فى عقائد الموفقين من المؤمنين فتراهم عموا وصموا عن أنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ، بل ويكفرونهم ويرمونهم بأنهم مشركون ويزعمون انهم هم على الحق ويدعون إليه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا وهم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا « ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون » وإن عقلاء الأمة يعرفون أن الله تعالى أضلهم وخلقهم للضلال وجعلهم يدعون إليه ضد أهل الحق ليتميز الخبيث من الطيب هذا وإن حال الحاضر فيهم ومنهم كحال السابق لهم من أسلافهم الذين قال الله تعالى فيهم « والذين اتخذوا مسجدا ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن

أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون» الآيات . إذ ما من مبدء ولا أساس حادثة وأصل الحكم فى الدين والدنيا إلا ويجرى عليه وعلى هذا المبدء كما يأتى إلى يوم القيامة فلا تجد هؤلاء إلا أنهم يجنحون إلى المخالفة كأسلافهم ويظهرون أنهم يدعون إلى الحسنى حسب ما أمر الله تعالى ورسوله فى الظاهر وفى نظر البسطاء من المسلمين ويموهون لهم أنهم على الحق من الدين ولذا ترى أساس دعوتهم فى التمسك بأحكام الدين ما ظهر منها وهو بيان لعقولهم القاصرة لتكون سهلة التلقين لمرضى القلوب وضعفاء العقول ناقصى التعليم الذين اتبعوهم على ذلك بقولهم إن الدين الاسلامى الصحيح هو ما كان العمل به وعليه فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا غير بدليل قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » وهذه الأعمال والأفعال التى عليها المسلمون الآن ولم تكن يعمل بها فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهى بدعة وكل بدعة ضلالة مستشهدين بقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح المروى عند أئمة السنة من قوله صلى الله عليه وسلم « فإن خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وبقوله أيضاً صلى الله تعالى عليه وسلم « من أحدث فى ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التى لا يعقلون لها معنى ويفسرونها على حسب أهوائهم وأغراضهم ابتغاء الفتنة وابتغاء حب الظهور وليعيشوا من وراء ذلك عيش الترف ، فتراهم قد ضلوا عن فهم معانى كلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين إذ فى نظرهم جميع المستحدثات التى لم تكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ويعمل بها المسلمون الآن بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار بنص الأحاديث السابقة التى لم يحيدوا عما ضلوا فى فهم معانيها وسنبينه لك قريباً حتى تعرف ضلالاتهم وتضليلاتهم .

وإليك بيان بعض ما لم يكن العمل به فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم ويعمل به الآن بين المسلمين وهو ثلاثة أقسام مستحدث فى الأفعال . وفى الأقوال . وفى الأقوال والأفعال فأما ما للمستحدث فى الأفعال فكجمع المصحف بحالته التى هو عليها الآن .

من نقطه وضبطه بالشكل المتعارف الآن فلم يكن جمعه ولا نقطه فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا الصحابة ولا كتب التفاسير ولا كتب الأحاديث وتدوينها واستنباط الفقه وجميع العلوم المؤهلة لذلك التى لايفهم القرآن والحديث والفقه والأصول إلا بها كالنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والمنطق والوضع واللغة وغيرها مما أجمع المسلمون على وجوب تعلم القدر الكافى الموصل للغرض المطلوب منها . وكذلك جميع ماجاء القرآن مشتملا عليه من مستحدثات الزمان من الأفعال ، وقد فعلها المسلمون بعد زمنه صلى الله عليه وسلم كتجويف المحراب فى الحائط ورفع المنبر عن ثلاث درجات ورفع الرايات عليه والمنارة وتزيين المساجد ودفن الميت بها ودكة وكرسى القراءة لسورة الكهف والتبليغ وبناء مراحيض وحوض للوضوء أو حنفيات له وقسائم الزواج وعقود الايجارة والشركة والبيع والشراء وغير ذلك.

والأقوال التى لم تكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كقول المؤذن بعد الأذان المشروع الصلاة والسلام عليك يارسول الله . وخاصة قوله يا أول خلق الله والتزامه يامليح الوجه . وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة فى المسجد . وقراءة القرآن للأموات . وفى المآتم وقراءة الفاتحه . للأموات ولقضاء الحاجات . وحرماً . وهنيأ . وشفيتم . ويتقبل الله والمصافحة بعد الصلاة ومن ماء زمزم . وصباح الخير ومساء الخير والصلاة والسلام على رسول الله صلى تعالى عليه وسلم بالكيفية . وغيرها . من الصيغ غير الابراهيمية ودلائل الخيرات . والختم للصلاة والعتاقات بالصمدية . وبلا إله إلا الله . والقصائد فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم . والمسبحة . والتوسل . بعنيه ماديه وروحى قولا وفعلا والذكر بالتمايل والطرب والرقى وغيرها من القرآن وأسماء الله تعالى .

وأيضاً من الأمور التى جرت بها العادة فى الأقوال والأفعال فى العقائد كزيارة النبى صلى الله عليه وسلم والصالحين والأولياء والتمسح بالاضرحة والطواف حولها وتقبيلها والأعتاب والستائر والحيطان والموالد وما يعمل فيها من النذر والذبح لأصحابها والتماثيل من صور الحلوى والحمل . وأيضا ماجرت به العادة فى العرف كالتوجه للطبيب والمحامى والمهندس وارتفاع البناء وركوب القطار وغيره من جميع المواصلات والأثاثات الفاخرة وجميع أنواع الزينة والتزين ومافى ملحقاتها من أنواع الترف

فى المأكولات والتليفون بأنواعه وفنون الحرب بأنواعها والناقلات بسرعة وكل ماهو فى المصلحة العامة والراديو ومكبرات الصوت وانتشار دور التعاليم على مختلف أنواعها وغير ذلك كثير من مستحدثات الكون الذى جاء به القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة وأجمع عقلاء الأمة الإسلامية عليها وهم يسمونها بدعة وضلوا بها وضللوا البسطاء من المسلمين . إذ تراهم يقولون فى البدعة أقوالا على حسب ما يتيح لهم ويسول لهم الشيطان ويمليه لهم . فمنهم من يقول إن البدعة هى التى لم تكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم مطلقا فى كل الأمور بدليل لفظ (كل) وهو من صيغ العموم فيتناول كل أفراد المستحدثات راجع كتبهم كالهدى النبوى لأنصار السنة ورسالة البدعة فى المولد . والحمل التى ينشرونها الآن وهى على مبدء أسلافهم من ابن عبد الوهاب إلى جامع شتات الفرق الأول . بن أتيمية . ومؤسسه لهم ومنهم من يقول إن البدعة هى التى لم تكن يعمل بها فى الدين فى زمنه صلى الله عليه وسلم .

نقول لهم بحوله وقوته تعالى مبينين للناس وجوه أغلاطهم وضلالاتهم وصدهم عن الحق فى الطرق الموصلة إليه تبارك وتعالى ..

أما قول الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » الآية لو كان الأمر كما فهموا من أن المراد منه الإكمال قاصرا على ما كان يعمل بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فقط بدون ما انطوى تحت هذا العمل من بيانه الشريف لكان قاصرا على هذا الزمن دون أن يتعداه إلى زمن آخر . ومن المعلوم ضرورة أن مستحدثات الزمان لا تتناها وهذا بالضرورة متناه ودخول ما لا يتناها تحت المتناهى محال إذن وجب أن يقال المراد بالإكمال هو الكليات التى بالضرورة تندرج تحتها الجزئيات التابعة للكليات وهى منها بمكان وهذا ما قرره الأئمة المجتهدون إذ قالوا إن الدين الإسلامى ينحصر فى ثلاثة أشياء فى أقواله الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم وفى أفعاله وتقريراته وهى محصورة بالعدد ومستحدثات الكون لا تنحصر ودخول مالا ينحصر تحت المنحصر محال إذن وجب أن يكون فى الشريعة المحمديه أمور كليه تندرج تحتها الجزئيات وعلى هذا فيكون معنى قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » أى فى كل ما تحتاجون إليه من المبدء إلى المعاد وعليه يكون القرآن والسنة صالحين لكل زمان ولكل طور من الأجيال. وإلا للزم عليه عدة أشياء : بطلان الرد إليه

فى قوله تعالى وإن اختلفتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول » وفى قوله « فلو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منه » وأيضا يلزم عليه عدم صلاحيته لدفع هذا الشقاق ويصبح الناس فى حاجة شديدة إلى رسول جديد بكتاب جديد يبين لهم ما اختلفوا فيه . وأيضا يلزم عليه أن منزل الكتاب الذى جعله خاتمة الكتب مستمرا العمل به إلى يوم القيامة ولا يعلم بمستحدثات الزمان فلم يبين لهم فى كتاب ما يحتاجون إليه فى مستحدثات أزمنتهم وغير ذلك من الأمور التى هى محال بالنسبة له جل وعلا . فتقرر لك بأن جميع ما أحدثه الناس وأجمع عليه عقلاء الأمة هو من الدين وجاء به كلام رب العالمين وأوضحه بيان سيد المرسلين على ما سنبين إن شاء الله تعالى من الأدلة عند ذكر كل فصل عقدناه لما توهمه الخوارج بأنه بدعة وليس من الدين .

وأما قولهم فى الحديث « كل محدثة بدعة » فلم يفهموا فيه شيئا إذ معنى كل محدثة ليس لها أصل فى الدين وخارجة عنه فهى بدعة وضلالة وأما التى لها أصل يرجع إليه فيها فهى من الدين وجاء بها بيان سيد المرسلين فكيف تكون (كل) على عمومها كما فهمه الخوارج بعد قول الله تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس » وقوله تعالى « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه » وقال عقلاء الأمة من المفسرين التبيين أعم من أن ينص بالدليل الصريح أو يرشد إلى ما فيه القياس وأما قولهم كل بدعة فى الدين فهذا باطل أيضا لأن الشرع الشريف جاء بامتداح البدعة بصريح القرآن وبيان السنة قال تعالى « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون » فلم يعب الحق عز وجل على المبتدع ولكنه عاب على من لم يعمل بها وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » رواه الإمام أحمد والحديث الذى يستشهدون به ولم يعقلوا له معنى يرد عليهم وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « من أحدث فى ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » إذ مقتضاه أن من أحدث شيئا ليس أصل فى الدين يرجع إليه أما الذى له أصل فى الدين فلا يقال إنه ليس منه وأما الملحد أعمى البصر والبصيرة فيقول إن كل

مستحدثات الكون ليست من الدين ولذا يعد كل مستحدث ليس له أصل فى الدين جهلا منه ولكن هذا هو الذى يجب أن يتعقل ويفهم من الآية والأحاديث وإلا لكان القرآن ليس فيه بيان كل شىء ولا تفصيل كل شىء وأيضا السنة لم تكن قامت بالبيان الكافى للقرآن الكريم وكيف يعقل هذا بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « أعطيت القرآن ومثله معه » الحديث رواه الأمام أحمد وأيضا هم لم يفهموا ما جاء فى الدين المبين فى معنى البدعة ولا ما أجمع عليه عقلاء الأمة فى معناها .

فنقول : لهم : البدعة هى الحدث ، يقال : أبدع بمعنى اخترع الشىء لا على مثال سبق والمبدع بمعنى البديع قال تعالى « بديع السموات والأرض » أى مبدعها والمبدع والبديع كالخل بمعنى الخليل وهو مالا مثل له وكان مخترعا ولم يكن موجودا قبل بحكم السنة « قل ما كنت بدعا من الرسل » والابتداع الاستحداث قال تعالى « رهبانية ابتدعوها » أى استحدثوها وألزموا بها أنفسهم من غير افتراض قال العلامه الألوسى فى تفسيره ، الجزء الثامن ـ وتفصيل الكلام فى البدعة ما ذكره الإمام محى الدين النووى فى شرح صحيح مسلم قال : العلماء البدعة خمسة على أقسام . واجبة . مندوبة . ومحرمة . ومكروهة ومباحة فمن الواجب تعلم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك . ومن المندوب . كتصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك ومن المباح التبسيط فى ألوان الاطعمة وغير ذلك والحرام . والمكروه . ظاهران فعلم أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « كل بدعة ضلالة » من العام المخصوص . وقال : صاحب جامع الأصول الابتداع من المخلوقين . إن كان فى خلال ما أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو فى حيز الذم والانكار وإن كان واقعا تحت عموم ماندب الله تعالى إليه وحض عليه أو رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو فى حيز المدح . وإن لم يكن مثاله موجودا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى صلاة التراويح « نعمة البدعة هذه » اهـ منه وقال الإمام الفخر على قوله تعالى ابتدعوها لم يقصد الله تعالى بابتدعوها طريقة الذم بل المراد أنهم أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ولذلك قال تعالى بعده (ما كتبناها عليهم) أى لم تفرضها

نحن عليهم (إلا ابتغاء مرضاة الله) إستثناء منقطع أى ولكنهم إبتدعوها ابتغاء مرضاة الله . والمراد أنها ليست واجبة فإن المقصود من فعل الواجب دفع العقاب وتحصيل رضاء الله تعالى . وأما المندوب فليس المقصود من فعله دفع العقاب بل المقصود منه ليس إلا تحصيل مرضاة الله تعالى ا هـ منه .

انظر يا أخى إلى أقوال عقلاء الأمة وهم علماؤها فى معنى البدعة وإن الغرض منها فى كل شىء مما ذكرناه إنما هو تحصيل مرضاة الله تعالى وما من مسألة منها إلا ولها أصل فى كمال الدين تندرج تحته . فكيف تسمى كل بدعة ضلالة ويعممون اللفظ ويضللون به عباد الله تعالى الذين هم على الفطرة ويعلم لك من ذلك كله أن الملحدين لم يفهموا معنى البدعة وقد فهموا فيها غير ما جاء به الشرع الشريف ولم يعقلوا من معناها إلا ما يضللون به البسطاء من المؤمنين وهذا لا يخفى على ذوى البصائر من عقلاء الأمة وقد فهموا فيها الحقيقة والوجه الأكمل من أنها كغيرها من أحكام الدين وهو الذى شرعه الله تعالى لعباده . وبين جل شأنه أن كل شىء على حالتين حتى فى العقائد . والإيمان . والتكاليف . والوسائل وغيرها .

فكذلك هنا البدعة على حالتين . بدعة حسنة وهى ما تقدمت فى الآية والحديث . وفى هذه قد تكون واجبة ومندوبة ومباحة . وبدعة سيئة وهى الضلالة التى ليس لها أصل فى الدين . وهى المحرمة والمكروهة كالإلحاد فى الدين من الإنكار والطعن على ما اشتمل عليه كلام رب العالمين وبيان سيد المرسلين . وهذا ما قرره أفاضل الأمة وعليه أجمع عقلاؤها وصار العمل به من الدين لأن إجماعهم حجة فى دين الله تعالى بنص القرآن الكريم ومن خالفهم وأنكر عليهم فقد خرج عليهم وخلع ربقة الإسلام من عنقه بنص القرآن الكريم قال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (من فارق الجماعة قيد شعرة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) ومع هذا كله يرون أن كل ما ذكرنا من الأقوال والأفعال التى لم يكن العمل بها فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وزمن الصحابة والتابعين ومن نسج على منوالهم يسمونه بدعة وضلالة من كل الأمور التى ذكرنا من محدثات الأقوال والأفعال التى سنبينها لك موضحة الأدلة ووجهة نظر علماء

المسلمين فيها وعليها صار الاجماع جائز العمل به. ومن أقوال الملحدين أيضا فى مستحدثات الأمور التى لم يكن العمل بها فى زمنه صلى الله عليه وسلم جاريا ولم يعمل بها فى زمن الصحابة من بعده. وقد اعتبروا ذلك دليلا لهم على بدعيتها ويقولون فيها كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

نقول لهم لو سلمنا لكم هذا جدلا أفهل الأفضل فى نظركم تأسيس حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم قواعد الدين وأصول الأحكام وأمهات المسائل مع إرشاده إلى ما يشتمل عليه ذلك الأصل ومستلزمات تلك الأحكام من البيان ليتم جميع ما يحتاج إليه بنو البشر ما بقيت الدنيا فى كل أمر من الأمور. وعليه يكون قد قام بما أمره الله تعالى به بكل ما فيه حاجة البشر حتى يتحقق قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » إذ لا يعقل إلا الإكمال. والإكمال إذا كان مشتملا على جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين كليه وجزئيه للدنيا والآخره. وهل الأفضل هذا؟ أو قصر التشريع على ما كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وإهمال المستحدثات الضرورية للناس ما بقيت الدنيا؟!

ومما تستنكره العقول من أمرهم — أنهم يقولون فى كل شىء لم يكن فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم: إنه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار!! وهذا القول ظاهر البطلان. لأن البدعة تنقسم إلى خمسة أقسام فمنها ما هو واجب كتعلم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعة وغير ذلك من العلوم والفنون والصناعات. ومنها ما هو مندوب كتصنيف كتب العلم. وبناء المدارس. والحصون وغير ذلك. ومنها المباح. كالتوسع فى المآكل والملابس وغير ذلك. ومنها المحرم، والمكروه، وهو ما ليس له أصل فى الدين.

ومع حكمهم هذا على كل ما لم يكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم تراهم لا ينكرون المستحدث من المخترعات بجميع أنواعه. فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فإنه لا يجهل عارف ولا ينكر عاقل ولا يغفل من له قلب حى أن مبدع الكائنات جل وعلا أحدث ما ترى فى العاديات من الموجودات التى لم تكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد جاء القرآن الكريم مشتملا على بيانها من مخترعات فى الصناعات

وغيرها من كل أنواع المبتكرات . فكيف لا يكون ذلك في الدين وخاصة بعد علمهم بقوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا إستمعوه وهم يلعبون) وقوله تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) وقوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقوله تعالى (ويخلق ما لا يعلمون) وقوله تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله) وقوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل) فهذه الآيات تتضمن بيان الحدث المتنوع في العاديات : من الراديو . والفوتوغرافيا . وما هو على شاكلة الفلك . كالتلفزيونات . وكالقنابل بكافة أنواعها . وكالطائرات .

وأما محدث الدين فهو في الآية الجامعة من قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) الآية . وإليك قوله الشريف في حديثه الجامع المانع الذي أوتيه صلى الله تعالى عليه وسلم من جوامع كلمه الشريفة وهو (تحدثون ويحدث لكم) فإذا كان هذا بيان القرآن الكريم والسنة المطهرة في كل أنواع المحدثات ولا ينكر هذا الحدث في العاديات إلا أعمى بصر أو بصيرة - فكيف ينكر الحدث في الدين (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

ولا ينكر عاقل ما في قوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) والمشاهد أن مثل الفلك المشحون من حاملات المنافع لبني البشر من جهة إلى أخرى . لم يوجد إلا بعد . ولكن لما كان محقق الحصول منه تبارك وتعالى لا محالة . عبر عنه جل شأنه أنه حصل بالفعل في (خلقنا) على يد عباد لم يكونوا وقت ذاك . ولكن بصنعه البديع جل وعلا قد خلق علماء فألهمهم الإبتكار والتوسع في صنع كل ما هو حاصل الآن على شاكلة (الفلك المشحون) . ولا يتصور عاقل أن كل ما أحدث من المحدثات الآن الكونية والفعلية على يد علماء مؤهلين موفقين للقيام بهذا التنوع والتفنن المشاهد للعيان الذي لا ينكر . وغيره كثير من أنواع أفراد المنوعات من المحدثات . وإذا كان كذلك .

فبالأحرى والأجدر أن يخلق تعالى الله للأمور الكلية الشرعية وجزئياتها المندرجة

تحتها من الأمور التي لا يتم الكمال إلا بها . علماء يستنبطون منها ما يكون مندرجا في أصل علة الحكم ومساويا له في التشريع وإلا فكيف يسلمون بمستحدثات الصناعات ويجحدون ما يحدث في حكم التشريع وقد جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة . كما جاء بهذا المشاهد المعاين الذى لا سبيل إلى إنكاره . أليس هذا من الترجيح بلا مرجح ؟ أبعد أن عرف أصل كل من الدين ولم يظهره الحق عز وجل إلا على يدعباد شاء تبارك وتعالى إيجادهم بعد ، كما قال تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) فقد بين العزيز الحكيم أنه لم يمنع فضله عن عباده في أى زمان كان ــ ومن لم يفهم ذلك ويعمل به فقد ضرب الله تعالى له المثل بقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين)

وهذا مما لا يخفى على ذوى العقول الراجحة أن هذا التنويع في المبدعات التي لم تخرج عن حد الكمال الذى جاء به القرآن الكريم وبيان السنة المطهرة فيكون من أكبر الدلالات على معرفة الصانع جل وعلا الذى جرت العادة في سنته تبارك وتعالى أنه يقلب الأشياء في كل الأمور من قالب إلى قالب . ولو جرى الأمر على عدم التجدد في مستقبل الأزمنة لكان ذلك مخالفاً لسنته تبارك وتعالى (ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) وبهذا الحدث المشاهد المعاين في موجوداته تبارك وتعالى جاء القرآن العزيز متضمنا لبيانها ومشتملا على كل فرد من أفرادها . فقد جعل لكل شيء منها أصلا وجعل من ذلك الأصل فروعا تتنوع منها أنواع كثيرة . وهذا مما لا سبيل إلى إنكاره .

فكيف لا يكون لأصول الأحكام الشرعية في كل حكم منها فروع وهى التي سبق لنا التعبير عنها بالجزئيات المندرجة تحت الكليات في (أكملت لكم دينكم) التي لا ينكرها ويجحدها إلا كل مخالف لا يعرف أصول دينه ولا يفهم لكلام رب العالمين معنى لتفصيله ولا لبيان سيد المرسلين معنى لتبيينه (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) (إن في ذلك لآيات لأولى النهى) .

لا شك أن كل عاقل يقول : علم الله تعالى بمستحدثات الأمور وما تقتضيه من الأحكام من أقوال وأفعال فيلزم عليه أن يكون الكتاب الذى وضعه لهم قانوناً

يسيرون عليه وجعله خاتمة الكتب السماوية أن يكون كذلك جامعا لبيان كل شيء ومفصلا فيه كل شيء ولم يفرط فيه مما يحدثه فى كونه من بيان الأحكام اللازمة وإلا لأصبح الناس فى حاجة شديدة إلى كتاب جديد ورسول جديد ليبين لهم ما اختلفوا فيه كما هى سنة الله تعالى فى حكمة إرساله الرسل .

وأما قولهم إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لم يعملوا شيئا من ذلك فنقول : لو سلمنا هذا أيضا لكم جدلا أفهل الأفضل لهم أن يقوموا بتثبيت القواعد الكلية التى كان قائمها صلوات الله تعالى وسلامه عليه وينشرون بها الدعوة ويعممون الأمر بالقيام بذلك لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة أعدائه هى السفلى وليعلم جميع العالم الإنسانى بمبادىء ذلك الدين الحنيف الذى جعله تعالى خاتما لجميع أديان البشر ومن يرغب عنه فلن يقبل الله تعالى منه شيئا يؤجر عليه مهما عمل من الخير ووافق المشروع فى الدين قال تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » قاموا بذلك مع تبينهم لمن يدعونهم إلى ذلك الدين بأن له أحكاما واجبة التنفيذ ولا يعد المنتسب إليه مسلماً إلا إذا قام بهذه الأحكام وهى من معاملات للناس بعضهم مع بعض وعبادات يقومون بها لمحض العبودية لخالق الأرضين والسموات وأن قصصه الذى هو فيه لعظة الحاضرين بأحوال الماضين لكى يعملوا الخير ويحيدوا عن الشر وأن قيامهم بذلك لتعم به الدعوة أيضا التى من مهامها تحقيق قوله تعالى : « وأرسلناك للناس كافة » ولهذه كانت من أكبر الدلائل على تحقيق صدقها خصوصا وأنه لم يجىء أحد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم . ودعى بها وإليها إلا أحزاب الشيطان وكان جزاؤهم فى عاقبة أمرهم الخسران المبين مع تقصير للسلمين الآن فى الاهتمام بشأنها والمواظبة على حفظها أى تلك الدعوة ولكن قد خلق الله تعالى ما هو أدل وأقوى فى البلاغ والنشر « الراديو » الذى ما ترك بقعة من بقاع المعمورة إلا وقد غمرها بالبلاغ والدعوة « لئلا يكون للناس على الله حجة » وهذا البلاغ بكافة طرقه من وقته صلى الله تعالى عليه وسلم إلى وقتنا هذا وتعميم الدعوة به على ما جاء فيه من أصول الأحكام المشتملة على فروعها وجزئياتها التى استنبطت منها وهى الضرورية لبنى البشر التعامل بها مع ملاحظة كافة طرق المعاملة كما لا يخفى وهى لا تكون إلا سببا موصلا إلى الهداية للحق وإلى طريق مستقيم هذا وإن بيانه صلى الله تعالى عليه وسلم وإرشاده

أعم من أن قد نص بالدليل أو أرشد إلى ما فيه القياس ولم يهتد إلى هذا إلا من خلقه الله تعالى على الهداية والتوفيق كما قال تعالى « الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب » وهذا لا يخفى أيضا على من له أدنى بصيرة من توجيه الحق عز وجل لعباده وجعل رغباتهم فيه وحقق لهم أغراضهم في كل طالب منهم للخير والشر إذ هو جل وعلا الفعال لما يريد « والله خلقكم وما تعملون » « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » قال صلوات الله وسلامه عليه « إعملوا فكل ميسر لما خلق له » وإن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مع ما كانوا فيه من أكبر المشاغل فقد وجه الله تعالى رغبات البعض منهم فقاموا بوضع أسس في المكملات في ذات الحكم في الدين وهي ما يسميه الملحدون بدعا وضلالات من المستحدثات في أمور الدين كتدوين الدواوين وتأليف السيرة الشريفة وجمع المصحف وكتابته في كتاب واحد ونقطه وضبطه بالشكل المتعارف الآن والمنارة وزيادة المنبر عن ثلاث درجات وغيرها من المسائل التي ضلوا فيها. وسنبينها لهم إن شاء الله تعالى

ولم يكن ذلك من الصحابة مستحدثا في الدين . بل هو مما اشتمل عليه القرآن الكريم وبيانه صلى الله تعالى عليه وسلم ولفت الله تعالى نظر عباده إلى الأصل والفرع واشتمالها على الجزئيات . فالأصل الكتاب والفرع السنة والذي اشتمل عليه الأصل والفرع الجزئيات التي فيها وبها الرخص لعباده تعالى والنوافل التي يرقون بها ويتقربون بها زلفى لجلال العليم الخبير بكل ما يحدث في مكوناته وما يجددونه في أزمنتهم « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » ثم من تمام رأفته ولطفه سبحانه وتعالى بعباده القاصرين عن فهم الكتاب والسنة بين لهم بأنه سيؤهل لفهم ذلك خلقا مخصوصين ليبينوا للناس ما يشتمل عليه ذلك الأصل وبما يحسم به النزاع بينهم عند وجوده ويكون بحكم رب العالمين وبيان سيد المرسلين فقال تعالى « فلو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وهذا هو منتهى الرحمة من الله تعالى بعباده ، فبيان العلماء العاملين الراسخين في العلم له هو عين بيان الحق عز وجل لهم وإجماعهم عليه لأن هذا ما يشمله الحكم وما يحمله الشرع موافق له فيكون العمل به المراد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون العمل به حسبما أمر الله تعالى عباده باتباعهم وجعل جل شأنه اتباعهم أمرا واجبا في الدين ومن خالفهم توعده بالوعيد فنسأل الله تعالى التوفيق والهداية إلى ما فيه الخير والصلاح .

إليك بيان ما قدمنا من شبههم مسأله وكل مسأله عدوها بدعة عقدنا لها فصلا بحوله وقوته تعالى وبينالله أصل مأخذها من الكتاب والسنة وإجماع عقلاء الأمة عليها والله يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

الفصل الرابع

فى حكمة وجود الهدى والضلال فى الدنيا إلى أن تقوم الساعة

لا يخفى على من له أدنى نظر وأقل تأمل فى آى الكتاب الحكيم والسنة المطهرة أن مبدع الكائنات عز وجل جعل الموجودات على حالتين بمقتضى كماله ولانطيل هنا لأنا قد أوضحناه عند بيان أول حقيقة أوجد الله منها وبها جميع الحقائق بعد معرفته عز وجل . ولنذكر بصدد ما نحن فيه قول الله تعالى ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ـ ولا يخفى أنه تعالى حين أن لفت إبليس عليه اللعنة النظر إلى عظيم قدرته وبديع صنعته وأنه المنفرد بالجمع بين الضدين بقوله تعالى مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى إذ اللعين نظر إلى ظاهر الصورة التى رأى وتطوراتها وعمى عن أنه على كل شىء قدير فعال لما يريد وهى صورة مشخصة تغاير الحق عز وجل وفهم أن السجود للصورة سجود لغير الله ولا ينبغى السجود إلا له تعالى لا لهذه الصورة . وهكذا كل من ينشأ على مبدأ اللعين لاينظر إلا إلى ظاهر الصور وينسى آثار صفات الحق عز وجل وهى الآيات . ولكن الكريم الحليم لم يتركه هملا بل لفته النظر فى حكمة تكوينه للموجودات خصوصا وأنه لم يكن موجودا من أهل الخطاب وقتئذ إلا هو والملائكة وذلك هو التكوين الثانى إذ خلق جلت قدرته عالم الملائكة من النور وهو بصفة الرحمة وعالم الجان من النار وهو بصفة الغضب وأبان جل شأنه لذلك المنكر صلاحية قدرته جل وعز بالجمع بين الضدين بالإيجاد بصفة الرحمة والغضب فى صورة واحدة فقال عز من قائل ما منعك من أن تسجد لما خلقت بصفتى أى صفة الرحمة والغضب على ماقرره المحققون . ولايعقل إلا هذا المعنى لأنه عليه اللعنة لم يكفر لعدم السجود بل كفرانه جحود آثار صفات الحق عزوجل لأنا لو قلنا أنه كفر لعدم السجود لحكمنا أيضا على آدم بذلك لأن صيغة الأمر للاثنين واحدة . الأول قال له إفعل والثانى عليه الصلاة والسلام قال له لاتفعل وهناك فرق بين الأمرين . أما الأول

فلأنه نظر إلى الظاهر فقط وهى مراعاة الصور المحسوسة مع إحضار القوة الفكرية إذ رده رد متأمل عارف عالم بحقيقة ماهو مأمور به . وأما الثانى فجحده آثار صفات الحق وأنكر عليه بقوله أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وأما الثانى عليه السلام فأقبل على ضد الأمر بدون علم ولا اختيار ولا تفكر فى المقدوم عليه لسبق المقدور عليه فكان منه نسيا ولعله ظهر لك الفرق بين الأمرين . ومن هنا يظهر لك أن كل منكر لآيات الله فى خلقه منكر لآثار صفاته جل شأنه وتعرف عنها أيضا أن كل من خرج على الإجماع والسنة والكتاب جعل نظرته لأولياء الله والصالحين من عباده كنظرة إبليس لآدم عليه السلام إذ يتصور أعمى البصر والبصيرة أن هذا له أفعالا غير أفعال الله تعالى فمن قصده فقد قصد غير الله فيكون عنده مشركا ولايدرى إلجهول بأن هذا مصدراً من مصادر آثار صفات الحق عز وجل وأن الفاعل فى كل شىء هو الله تعالى وإذا شاء جل ذكره إكرام الطالب والمطلوب لفعل لأن الكرامة من مستلزمات الولى ولا يعرف إلابها كما أن المعجزة من مستلزمات النبى ولايعرف إلابها وهى المرادة فى قوله تعالى (وما كان الرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله) والكرامة آية من آيات الله تعالى التى يجريها على يد عبده الصالح كذلك ، ولست أدرى من الذى خلق الولى ؟ ومن الذى خصه بالكرامة ورفع ذكره بها ؟ ومن الذى يوجدها ويجريها ؟ ومن الذى وجه من فيه حسن العقيدة بإكرام الله تعالى لهذا العبد الصالح حتى يتوجه إليه ؟ أليس الله هو الفاعل فى كل شىء وأن الولى مصدر من مصادر الحق عز وجل وبه وفيه وعنده تظهر آيات الله تعالى فى خلقه بخلقه ، كما جعل جل شأنه لكل شىء مصدرا وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها — فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون — أليس العالم مصدر من مصادره ؟ وأليس الكبريت مصدرا ؟ وأليس كل مافى أفراد الجماد والنبات والحيوان مصدرا ؟ وهل لو توجه أحد إلى شىء من ذلك يكون مشركا ؟ أو لو أنكرها وجحدها يكون مؤمنا ؟ وكيف هذا مع قوله جل ذكره واسألوا الله من فضله قال العلامة البيضاوى فى تفسيره أى مما قربه إليكم وجعله بين أيديكم أى من كل شىء فى الأفعال والأقوال والاعتقاد لأن الله الفاعل فى كل شىء ، وسنوفيه المقام إن شاء الله فى محله عند ذكر الولى والكرامة وحياة الموجودات وخاصة الآدمى — ثم نرجع ونقول أن الله سبحانه وتعالى جمع بين الضدين فى مخلوق واحد الذى بث منه خلقا كثيراً ، وفى كل فرد من أفراد ذلك الخلق فيه كذلك الجمع بين الضدين العلم والجهل ، والحلم والغضب ، والقوة والضعف والإحسان والإساءة

وهكذا ، ولا يخفى عليك أيضا أنه فيه المؤمن والكافر ، والشقى والسعيد ، والكل متناسل من آدم عليه السلام ، فسلسلة السعداء لا تنقطع أبدا ، وهاكم سلسلة الأنبياء والمرسلين ومن على أقدامهم من العلماء العاملين والأولياء والصالحين وعامة المؤمنين والفئة التى هى إلى الإيمان أقرب من المنافقين ، وأيضاً فيه سلسلة الأشقياء كذلك وهم من أول فئة المنافقين الذين هم إلى الكفر أقرب من الإيمان إلى الطبيعين الذين يقولون ليس بوجود الإله وما بينهم من المشركين والكفار ومن يزعم أن مع الله إلها آخر ، وهذه هى المعارضة للأنبياء والمرسلين والعلماء العاملين والأتقياء والصالحين وهم أعوان إبليس فى الأرض وجنوده ليتحقق لك قوله تعالى) ومن كل شيء خلقنا زوجين وأن هذا الفريق فريق الشر والضلال والإلحاد والمعارضة للحق وأهله كما قال تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وإن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) يقابل هذا (ومما خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وكذا المجازاة على الأعمال فلأهل الشر قال تعالى فى مقابل الجزاء بالسيئة «فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوء الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) قال تعالى فى مقابل الجزاء للحسنة ، (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) فقد بان لك أن الموجودات من بنى آدم على حالتين كما قررنا فأهل الضلال موجودون إلى أن تقوم الساعة ، وأهل الحق موجودون كذلك ، والكل سلالة آبائهم وأجدادهم وما هم عليه فى العقيدة والأعمال والجزاء ولا يزالون كذلك وكما دعا أهل الضلال إلى الضلالة فأهل الحق ينورونه ويردونه عن طغيانهم لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وهكذا جميع الأعمال على حالتين والجزاء عليهما كذلك وحالتهما فى الدنيا ومآلها كذلك فريق فى الجنة وفريق فى السعير (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها)

(وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها) وإليك أجمع آية فى كتاب الله العزيز (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ولنرجع إلى بدء التشريع فى وقت تأسيسه على يد خير الانبياء والمرسلين من جعل الله تعالى شرعه

باقيا إلى يوم الدين وأن مرحلته لم تنقطع ولاتزال قائمة كذلك . ومن جعل الله تعالى جميع الأنبياء والمرسلين نوب عن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى البلاغ لجميع الأدميين . قال تعالى (وإذ أخذالله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم تؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى . قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ومع هذا فكان يعارض ويناوء ويقاوم ويعادى ويضاد بكافة جميع طرق المخالفة لدعوته الشريفة فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولطالما تمنى صلى الله تعالى عليه وسلم أن تؤمن به الخلق أجمعين ولا يفلت منهم واحد إلى النار وكان حريصا على ذلك كل الحرص فسلاه الحق عز وجل ووساه بإخوانه الانبياء والمرسلين من قبل بقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) . هذا ولا يخفى عليك أن الله تعالى كما جعل للخير دعاة إليه من الأنبياء والمرسلين فكذلك جعل رسول الشر والدعوة إليه من لدن آدم إلى قيام الساعة إبليس عليه اللعنة فهو ضد دعوة الأنبياء والمرسلين والعلماء العاملين والأتقياء والصالحين بنص كتاب رب العالمين كما لا يخفى على من له أدنى تأمل فى القرآن الكريم قال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون) قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) فقد عرفت أن بنى آدم على حالتين قولا وفعلا وعقيدة كما تقدم لك حزب الله وهم حزب الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من الخلق المهتدين وحزب الشيطان وأولياؤه وجنوده من الخلق الضالين . ولا تنسى أن إبليس تبرأ

من حزبه يوم القيامة بعد اعترافه بأنه كان فى الدنيا داعية للشر قال تعالى (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) ففى مثل هذه الآية وما يشاكلها كبير الدلالة على أن إبليس هو مبدء الشر وله خلق وبه يعمل وإليه يدعو وعلى ما قدمنا من أن سلالة الأطهار من الأصل الطاهر لحفظ الله تعالى لهم أصلا وفرعا قال تعالى (إن ولى الله الذى نزل الكتاب بالحق وهو يتولى الصالحين) وأيضاً أن سلالة الأشرار من أصل الشر فيه خلقوا وعليه يعملوا وإليه يدعون قال تعالى (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا) وقال تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) فقد ظهر لك أن فرق الضلال والإلحاد والزيغ والكفر والإشراك ذرية بعضها من بعض وأهل الإيمان والتقوى والصلاح والاستقامة ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .

« ملاحظة »

قد علمت مما قدمنا من أن سلالة الأطهار من لدن آدم إلى وقتنا هذا بل إلى أن تقوم الساعة وأنهم هم أهل المغفرة وأهل الكرم والسماحة والبر والخير والبركة وقد جعلهم الله تعالى الوسائل فى كل هذا وخلقهم لهذا . ولهذا يعملون وبه وفيه ينتجون وبهم ومنهم وفيهم تظهر آثار صفات الحق عز وجل فى هذا كله ـ

وكذا أيضاً سلالة الأشرار من لدن آدم إلى وقتنا هذا بل إلى أن تقوم الساعة وهم على عكس سلالة الأطهار على خط مستقيم كما نطقت به صريح الآيات ومن الكتاب الحكيم والسنة المطهره وهو جار كالعادة المتبعة وسنن التكوين الواضحة سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا ـ هذا عام فى الموجودات بمقتضى الظاهر وإليها وبها تصح نسبة الأشياء إلى أصولها بطريق الوضع الالهى كما بينه فى كتابه العزيز وكما هو مشاهد بالعيان لا بحكم الطبع والعادة ولا الأسباب بمسبباتها هذا ولكن لا يخفى عليك أن ربك الفعال لما يريد له حكم المغايرة عن العادة والطبيعة لئلا يعتقد من لا نظر له أن هذه عادة وطبيعة فى الكون ويجهل أنه يخرج الحى من الميت

ويخرج الميت من الحى فقد يخرج من الصالح طالحا ومن الفاسد صالحا ومن المؤمن كافرا ومن الكافر موحدا عارفا وذلك لبيان بديع صنعته وأحكام أمر وعله بمكوناته سواء كان من عقبة مباشرة أو من سلالة ولو على بعد كما قال تعالى (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) وكما قال تعالى (وكان أبوهما صالحا) وهو الجد السابع أو العاشر كما قرره المحققون ولا نذهب بك بعيدا فها كم ابن تيمية جده الخامس المحدث العظيم صاحب منتقى الاخبار وابن عبد الوهاب أبوه العالم العظيم الذى حاول هو وأخوه ردعه ورده عن نشر الضلالة فلم يستطيعا . لحكم جلها الحكيم العليم بخلقه وهذا لا يقدح فى أن الطريق الواضح والجارى كثيراً فى العادة المألوفة والسنة الجارية أن الضال لا يلق إلا الضال بل قد يكون أعرف من أبيه فى طرقه وإليك من قال موريا بمن كان اخبث من أبيه

كان فى الحـارة كلب   اقلق النـاس غـواه
خلف الملعون جروا   فاق فى الخبث أباه

فمن هنا تعرف أن أهل الضلالة يرثونها كابرا عن كابر إلا أن كان فى سلالة الأطهار دخل فى نسبه ما يضاد ذلك فينشأ منه الفساد والزيغ والعناد لإنك لا ترى فى جميع المولدات الثلاث لا تلد الأشياء إلا أجناسها . سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولقد أحسن من قال :

هل تلد الأشياء إلا شكلها   أو تحمل الاشجار غير حملها
لو قيل شاة ولدت إنسانا   أو حب برشمر جلبانا
أو نخلة قـد حملت رمـانا   أو طـائرة أفـرخت حيتانا

لقيل هذا من المحال

ولا غرابة فى أن أهل الشر هم من نسل أهل الشر وأهل الخير والتوفيق هم من نسل أهل الخير والتوفيق وهذا مستفاد من وضع القرآن الحكيم وبيان سنة سيد المرسلين من أن القرآن لم يخرج عن دائرة ثلاث .

(١) الدعوة إلى الله تعالى وهو التوحيد .

(٢) والمعاملة مع الله تعالى ومع خلقه بما أشد عبادة إليه وحتم النظر فيه والجد والاستقامة فى الطريق الموصلة إليه وحذر فى كل ماهو بخلاف ذلك

(٣) والقصص وهو عظة الحاضرين باحوال الماضين . هذا ما اشتمل عليه القرآن الكريم وبيان السنة المطهرة . فإذا نظرت وتأملت وجدت أن كل قسم منها يشتمل على حالتين أمر بالتوحيد والتحذير من ضده وأمر بحسن المعاملة والتحذير من ضدها والقصص الأمر فيه باتباع سنن من وفقهم الله والتحذير من ضده وها هو القرآن الكريم الذى أنزله الموجد للعاملين به ولغير العاملين به وهو لما كان لا نبى بعد رسوله ولا كتاب غير القرآن لجعله صالحا موافقا لجميع ما يوجد من بنى الإنسان إلى أن تقوم الساعة وبين لهم فيه جميع أحكام ما يستحدثونه فى تجددات ازمنتهم وبين لهم فيه الأحكام العامة والخاصة . بل قد جعل فيه ما يشمل كل شىء من نوعه كما قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) . ويخلق ما لا تعلمون ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وغير ذلك كثير فى كل شىء بحسبه ونوعه وكفانا قوله تعالى (تبيانا لكل شىء ـ وتفصيلا لكل شىء) . ما فرطنا فى الكتاب من شىء ـ على ما سنبينه إن شاء الله فيما يأتى فى محله ـ ولا يخفى عليك إن ما من حادثة تحدث فى مستقبل الزمان وإلا وقد أجرى الله تعالى من بنى الإنسان فى زمن حضرته صلى الله عليه وسلم لينزل فى شأنها قرآنا صالحا لكل ما هو على شاكلته ليكون أصلا يرجع إليه ما بقيت الدنيا ويصح الرد إليه وبيان السنة فيه وتوفيق من عاصروا رسوله صلى الله عليه وسلم أو من عاصروا من عاصر رسوله صلى الله عليه وسلم وهم المعنيون فى قوله تعالى وأولى الأمر منهم ـ فالمنزل جل شأنه والمبين صلى الله عليه وسلم ومن وفقهم لفهم ذلك ومن اتبعهم إلى أبد الابدين فهم أهل الهداية والتوفيق ومن خالفهم دهر الداهرين فهم أهل الضلالة والتفريق ومن هنا أيضا تعرف أن القرآن الكريم ما أنزل إلا بأسباب قد أجراها خالق الموجودات ليبنى عليها ويرجع إليها ما دامت الأرض والسموات فما نزل لأهل الهداية فهو لأهل الهداية وما نزل لأهل الشقاوة فهو لأهل الشقاوة ومن على مبادئهم وقولهم المشهور إن السنة والقران يؤخذ منهما بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهو ما كان على مبدء وشكل سبب لتنزيل وهذا هو وجه العموم لا بخصوص المنزل لأجله خاصة . وأما قول أهل الزيغ والخوارج ومن على مبادئهم بأن ما نزل بشأن من جعلوا مع الله إلها آخر من عبدة الملائكة والجن والكواكب والأصنام ينطبق على زوار الأنبياء والأولياء والصالحين فهو قول فاسد ورأى باطل لأنه فرق كبير بين العبادة والزيارة إذ طوائف الكفر والإشراك

كانوا يعبدون هؤلاء على مختلف عقائدهم فيهم وعباداتهم لهم على ما بين فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة وأما الزائر فإنه لا يرجو إلا الخير والبركة ممن أظهر الله فيهم آثار صفاته المغايرة للعادة البشرية على ما بين فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة .
وأما إنهم يخلطون فى كلام الله تعالى ويحرفون الكلم عن مواضعه ويريدون أن يبدلوا كلام الله ويقولون فيما نزل فى بيان المشركين وحال الخوارج والضالين ويجعلونه فى شأن الزائرين فهذا من الإلحاد بمكان لأنه كيف يتفق الشرك مع قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) . ومع قوله صلى الله عليه وسلم « والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى » رواه البخارى فى الجنائز وقوله « لا تجتمع أمتى على الضلالة » رواه أحمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير » هؤلاء الخوارج يرمون البرءاء من المؤمنين بالشرك وهم لا يعرفون أى معنى للشرك بل هم إلى الشرك أقرب ولو رأيت حالهم مع من يعدونهم بالمال لحكمت عليهم أنهم هم المشركون . حقا لأنهم يعملون لمناقضة صريح الآى القرآنية والسنة النبوية وإجماع خيار الأمة فى مقابل عرض زائل يأكلون فيه كما تأكل الأنعام . ولا يبالون بمعارضة كل ذلك . فانظر أى الفريقين أشرك – تراهم احيانا يأخذون بظاهر القرآن وأحيانا يؤولونه على حسب مايسول لهم الشيطان ولكل مقام مقال عندهم يتلونون بلون المقامات كأسلافهم المارقين . هذا وإنا نرجع بك إلى ما قدمنا من أن القرآن الكريم بين حال المؤمنين والكافرين والوسط بينهم من المنافقين . والمنافقين على قسمين قسم منهم إلى الكفر أقرب وهم من قال تعالى فيهم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وقسم منهم إلى الإيمان أقرب من الكفر وهم من قال تعالى فيهم – (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) ولما كان ماقدمنا لك من الأصل فيمن نزل بسببهم القرآن على قسمين مؤمن وكافر ومن على شاكلة الكفار أهل الزيغ والضلال والإلحاد والمارقين والخوارج وجميع أهل الفرق ممن بينا وسنبين كما قال تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وقال تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها إن) الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا) ومنهم من يستمع

إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم) فالمتبادر من هذه الآيات القرآنية الصالحة بكل زمان النازلة بالأسباب فهى شاملة لجميع فرق الزيغ والضلال وأهل الأهواء من الخوارج وغيرهم على ماحققه وخرجه كبار أئمة التفسير . راجع تفسير الفخر والقرطبى وغيرهم وإنهم لايزالون كذلك وقد جاء فى السنة المطهرة ما بين ذلك وها هو ما رواه أبو داود فى سننه من حديث معاوية بن أبى سفيان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ، (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين واثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله) قال القرطبى فى تفسيره للقرآن الكريم فى الجزء الرابع عند قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا صحيفه ١٦٠ بعد الحديث المستدل به السالف الذكر ـ فقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية ـ والقدرية ـ والجهميه ـ والمرجئه ـ والرافضه ـ والجبرية ـ وقال بعض أهل العلم أصل الفرق الضآله هذه الفرق الست ـ وقد انقسمت كل فرقة منها اثنى عشرة فرقه فصارت اثنتين وسبعين فرقة وقد بينها فرقه فرقه إلى آخرها تتمه فى الخوارج . وفى صحيح الترمذى عن أبى غالب قال رأى أبو أمامه رؤوسا منصوبة على باب دمشق فقال أبو أمامة كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء ـ خير قتلى من قتلوه ـ ثم قرأ ـ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآية : قلت لأبى أمامه أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه . قال هذا حديث حسن . وفى صحيح البخارى ـ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنى فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم قال أبو حازم فسمعنى النعمان بن أبى عياش فقال هكذا سمعت من سهل بن سعد فقلت نعم فقال أشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعته وهو يزيد فيها فأقول إنهم منى فيقال إنك لن تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدى . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ـ فمن بدل أو غير أو ابتدع فى دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطر ودين عن الحوض المبعدين منه المسودى الوجوه

واشدهم طردا وإبعادا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون انتهى منه صحيفه

١٦٨ — وقد روى فى مسند الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول القرآن يضعه فى غير موضعه) وفى صحيح البخارى (يخرج ناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم) وفى رواية (حناجرهم) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه سيماهم التحليق وعند مسلم من رواية عبدالله ابن أبى رافع عن على رضى الله تعالى عنه يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم وأشار إلى حلقه — وفى صحيح البخارى ومسلم والترمذى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا يارسول وفى نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا وقال فى الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرنا الشيطان كلما قطع قرن ظهر قرن إلى أن يظهر المسيخ الدجال) وورد لما قتل على ابن أبى طالب كرم الله وجهه الخوارج قال رجل الحمد لله الذى أبادهم وأراحنا منهم فقال على رضى الله عنه كلا والذى نفسى بيده إن منهم من هو فى أصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيخ الدجال — وقد أنزل الله تعالى فى بنى تميم — (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) ونزل فيهم أيضاً (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) انتهى من سعادة الداربين ثم قال أعلم أن الخوارج صنف من المبتدعه يتعدد خروجهم كما صرحت به الأحاديث ومنها ما قدمناه وأول ما حدث مذهبهم فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقاتلهم الإمام على بالنهروان وكانوا أكثر من عشرة آلاف فلم يقتل ممن معه إلا دون العشرة ولم ينج منهم إلا دون العشرة فانهزم اثنان منهم إلى عمان واثنان إلى كرامان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى تل موزون باليمن وظهرت بدع الخوارج فى هذه المواضع منهم وبقيت إلى الآن لكونه قد انضم إليهم من مال إلى رأيهم وسبق لك أن آخرهم يكون مع المسيخ الدجال . وكانوا يوم النهروان أهل صلاة وصيام وفيهم قال النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الوطأ والصحيحين وغيرها — تحقرون صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم وصوم أحدكم فى جنب صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم وهم المارقة أى لمروقهم من الدين كما صرحت به الأحاديث — وقال فى سعادة الداربين : قال الشيخ داود فى

كتابة صلح الإخوان إن أول من أظهر كفر أهل السنة والجماعة وتشريكهم هم الخوارج والرافضه . والمعتزلة ـ والخوارج هم كما فى البخارى ومسلم وغيرهما من سائر كتب الحديث ـ أناس عملوا إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين . قال البخارى فى صحيحة باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم وقول الله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) وكان ابن عمر يراهم شرار الخلق وقال أنهم عمدوا إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين ـ وقال ابن عباس فى قوله (تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وفى الآية الآخرى فإخوانكم فى الدين ـ قال حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وإنما نزلت فى أهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا على أهل السنة بالضلال فعليكم بالعلم بما أنزل الله به القرآن ـ انتهى ـ وذكر السيوطى فى الدر المنثور فى تفسير القرآن بالمأثور قال اخرج بن المنذر عن سعيد ابن جبير قال المتشابهات آيات فى القرآن يتشابهن على الناس إذا قرؤهن ومن أجل ذلك يضل من ضل فكل فرقة يقرؤن آيات القرآن يزعمون أنها لهم ومما تبعه الحروريه من المتشابه قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ثم يقرؤن معها (والذين كفروا بربهم يعدلون) فإذا رأوا الأمام يحكم بغير الحق قالوا قد كفر وعدل بربه ومن عدل بربه فقد أشرك بربه فهذه الأمة مشركة . والحروريه الذين ذكرهم سعيد بن جبير هم الخوارج فتبين لك أن علامة الخوارج تنزيلهم آيات القرآن النازلة فى الكفار على المؤمنين من أهل القبلة ولذا لا ترى أحدا من أهل السنة يتفوه ذلك ولا يكفر أحداً ومنشأ هذه البدعة من سوء الظن واتباع العقل وأول من أظهر هذه أصل الخوارج التميمى الذى أساء الظن بالنبى صلى الله عليه وسلم وحكم عقله الناقص لما رآه يعطى بعض الناس كثيراً لحكمة تألفهم على الإسلام ولضعف إيمانهم ويعطى بعضهم قليلا لعلمه قوة إيمانهم وعدم نظرهم إلى حطام الدنيا واكتفائهم بالله ورسوله كما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم ومسند الإمام أحمد وغيرهما اهـ قد أجمع الأئمة على أنهم إن خرجوا عن قبضتنا أو تضررنا بهم بأن أظهروا بدعتهم أو دعوا إليها تعرضنا لهم ولو بالقتل أو الحرق كما فعل سيدنا على رضى الله تعالى عنه وأجاز بعض علماء الحديث قتلهم مطلقا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم كما مر إذا لقيتموهم فقتلوهم فإن فى قتلهم الجزاء عن قتلهم عند الله يوم القيامة ومذهب طائفة من المحدثين إن الخوارج

كفار على ظواهر الحديث لكن الذى عليه الجمهور منهم كالفقهاء عدم كفرهم بل فسقهم إن استندوا إلى تأويل ولو باطلا لأنهم لم يفعلوا محرما فى اعتقادهم ما لم ينكروا شيئاً من أصول الدين وضرورياته كحدوث العالم وحشر الاجساد وصحبة أبى بكر رضى الله تعالى عنه أو يبيحوا محرماً مجمعاً على تحريمه كنكاح بنت الابن والاخت ونحو ذلك من بعض مامر عنهم فإن قاتلوا المسلمين فسقوا لأن شبهتهم فى قتالهم باطلة قطعاً . وقال الحلبى فى السيرة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخوارج أهم كفار ؟ فقال من الكفر فروا فقيل أمنافقون؟ فقال أن المنافقين لا يذكرن الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيراً فقيل ما هم ؟ فقال إصابتهم فتنه فعموا وصموا اهـ أى فلم يجعلهم كفاراً لأنهم تعلقوا بضرب من التأويل وإن كان فاسداً .

(فيض فى التبيين من الله الملك الحق المبين)

غير خاف على من له مسكة عقل واطلاع على ما قرره أفاضل الأمة الإسلامية وهم عقلاؤها على قوله تعالى (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وقوله تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) فقالوا إن مبدع الكائنات جل وعلا قد جعلها ببديع صنعته وعظيم قدرته على المقابلة والمماثلة ، وربطها برقائق اقتضتها الحكمة وحسن الاختيار ، وذلك بما ظهر لهم فى آثار الصفات واشراق الاسماء له تعالى فقالوا إن جميع المخلوقات أزواج أى صنفان ونوعان . سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة ودنيا وأخرى وجنة ونار والحيوانات والنباتات كذلك والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكر والأنثى والحق والضلال والحلو والحامض ولهذا قال تعالى (لعلكم تذكرون) أى لتعلموا إن الخالق واحد قادر متصرف بيده ملكوت كل شىء لا شريك له قال تعالى (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) ملك السموات عالم الأرواح وملك عالم الأجساد وهو المتصرف فيهما بيد قدرته بل العوالم على اختلافها فهى مظاهر شؤون ذاته ومظهر آثار صفاته وإشراق نور اسمائه ، هذا ما عليه المحققون . أبعد هذا يظن الغمر أن للموجودات فيها أثر وفعل مستقل حتى ينسب إلى قاصديها الشرك المتصرف عن الله تعالى بتوجهه إلى

موجوداته تعالى التى خلقها له وأمره تعالى بالتوجه إليها قال تعالى (واسالوا الله من فضله) أى مما قربه إليكم وجعله بين أيديكم .

إذ كل عاقل يعتبر أن لكل موجود فى للمكنات جهة لله تعالى أى صلة به عزوجل إذلولاها لم يكن موجوداً بل يكون معدوما إذ يقول تبارك وتعالى فى جميع موجوداته فى وصفه إياهم بالحياه للناسبة فى كل موجود (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) وعندنا الشىء هو للوجود ، ولا يعتبر وجوده إلا بوجود موجده إذ به الدلاله عليه ولو لم يكن له الصلة بموجده فلا وجود لوجوده لأنه يعطى لغيره ما خلق لأجله وبه تكون له الدلالة عليه ولا يكون ذلك إلا بوجود جهة له تلى جهة واجب الوجود جل وعلا وهى الصلة للعنوية لأنه تبارك وتعالى خالق للمانى والصور فالمعانى له تبارك وتعالى يبديها ولا يبتديها والصور مظهر آثار صفاته تعالى إذا الصفة لابد لها من أثر يدل عليه بهذا الاعتبار وإلا كان وجوده عبثا وهو محال لأن وجود ما سواه تعالى ليس ذاتيا بل مستنداً إلى الواجب الوجود جل وعلا فى كل آن وهذا هو المختار عند جميع عقلاء الأمة الإسلامية قال تعالى (ألا إلى الله تصير الأمور) أى الديمومة ، إذ جميع الأمور صائرة إليه تعالى على الدوام لا إلى غيره . أى على الدوام وإن كانت فى الظاهر فى ملك غيره بحيث يظن الجاهل أن ملكها مستقر له . قال أبو حيان اخبر بالمضارع والمراد به الديمومة كقوله زيد يعطى ويمنع أى من شأنه ذلك ولا يراد به حينئذ حقيقة المستقبل . الأمور : كلها من الخلق والأمر معنى وحسا كما كانت الأمور كلها مبتداه منه وحده وفى ذلك وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين فيجازى كلا منهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى أى الديمومة والاستمرار بأن جميع الأمور بما هى عليه من حركة أو سكون صائرة به تعالى وإليه .

وما قرر الأفاضل من أن للوجود على المقابلة والمماثلة إلا لما رأوه فى أن بالمقابلة يحصل التضاد والعناد وبالمماثلة يحصل التألف والتواد وحتى قال بعضهم إن كل شىء على شيئين ذكر وأنثى فى الحيوان والدواب والهوام والحشرات والطيور والأسماك كذلك أخذا من قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) وأبانوا وأوسعوا فى بيان ذلك حتى قالوا أن ذرات الأجسام المركبة ما تركيب إلا من ذرات ذكر وانثى وبعضهم قال أن بين الذرات ارتباطا سالبا وموجبا ولولا ذلك ما تماسكت الأجسام المركبة حتى قالوا من عظيم قدرته تبارك وتعالى ما أبانه لعباده

فى ذلك بقوله تعالى (فسبحان الذى بيده ملكوكل شىء) وفى قوله تعالى (ألا إنه بكل شىء محيط) من أن تماسك الذرات فى الأجسام لا تنفك إحداها عن الأخرى وقال المتأخرون من العلماء تماسك الذرات عبارة عن التجاذب الطبيعى الذى هو يسمى بالسالب والموجب ، هذا حسن لما هو مشاهد ومعاين فى كل الأجسام المتركبة ، وعند بعضهم المتقابلات كإمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال والألوان كذلك والأملاح والكباريت والمعادن وهكذا من كل مبدع له تعالت عظمته ولكنهم لم يتكلموا فى ناحية هى من أجل النواحى وأبدعها وأدق اللطائف الربانية وأرفعها إذ له تبارك وتعالى فى كل مبدع سر خفى وقد لفت نظر عباده إليه كثيراً ولكن قل من عرف ذلك وامعن النظر فى أسرار المبدعات ووجه نظر دلالتها عليه وما كان غرض حكمة الوجود منها إلا لذلك بل ظن الكثير أن الله تعالى لم يجعلها كذلك إلا للتميز بل وللانتاج لدوام العمران بل وجعله على حالتين إلا وهى ما تسمى بالزوجين كما أبان سبحانه وتعالى ذلك لعباده فى تكوين الإنسان من أنه سبحانه جعله على مقتضى الصفتين المتقابلتين الرحمة والغضب عند قيام الحجة على اللعين عند ابائه عن السجود لآدم وقد قررنا مراراً أن الله تعالى لم يرد فى إيجاد جميع ما خلق إلا ابن آدم وهو المقصود بالذات فى هذا الوجود ومراده فى هذا الابداع ولذا كان هو الأصل قبل إبداع كل مبدع له تبارك وتعالى كما هو صريح القرآن والسنة وقد بيناه مراراً ، وما أوجد تبارك وتعالى بعده من كل مبدع إلا له ولأجله حتى كان ما فى الوجود على مثاله من حيث الحالتين أى الزوجين أو الصنفين أو النوعين أو الجهتين أو الوجهين على ما بين لنا سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز وسنة نبيه المطهرة .

فما من موجود له تبارك وتعالى إلا وقد جعله على حالتين حالة له تبارك وتعالى متصلة به جل شأنه سواء علم المخلوق بها أو لم يعلم بحسب حجبه التى جعلها الله عليه من اللطافة أو الكثافة وقوة الإيمان وضعفه فتلك الحالة يعطى منها المخلوق من الله تعالى ما خلق لأجله وينفذ بها جميع ما قضاه عليه أزلا حتى لا يتخلف منه أوعنه شىء فى ذلك وبها كانت نسبته بالله له إلى الله تعالى نسبة حقيقية لاتصاله بمبدعه فى الإيجاد والإبداع بما اشتمل عليه فى افتقاره إليه تعالى جزئياً أو كلياً وإن من شىء إلا يسبح بحمده فاتصاله بخلقه سبحانه وتعالى بهذا الوضع الآلهى الذى به تصح نسبته إليه تبارك وتعالى فى كل ما تحرك أو سكن قال تعالى (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

(إليه يرجع الأمر كله) يعنى أنه ليس لمخلوق أمر من الأمور إلا بأذنه سبحانه وتعالى نافذ فى جميع الأشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها يعنى إلى الله يرجع أمر الخلق كلهم فى الدنيا والآخرة قال تعالى إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) وقال تعالى (أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن أنه بكل شىء بصير) فإنك لا ترى مخلوقا له تبارك وتعالى إلا وله جهتان جهة لها الاتصال بخالقها لتكون بها حياة ذلك المخلوق حتى يصدق عليه أنه يسبحه تبارك وتعالى وبهذا يكون مشتملا على الحالة التى شاء عز وجل شاء أن يكون عليه ويجد الطالب لها فيها ومنها مطلوبه ليكون ذلك من مصداق قوله تعالى (واسألوا الله من فضله) وقوله تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) وباب الخلق خلق على ما قرره أفاضل الأمة . والجهة الأخرى هى التى يقصدها المخلوقة لأجله لينتفع بها ويجد حاجته فيها ، وذلك فى كل شىء بحسبه بمعنى أنه تبارك وتعالى خلق الحب والفاكهة والطير والأسماك بل فى كل شىء من الأجناس الثلاثة الحيوان والنبات والجماد بل فى الطبائع الأربعة النار والتراب والهواء والماء ذا جهتين جهة يظهر فيها فعله المراد له تعالى من الإنبات وطعم المأكول والمنفعة لغيرها مما خلقت له يبديع صنعه جل شأنه تعالى فهى تؤدى المعنى المراد منها للطالب لها ومنها تعرف الدلالة على مبدعها ويعرف أنه لولا إن لها مكونا جلت قدرته وإمداده لها تعالى بالمعنى الذى خلقت له ما أدت المعنى المراد له تعالى ولا المراد للطالب لها قال تعالى (افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) الآيات وهكذا فى كل مكون له تبارك وتعالى له جهتين جهة يفعل فيها وبها ينسب فى القابل له حتى يظهر المشاهد وبالجهة التى يظهر بها ينسب إليه الفعل فى الظاهر المشاهد وبالجهة التى لها بالمبدع الذى له أصل الإبداع والخلق كما شاء يرجع فيها إليه عند ذكر سلسلة الإتصال به وإليه سبحانه قال تعالى (إليه يرجع الأمر كله) وقال تعالى (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) فالعارفون لربهم ينسبون الفعل له تبارك وتعالى كما ورد عن سيد العارفين صلى الله تعالى عليه وسلم « عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لم يقل لى مرة لم فعلت هذا هكذا ولا لم تركت هذا هكذا وإنما كان يقول ماشاء الله قدر وأراد » . وهكذا عرف الصحابة من حضره والتابعون ومن تبعهم فى المعرفة إلى وقتنا هذا بل إلى يوم الدين إن شاء الله . وإليك ما ذكره العلامة القليوبى

فى نوادره أن إبراهيم بن أدهم الزاهد اشتهت نفسه الرمان وكان مخالفاً لها فجاءه البستانى برمانه فوجدها حامضة فطلب غيرها مراراً حتى غضب على البستانى فقال له أنى مخالف لنفس عن أكل الرمان كذا سنين ولكن أعرف جهة الحلو وجئتك منه والحامض فى جهة أخرى ، فعرف أنه لم يساو شيئاً فى مقام المخالفين لانفسهم وأنه عارض محبوبه عز وجل بغضبه على البستانى فانصرف فبينما هو يمشى رأى رجلا ملقى على ظهره بجوار الحائط وجسمه يسيل منه الصديد وعليه تحف الزنابير وهو يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من خلقه فقال له وأى شىء لم يبتل به غيرك فقال إليك عنى ياجهد ألم يترك لى قلبا يوحده ولساناً يذكره فقال له إبراهيم حيث أنك من أهل هذا المقام أدع الله أن يصرف عنك الزنابير فقال له نهش الزنابير فى الأبدان خير من اشتهاء نفسك الرمان ولما رآك أنك عبد معارض بدل لك الحلو بالحامض فهام ابراهيم على وجهه . وكما حصل من بعض العارفين أنه اشترى بطيخة غير حسنة وقد اعترضت عليه زوجته فقال لها أما أنا فقد اجتهدت فى الشراء والتاجر أيضاً اجتهد والزارع أيضاً اجتهد اللهم أن كنتى تعترضين على الله تعالى فسلمت مستدلة بقوله تعالى (فعال لما يريد) فهذا وجه الفعل له تعالى وحقيقة تكوينه الأشياء على مراده جل وعلا ووجه أثرها فى الخارج الذى يعطيه لطالبه ولا يكون فى نظر طالبه إلا كذلك فينسب الفعل الظاهر له من كل الوجوه وعليه تكون نسبته إليه نسبة حقيقية وتصح إليه تلك النسبة وعليه فلا يكون ذلك المعتقد فيه مشركا ولا معتقدا أن مع الله فاعلا آخر .ومن أعظم الأدلة مداعبة الحق عز وجل مع خليله عليه السلام فى وضعه السكين عند الذبح وقد تخلفت عنه وكذا تخلفت نار النمروذ عن الحرق وتقذت عصى موسى الأمر . وصار الطين طيرا لعيسى عليهم السلام ، وضرب بنى إسرائيل المقتول ببعض لحم البقرة ، وما ورد فى صحيح السنة أن موسى عليه السلام نادى الحجر وأخذ يعدو وراءه حتى أدركه ومال عليه ضربا بالعصى .

وهكذا فى كل موجود له تبارك وتعالى من الموجودات التى خلقها لعباده ولفت نظرهم إليها بقوله تعالى (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء) فأنت ترى التاجر يخرج القطعة الخشبية ظاهرها تعطى طالبها حاجته فيها وباطنها تكوين الحق عز وجل لها على هذا الوضع كما شاء سبحانه وتعالى ووفق الصانع لها وهيأ له كل ما يلزم فى تركيبها فسبحان من أعطى كل شىء خلقه ثم هدى.

ونسب الأفعال لفاعلها . وهكذا البناء ظاهر ما بناه يعطى طالبه حاجته من كل الوجوه وباطنه الوضع الآلهى الذى شاء سبحانه أن يكون عليه وينسب هذا العمل إليه نسبة حقيقية وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد .

إيضاح

بينما كنت فى مجلس من العلماء أقرر بيان هذا الفضل العظيم والفيض الكريم من أن الله تبارك وتعالى جعل كل فرد من موجوداته عز وجل على جهتين أى وجهين وجه له سبحانه له به تمام الاتصال من الحياة والتسبيح والقهر وله به تمام الأمداد ليقوم بجميع ما خلق لأجله ، ووجه للمخلوق ليؤدى له به جميع ما يطلب منه فيما خلق لأجله إذ قال أكبر العلماء بالمجلس : أظن هذا لا يكون إلا فى بنى آدم فقلت : بل فى هذا المكتب وهذه الترابيزه وهذا الكرسى وهذه العصاه لأن كل فرد منها عبد لله داخل تحت الشئ الذى يسبح الله تعالى وبهذا ألبسها الحياة الخاصكية التى التى تؤدى بها ما خلقت لأجله وجهة ينتفع بها العباد فى ما يلزمهم لما خلقوا لأجله مقهورين لذلك قال تعالى (وهو القاهر فوق عباده) وهكذا فى كل مكون فى الوجود لا بد له من ذلك ، وقد يعبر عنها عند نتائج الأعمال بالوسائل ، والوسيلة هى السبب للوصل إلى الغرض المطلوب كما يشهد لذلك ماقص تبارك وتعالى فى كتابه العزيز من قصة الخضر رضى الله تعالى عنه وسيدنا موسى عليه السلام إذ قال الخضر (وما فعلته عن أمرى) وقال (أراد ربك أن يبلغا أشدهما) على أن ما جاء فى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى إقامة الجدار الذى لو اجتمع أهل بلد لا يستطيعون تقويمه « فقال الخضر بيده هكذا » فأقامه فعبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن الفعل بالقول .

واعلم أن ما بيناه لك يشمل النبات والجماد والحيوان والطيور والهوام والحشرات والهواء والماء والنار والتراب فإنك تجد فيها جميع ما أبناه لك فإذا نظرت إلى وجودها تجدها ما أوجدت إلا لتعطى مبدعها ما خلقت لأجله ، ولا تتخلف عند الطلب منها عما خلقت لأجله ومرجع الأمر كله عند النفاذ إليه جل وعلا لم (إليه يرجع الأمر كله) ، وهذا فيما يتعلق أو يختص بالأشياء الموجودات التى نصبها تبارك وتعالى للدلالة على معرفته جل وعلا وقد لفتنا النظر إلى حقائق ما هى موجودة عليه بقوله تعالى (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ) من حسن الوضع

وتنسيق الترتيب ومراعاة النسب والمناسبات وربطها برقائق اقتضتها الحكمة وحسن الاختيار من حيث إنشائها وابداعها منه عز وجل وإفادتها لبنى آدم على المعنى المراد منها وأنه يجد فيها غايته التى يتطلبها فى حياته عارفا بأن خالقها ما خلقها إلا له وفيها ومنها غرضه وبغيته ، وغير خاف أن ملكوت الأشياء أعلاها وهى المتصلة به تبارك وتعالى قال عز من قائل (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) وقد ذهب بعض أفاضل الأمة إلى أن عالم الأرواح للاشياء عبارة عن الملكوت وعالم الأجساد عباره عن عالم الملك قال تعالى (قل من بيده ملكوت كل شيء) .

فهل إذا قصد الإنسان هذه الأشياء يكون معرضا عن الله تعالى ؟ ويكون مشركا له من حيث قصدها وهى ما خلقت إلا لذلك وجعل غايته فيها ويكون ممتثلا لقوله تعالى (ومن أتوا البيوت فى أبوابها) اللهم لا إذا اعتقد غير ذلك كان غير ممتثل لأمره تعالى وقد ضل الطريق المستقيم وإذا كان هذا ما نصبه الحق عز وجل للدلالة على توحيده ومعرفته سبحانه وهو على جهتين أفلا يكون فى الإنسان بطريق الأولى وهو محل نظر الحق من هذا الخلق ؟ وقد قال الله تعالى فيه (ولقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) وقوله تعالى (خلقكم فاحسن صوركم) وقوله تعالى (يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) على أنا قد قررنا مراراً وتكراراً أن الله تعالى ما خلق شيئاً وخاصة بنى آدم إلا وقد جعله على جهتين جهة تقابل الحق سبحانه وتعالى ليجرى عليها أمره وينفذ فيها مراده قال العارف:

بهم تصرفه فى الكائنات فما يشاء شاءوا ماشاؤه يقضيه

فالوجود على مراده هو جل وعلا لامراد المخلوق ولا رغبته . ولكن لما كان ما قضاه سبحانه عليه أزلا وجعل تكوينه مشتملا عليه قال تعالى (والله خلقكم وما تعملون) يظن أنه هو القائم بذلك من تلقاء نفسه لرغبته فيه واقباله عليه ، وفى هذا ولأجله صحت نسبة الأفعال إلى الله تعالى حقيقة كما قال سبحانه (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وقال تعالى (ولا تقولن لشيء أنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) وقال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقال تعالى (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وقال تعالى (ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً) وقال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) وقال تعالى (فعال لما يريد) ، ومن هنا

إذا نظرنا إلى الخلق والتكوين ومصدر إيجاد الفعل فلا يكون إلا به ومنه ومرجعها إليه سبحانه قال تعالى (إليه يرجع الأمر كله) أى فليس لمخلوق أمر ولا نهى إلا باذنه تعالى يعنى أن أمره سبحانه وتعالى نافذ فى جميع الأشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها . دنيا ودينا وأخرى ، (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) حتى على هذا يصح قول الموحد وحد لا شريك له .

فإذا عرفت ذلك فأعلم أن هذه الناحية هى التى يأتى منها إبليس اللعين إلى الضالين الذين أضلهم الله على علم وغير علم ويقولون حيث كان سبحانه وتعالى كذلك وحده لا شريك له فلأى شيء يقضى لبعض عباده بالكفر والشقاء إلى النار ؟ وإن العبد لا يرغب فى ذلك وينسبون الظلم إلى الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً . حتى أن اللعين قد ظهر للامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وسأله قائلا : أرايت من خلق كما اختار وسير كما اختار وحكم فقضى إلى النار . هل عدل فى ذلك أم جار ؟ فأجابه رضى الله تعالى عنه بقوله : إذا كان خلق كما اختار وسير كما اختار وحكم وقضى إلى النار إذن هو الفاعل المختار . فتصاغر اللعين وقال والله لقد أخرجت بها سبعين ألف عابد من مقام العبودية . وقد قلنا كثيراً ما قاله أفاضل الأمة ، القضاء والقدر من الاسرار الإلهية التى يجب الإيمان به ولا يجوز الخوض فيه ، بل على العبد أن يمتثل للأوامر الآلهية ويجتنب النواهى ويفوض الأمر إليه سبحانه وتعالى ، وقد قدمنا الكلام فى ذلك حتى ما قاله أهل التاويل على قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) التى منها أن الله تعالى لما خلق الأرواح أزلا خلق لها حالتين مزخرفة وغير مزخرفة وعرضهم عليها فمن رغب فى الزخارف فهم أهل النار ومن رغب فى غيرها فهم أهل الجنة ، ولذلك هم يسألون لرغبتهم فى ذلك ، ومنها أن الله تعالى خلق كل على مقتضى حكمته العالية فمنهم من وفق للخير ومنهم من لم يوفق بحيث لو ترك المخلوق وشأنه فلن يختر ولايرغب إلا فيما خلق لأجله فهم يسألون لإختيارهم ذلك ، ومنها إن الله تعالى خلق فى كل إنسان جهتين جهة تدعوه للشر فمن وفق للخير فهو من أهل السعادة ومن وفق للشر فهو من أهل الشقاوة وحيث كان تكوين المخلوق على هذا الوضع ولا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى فهم يسألون على عدم عملهم فمن هم أهل السعادة ووجودهم كان واحداً فلم لم يعملوا مثلهم قال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم

لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) وقال تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين) ومنها إن الله تعالى حكيم علم لا يضع الأشياء إلا فى موضعها ومن كان كذلك فلا يسأل عما يفعل والاعتراض عليه باطل وسفه وهم يسألون فى تعديهم طورهم فى إعتراضهم عليه لأنه لا يفعل عبثا حتى يقال ممن علمه محدود وقاصر عن العليم بدون سبق جهاله لم فعل ؟ ومنها أنه تعالى على مقتضى وصفه الكمالى الذى لا تنشأ عنه ومنه إلا كما لا وعدلا وانصافا وقد ورد أنه تعالى خلق الخلق وقال هذه للجنة ولا أبالى وهذه للنار ولا أبالى: قال تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) وقال تعالى (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ومن كان كذلك جل شأنه فلا تكون أفعاله إلا على مقتضى الحكمة العالية التى لا يعلم مداها إلا هو سبحانه وحسن الاختيار المنزه عن الشبه التى تحوم حول الظلم والغرض ، وما يقال هنا يقال فيما ورد من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله تعالى (ويوم نقول لجهنم هل امتلئت وتقول هل من مزيد) فيخلق الله تعالى لها خلقا فيدخلهم فيها ،وحديث) تحاجت الجنة والنار تقول النار يدخلنى المتكبرون وتقول الجنة يدخلنى الضعفاء والمساكين قال الحق عز وجل لكل منكما ملئها» الحديث يرويه البخارى أفهل هذا المخلوق الضعيف الحادث الذى جعلت معلوماته محدودة يعترض على خالقه الكبير المتعال ؟ وهل له فى نفسه شىء من جلب نفع أو دفع ضر أو حركة أو سكون، وما أجمل من يرد على من يقول إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ورفع رجله وقال ها أناذا رفعتها فقال له ارفع الاخرى فبهت الذى كفر، أفهل العبد الجاهل الحقير العاجز المسكين يظن فى ربه أنه يفعل الأفعال مثله فى غير محلها ويجوز عليه الخطأ

أو وضع الشيء في غير محله ، إن هذا لجهل محض وضلال مبين ، ويجب على قائله أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ويفوض أمره إليه ويعرف إن مقامه عند الله ، حيث أقامه هذا ما يتعلق بالوجه الأول الذى له الصلة بخالقه تبارك وتعالى ، أما الوجه الثانى الذى فطره عليه مبدع الكائنات جل وعلا الذى جعله مقابلا للخلق ليؤدى به جميع ماخلق لأجله ولا يتأخر عند الطلب منه لعباده تادية على اتم استعداد وأكمل توفيق لعباد الله تعالى الذين خلقهم له يتطلبون منه ذلك وليعلم الطالب والمطلوب إن الله تعالى خالقهما وهو الفاعل فيهما للقيض لهما المسخر فى ذلك ولذلك ، هو ضمن الأشياء التى تحت قبضة وقهر من بيده ملكوت كل شيء ، وهو المعنى المراد من ارشاده سبحانه لعباده فى قوله تعالى (واسألوا الله من فضله) أى مما قربه إليكم وجعله بين أيديكم على ما قرره أفاضل الأمة ، وإلا إذا كان على ما فهمه جهلة الضالين الذين غفلوا عن هذا الفضل وفهموا فضله الذى لانعرفه فيكون على هذا أن هذا الموجود الذى هو بين أيدينا وفيه جميع حاجياتنا ليس من فضله تعالى كما يقول كل ضال منهم بانصرافه عن موجوداته تعالى التى جعل فيها حاجته وارشده إليها تعالى وهو منصرف عنها لعدم هدايته وتوفيقه إليها يقول قال تعالى (ادعونى استجب لكم) (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب) (واسألوا الله من فضله) وهو لا يعقل لهذه الآى معنى إلا أنه اجهد نفسه فى المخالف وتكلف لها ما يوحيه إليه الشيطان بما يوافق هواه فى انصرافه عن الجادة والطريق المستقيم ومخالفته لإجماع المسلمين . وأعلم أن هذه هى النقطة الوحيدة التى هى نهاية الحد الفاصل بين أهل الحق . والضلال ، وإليك البيان . فأما أهل الضلال فهم فرق كثيره ولهم فى الضلال نواحى شتى وتفرقهم فيه من حيث الإعتقاد ، والاعمال ، وفى كل منهما ، من الاقوال والافعال جهات تكاد أن لا تنحصر على ما قرره أفاضل الأمة الإسلامية إذ منهم من ينكر واجب الوجود سبحانه وتعالى ، وهم الدهريون ، والطبيعيون ، والوجوديون وأساس تلك العقائد الزائفة أنهم لم يروا الله تعالى كما قال أسلافهم (أرنا الله جهرة) (وما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) كما قص تبارك وتعالى علينا ذلك (ومالهم به من علم إن هم إلا يظنون) ولهم غير ذلك كثير . ومنهم من يقول : بوجود الإله ولكن

لا يناسبه إلا أن يكون له جهة السماء ، أو على العرش ، ومع خلقه تعالى بعلمه ، ومنهم من يقول لا قضاء ولا قدر ، وإن الأمر أنف ، ولهم غير ذلك كثير ، ومنهم من يقول: بوجود الآله وله جهة السموات ، وإن أفعال العباد للعباد بالقوة المودعة للحياة الدنيا فقط والآخرة للجزاء فقط ومنهم من يقول : إن البارزين من خلق الله تعالى من الأنبياء والمرسلين والأولياء وعباده الصالحين أفعالهم لنفسهم فقط ومنهم من يقول: إن لله تعالى أعمالا وأفعالا لا تطلب إلا منه وإذا طلبتها من غيره من خلقه تكون مشركا ، ومنهم من يقول : نعم يصح طلب الأشياء من بنى آدم المكرمين الأحياء فقط فلا يصح الطلب من الأموات لأنه قد مات وانتهى وطلب شىء منه عبث ومناداته شرك لأنها مناجاة لغير الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ويستدلون أيضاً بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « وإذا سألت فاسأل الله » الحديث والحمد لله تعالى على توفيقه بردنا على ذلك كله بأجمل بيان وأوضح تفصيل . وأما أهل الحق فانهم يعتقدون بأن مبدع الكائنات جل وعلا لم يخلقها عبثاً بل على الحكم العالية والصنع البديع وجعلها سبحانه وتعالى دالة على معرفته ولفت نظر عباده إلى ذلك بقوله تعالى (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء) فهم بتحقيقهم وتحققهم من وحدانيته تعالى فى الذات والصفات والأفعال من الإبداع والإيجاد وإنها أى المبدعات لم تأت بشىء من نفسها ولا بطبعها بل بفعله تعالى فيها وتسخيره إياها فهم يراعون دائما وأبداً الفاعل فيها وبها جل وعلا ولا ينسبون أى فعل من الأفعال إلى ذات المباشر للفعل وإن كانت النسبة إليه ظاهرة وإلى موجده ومسخره وخالقه على هذا الوضع حقيقة ، لأنهم على ما هم عليه من الحق والتحقيق وبنظرهم العالى إلى أفعال من جعلهم الله تعالى دالين عليه عليهم الصلاة والسلام من لم تخرج عن الأسباب العادية حتى فى الأمور الخارقة للعادة انظر إلى نوح عليه السلام وهو أول رسول وقد عورض منها فلم تكن نجاته ومن آمن به إلا بالسفينة التى لم يتم صنعها وقد سرق قومه ما أعد لصنعها فلجأ إلى الله فأوحى الله تعالى إليه أن اتخذ الكلب حارسا وهكذا نجاة هود ومن آمن معه بالملائكة وهكذا صالح عليه السلام ولوط عليه السلام كذلك وها هو سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين الذى أعطاه الله تعالى البراهين والأدلة العقلية التى حاج بها

قومه وكانت أقطع من السيوف البواتر لنحورهم ، وما حدث له عند نزوله مصر وما ترتب على ذلك من الأسباب العادية الكمالية ، وما حصل له من الضيق الشديد وإرساله لصاحبه للصرى واقتراضه منه شيئا من الحبوب ، وهكذا ولد ولده يعقوب عليه السلام وما حصل له ومنه من التجائه للأسباب فى كل تطوراته وما حصل من بنيه مما قص تبارك وتعالى علينا فى كتابه العزيز ومن مهامها قصة يوسف عليه السلام وداود وسليمان وأيوب عليهم السلام ونسبته الضر إلى الشيطان وتوجيه الله تعالى له للأخذ فى الأسباب وأنها تؤدى له المعنى المراد وسليمان وبساطه ومادار فى شأن بلقيس وكذا موسى عليه السلام وما آتاه الله عزوجل من معجزاته العصى التى أبان لنا تبارك وتعالى فيها ما أبانه من أكبر المعجزات الدالات على بديع صنعته وعظيم قدرته وهكذا عيسى عليه السلام وفى قوله للحواريين من أنصارى إلى الله وفى طلب الحواريين إنزال مائدة من السماء ، وفى صنعه الطائرة من الطين وهكذا سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الله عز وجل له (حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) (ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) (وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) وهكذا من الآيات التى أسند تبارك وتعالى فيها المسببات إلى الأسباب حكمة منه تعالى للعباد فى وصولهم إلى المراد ، وليترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم فى الميعاد ، ألا ترى حتى المعجزات التى أجراها رب العالمين على أيديهم للعباد لم تكن إلا بربط المسببات بالأسباب انظر ما ورد فى صحيح السنة أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما نفذ منهم الطعام استأذنوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى أن يذبحوا كل يوم جملا فقال عمر بن الخطاب فما بقاؤكم بعد إبلكم وفينا رسول الله فجاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : فما بقاؤنا بعد إبلنا يا رسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « ناد فى الناس من عنده فضل زود فليأت به فجمع ، وجعل فى سفرة وكان قليلا جداً ودعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إليه وأمر كل واحد منهم أن يحثو فى جرابه ووعائه حتى تزودوا جميعاً أكثر من الحالة التى خرجوا عليها من بيوتهم » وكذا حديث نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى قال فيه العلامة القرطبي فى تفسيره عند قوله تعالى (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) قال قلت : ما أوتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من نبع الماء وانفجاره من يده وبين أصابعه أعظم فى المعجزة ؛ فأنا نشاهد الماء يتفجر من الأحجار آناء

الليل وآناء النهار ؛ ومعجزة نبينا عليه السلام لم تكن لنبي قبله صلى الله عليه وسلم ؛ يخرج الماء من بين لحم ودم ! . روى الأئمة الثقات والفقهاء الأثبات عن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم نجد ماء فأتي بإناء فادخل يده فيه ؛ فلقد رأيت الماء يتفجر من أصابعه ويقول : « حي على الطهور » . قال الأعمش فحدثني سالم ابن أبي الجعد قال قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال ألفاً وخمسمائة . لفظ النسائي اهـ . منه فأنت إذا نظرت إلى أوامر الحق سبحانه وتعالى لخواص عباده من الأنبياء والمرسلين ليرشدوا عباده تعالى إلى الأسباب والمسببات مع تمام الاعتقاد أنها لخالق الأراضين والسموات ويكونون بها قد أتوا البيوت من أبوابها ، فالعالم على ماقدمنا لم يأت بشيء من تلقاء نفسه ولا الصانع والتاجر والعامل والزارع والولي والنبي والرسول (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وذلك من مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . فالذاهب إلى شيء من هذه الأشياء المصنوعة له جل وعلا المنفعلة بقدرته سبحانه وكذا النافر لله تعالى سواء كان بالحال الباعث لنيل الغرض المطلوب أم بالمقال وترتيب الوضع المكسوب فإنه ليس يعطى ويمنع غيره عز وجل (إليه يرجع الأمر كله) اللهم وفقنا لما فيه رضاك واقطعنا عن كل شيء سواك ، إكراما لمن أرسلته رحمة للعالمين .

الفصل الخامس

فى بيان أصل المستحدث من الأفعال

من تجويف المحراب . والمأذنة . وكسوة المنبر . والرايات عليه . فنقول

غير خاف على كل ذى عقل راجح أن الدين الإسلامى وهو دين الحق عز وجل لم يخرج عن أقواله الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعاله وتقريراته . وهذا مما لا خلاف ولا مراء فيه ، وخاصة أن الله تعالى قد أسند إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم البيان والتبيين ، وقد بينا فى غير ما موضع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبين الحكم صراحة مما يحتاج الأمر فيه إلا البيان من حاضر أو فى المستقبل من الأزمنة بحسب ما يتجدد للناس فى أزمنتهم . أو يرشد إلى ما فيه القياس لذلك .

ومن المعلوم أن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم جمع القرآن وهو موجود على هذا الوضع بدليل مدارسته صلى الله تعالى عليه وسلم مع جبريل عليه السلام وخاصة في العام الذي توفي فيه كانت مرتين وفي سكوته على الذين كانوا يكتبونه في أنواع القطع المعروفة أكبر دليل على جواز جمع تلك القطع في قطاع واحد وفي قوله الشريف صلى الله تعالى وسلم في الحديث المروى عند البخاري (اقرأو القرآن على قراءة ابن أم عبد) وفيه كبير الإشارة إلى أن ابن أم عبد وهو عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه يكون من الجامعين الكاتبين له وفي الحديث المروى عند الترمذي وأبي داود من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره) ومن هنا صح قول عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه « اقرأو القرآن بلغة قريش وهي التي نزل بها القرآن » ومنها أخذ يحيى ابن يعمر وهو من كبار التابعين تنقيط حروف المصحف وذلك لزيادة إيضاح الحروف وسهولة النطق بها على لغة قريش وهذا مما لم يكن في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من الكمال الذي قال تعالى فيه (أكملت لكم دينكم) . وفي قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأبي الأسود الدؤلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين في وضعه الإشارة له في المحافظة على لغة القرآن الكريم لوضع علم النحو « انح نحو هذا » وهذا لا يشك فيه أحد أنه كان بعد زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا باقي العلوم الموصلة إلى تلك المحافظة على فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم والسنة المطهرة وخاصة العلوم الضرورية لبني البشر في الدين والدنيا والآخرة الثلاثة التي عنى بها جبريل عليه السلام في سؤاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث المشهور المروى عند جميع أصحاب السنن والمسانيد ، الإسلام . والإيمان . والإحسان . وقد وفق تعالى للإسلام فقهاء دونوه من لدن التابعين إلى أن تقوم الساعة وللإيمان علماء بينوا التوحيد كذلك وللاحسان علماء دونوه مثل ذلك ، وقد أفردت ذلك بابا مخصوصا سبق في باب كيف تدون الدين الإسلامي . وكل ذلك مستفاد من قول العليم الحكيم في الآية الجامعة العامة في كل شيء وهي (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) وهذا مما زيد في الأفعال .

فأما تجويف المحراب فى الحائط فهو مأخوذ من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وهو التزام حضرته مكانا واحداً فى المسجد دائماً وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى فيه وعرف بالقبلة كما يشهد له حديث البخارى الذى يذكر فيه (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى نخامة فى القبلة فقال . وقد رؤى الكراهية فى وجهه يامعشر الناس إنما أحدكم يناجى ربه فلا يصق فى قبلته وإنما عن يساره أو تحت قدميه أو فى طرف ثوبه) فمن تخصيص حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم المكان الواحد فى المسجد عرف منه أن المحراب هو المكان المخصوص للامام ومنها قال المفسرون للقرآن الكريم بعد أن ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز المحراب فى أربعة مواضع . قالوا هو أخص مكان للامام . ومنها أخذ الصحابة أيضاً تجويف المحراب فى الحائط ليكون فيه زيادة إيضاح للغريب الداخل للمسجد الذى لا يعرف له قبله فيكون دليلا له على القبلة . وأول من جوف المحراب فى الحائط هو معاوية بن أبى سفيان أخذا من بيان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك وكما بينا لك من التزام حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم المكان الواحد الذى كان بجوار الجذع قبل المنبر وكان هو هو بعد المنبر والأحاديث فى ذلك كثيره منها ما ورد فى البخارى أن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن صف الناس ودخل المحراب خرج مسرعاً ورجع ورأسه يقطر ماء الحديث وهذا لما فيه من بيان حكم جديد للناس وغير ذلك كثير فى السنه مما أخذ منه الصحابة بيان التزام حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم مكاناً واحداً خاصا للامام حتى أخذ منه سيدنا معاوية تجويف المحراب فى الحائط وأجمعوا عليه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وإجماعهم هو الحجة الثالثة فى الدين وعليه صار الأمر والأمن مستتباً على ذلك وهذا مما زيد فى الأفعال أيضاً . وأما المنبر والزيادة فيه فقد أخذت من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم إذ كان يخطب الناس على الأرض ولما كثروا انتقل يخطب على أثر جذع نخلة على ماورد فى البخارى وغيره فقالت الصحابية الانصارية وكان لها ولد نجار فاستأذنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت أتأذن لى يارسول الله أن آمر ولدى يعمل لك أعواداً من طرفاء الغابة تخطب الناس عليها فقال مريه فصنع هذا المنبر الذى هو من ثلاث درجات وصار صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب عليه إلى آخر أيامه فى الدنيا .

ففى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « مريه بدون إشارة إلى أى شىء من درجة فيه كبير الفائدة لعدم التوقف على طوله أو قصره ولكن لما كان عمل الصحابة

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لا يبنى إلا على أساس متين من بيان من أسند تعالى إلى حضرته صلى الله عليه وسلم البيان والتبيين وقد شاهدوا من فعله الشريف حالتين أولاهما أن حضرته صلى الله عليه وسلم ترقى من خطبه للناس وهو قائم على الأرض ثم إلى الجذع ثم إلى المنبر ، وثانيهما أنه ما كان ذلك إلا على حسب كثرة الناس وازديادهم فى المسجد لا سماعهم فقد أخذ الصحابة . رضوان الله تعالى عليهم أجمعين من هذا البيان الشريف جواز إرتفاع المنبر لإتساع المسجد فى الزيادة فيه التى زادها عمر رضى الله تعالى عنه وبناء مسجده الشريف وتجصيص أعمده وحيطانه وكذا زيادة عثمان رضى الله تعالى عنه فى هذا المسجد الشريف واتساعه على أضعاف أضعاف ما كان بناه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذلك لما أخذوه من بيانه الشريف فى الحديث المروى عند أصحاب السنن (كما أضيف إلى مسجدى فهوى مسجدى) .فقد عرفت أن الترقى فى زياد المنبر لحكمة إسماع الناس وقد زادوا فى زمن عثمان أضعاف أضعاف ما كانوا فى زمنه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وفى زمن على رضى تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه ومعاوية رضى الله عنه كان الناس أكثر وأكثر ولما تم الأمر لمعاوية ورأى من كثرة الناس ما رأى زاده إلى تسع درجات ، وكان الناس يتبركون بالمنبر بالطلوع عليه والتمسح بخشبه فى زمن أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وكان عمر يتمسح برمانتيه اللتين كان صلى الله تعالى عليه وسلم يضع عليهما يديه الشريفتين فكسى عمر رضى الله تعالى عنه الخشب كما شاء خشية أن تفنيه أيدى المتمسحين به وكان قدهم معاوية بنقله إلى الشام بعد الزيادة فيه إلى دمشق لمسجده المعروف بالأموى وصنع للناس غيره فحصلت ضجه عظيمة بين المسلمين فرده إلى مكانه . وأما ما يرفع عليه من البوارق والستارة فهو مأخوذ من الستار الذى عمل عمر رضى الله تعالى عنه لما رأى الناس يتمسحون بالخشب بالتبرك به فكساه عمر رضى الله عنه وأما البوارق فقد عملها عثمان رضى الله عنه بعد أن رأى من البوارق التى تكون مع رئيس الجيش للرهبة والرعبة . وخاصة لما حمل المسلمون على الروم ولم يكسروهم ولم يزحزحوهم فبلغ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن فى رايتهم الخاتم المثنى فكتبه على رضى الله تعالى عنه وزاده واحداً ووضعوه فى رايتهم وحملوا.

عليهم فهزموهم وانتصروا عليهم . وبلغنى أن هذا فى راية فى صندوق فى الدولة العلية خزانة السلطان محمد الخامس والله سبحانه وتعالى أعلم . سبحان الذى احتجب عن الأبصار ، وتنزه وتعالى عما يتوهمه الشركون بالاغيار، سبحان من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ويعلم ما فى الصدور والإضمار ولا منفرد بالألوهية إلا الواحد القهار الذى بيده ملكوت كل شىء وهو العزيز الغفار الذى دل بذاته وآثار صفاته واشرق اسمائه المستغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه جميع ما عداه جعل سيد العالمين خاتم أنبيائه ورسله اللهم صل عليه وعلى آل وصحبه وسلم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، فاعلم أيها القارىء الكريم أنه لا يخفى على كل ذى عقل متعقل أن مبدع الكائنات جل وعلى واحدا فى ذاته وصفاته وأفعاله وأنه تعالى جعل ابن آدم مراداً له فى هذا الوجود وقد جعله جنساً واحداً فى ذاته وصفاته وأفعاله وخلق كل ما فى هذا الوجود لأجله لمستلزمات حياته وبعد مماته وبعثه ومعاده . ذلل له كل شىء تذليلا وسخره له تسخيراً فكان محل نظره تعالى من خلقه . وجعل رسله من جنسهم تترى واحداً واحدا وجعل لهم مبدأ واحداً ودينا واحداً من عهد آدم عليه السلام إلى المعاد . والدين أساسه الإيمان به تعالى وبجميع أنبيائه ورسله وكتبه واليوم الآخر والإيمان هو المعنى الذى يخلقه تعالى فى قلب من يشاء من عباده وصورته فى الخارج التى تدل عليه هو الإسلام ولذا قال سيدنا موسى عليه السلام لقومه مرة (وعلى الله فتوكلو إن كنتم مؤمنين) ومرة قال (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مسلمين) كما قص علينا تبارك وتعالى فى كتابه المبين وكذا قالت الملائكة فى شأن قوم سيدنا لوط عليه السلام (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) فالتعرف من هنا أن الله تعالى هو الخالق للمعانى والصور كالموت والحياة والبغض والحب وغيرها إذ كل ما فى الوجود من معنى لابد له من صورة تدل عليه . والإسلام هو الاستسلام لله تعالى بالقيام بجميع أوامره والاجتناب لجميع نواهيه . وقد أبان لنا سبحانه وتعالى هذا فى كتابه العزيز الذى جعله خاتمة كتبه المقدسة وضمن سبحانه وتعالى له الحفظ من التغيير والتبديل إلى يوم الدين وقد أوضح لنا فيه سبحانه جميع ما جاء فى الكتب المقدسة ولم يفرط فيه من شىء وجعله تبيانا لكل شىء وتفصيل كل شىء . ولذا أسماه قرءانا لأنه تعالى جمع

فيه كل شيء من المبدء إلى المعاد مع البيان والتبيين الذى يعود على ابن آدم من خير الدين والدنيا والآخره من الأقسام الثلاثة التى هى التوحيد الذى كان من أجله هذا الوجود. والمعامله لله تعالى من حيث هو ومعاملة بنى آدم لجميع من هو معهم فى هذا الوجود. والقصص الذى هى عظة الحاضرين بأحوال الماضين وما أبان لنا سبحانه وتعالى فى القصص الذى أوجب علينا سبحانه الإيمان به حال الأنبياء المرسلين مع أممهم وكان دينهم جميعاً هو الإسلام وقد جعلنا على دين تلك الأمم ولتكون الرسل عليهم شهودا فى الآخرة وأولهم سيدنا نوح عليه السلام وهو أول رسول لبنى البشر وقد عورض من قومه فى رسالته فقال عز من قائل فى قصته عليه السلام (فإن توليتم فما سألتكم من أجر أن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وكذا من بعده لسيدنا هود عليه السلام فقد قال تعالى فى شأنه (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين أمنوا معه) وكذا من بعده سيدنا صالح عليه السلام فقال سبحانه فى شأنه (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين أمنوا معه) ومن بعده سيدنا لوط عليه السلام فقال تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) ومن بعده سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أب لجميع الأنبياء والمرسلين فقال عز من قائل فى شأنه (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) وقال تعالى (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ومن بعده من ذريته سيدنا إسماعيل وسيدنا اسحاق وابنه سيدنا يعقوب. فقد قال عنهم سيدنا يعقوب إن اسحاق حين سأل بنية وقال تعالى (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله أبائك ابراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) ومن بعدهم سيدنا يوسف عليه السلام إذ قال عز وجل فيه (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخره توفنى مسلما والحقنى بالصالحين) ومن بعده سيدنا شعيبا قال سبحانه وتعالى فيه (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين أمنوا معه) ومن بعده سيدنا موسى عليه السلام حيث قال عز من قائل فى شأنه (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مسلمين) فالناس من قديم الزمان يسمون الرسل ومن تبعهم بالمؤمنين والمسلمين إذ قال فرعون لسحرته

كما قص تعالى علينا ذكرهم فى كتابه المجيد قال تعالى (وقال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) قال السحرة (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وها هو المخذول فرعون لما أحدق به وأيقن أنه هالك لامحالة أخبرنا تعالى عنه أنه قال (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وبعده سيدنا سليمان بن سيدنا داود عليهما السلام قال عز وجل حاكيا عن سيدنا سليمان فى ذكر الإيمان والإسلام صراحة (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) ولما جاءت بلقيس (قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وقالت أيضاً (رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وهاهو سيدنا عيسى عليه السلام فقال تبارك وتعالى فى شأنه مع قومه (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) وقال سبحانه فى آية أخرى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) وهذا سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين قال سبحانه لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم) وقال تعالى أيضاً (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقال تعالى (إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين) ولما قال اليهود والنصارى محتجين على سيد العالمين بأنهم أهل كتاب وأنهم أحق بالجنة من غيرهم فرد الله تعالى عليهم ووبخهم وقرعهم بقوله جل شأنه (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) هذا وإن الجنة مقصورة على المسلمين كما هو صريح كلام رب العالمين قال سبحانه وتعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وازواجكم تحبرون) ثم أبدجل جلاله وعز شأنه دعوة جميع الأنبياء والمرسلين بأنها لم تكن إلا على الإسلام بقوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) لا غير ثم أكده بما يقطع دعوة كل مدع من غير الحق بقوله سبحانه وتعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)، واعلم أن لفظ دين الإسلام ليس من مسمى أحد

من البشر بل هو من مسمى الله سبحانه وتعالى حيث قال جل وعلى (هو سماكم المسلمين من قبل) على أحد المعنيين؛ وإن قبل قد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز دين اليهود والنصارى الصابئه والمجوس والمشركين وهى من أديان الشيطان الخمسة، نقول إنما ذكرهم باعتبار مدعاهم وبما هم يعتقدون ؛ والحق أن جميع الأنبياء المرسلين دينهم واحد ومبدؤهم واحد وعقيدتهم واحده وليس هذا بعجيب بل من أعجب العجب فى هذا العصر أن كل دولة تدعى الديمقراطية وهى ليست من الديمقراطية فى شىء ويؤجرون كتابهم ليكتبوا لهم أنهم على الديمقراطية والحق أن الديمقراطية هى حكم الله تعالى على عباده، ولى فيها محاضره قيمة بينت فيها الديمقراطية بأجلى بيان وقلت من لم يكن عاملا ببيان الله تعالى لعباده فليس من الديمقراطية فى شىء . هذا هو الدين الذى جعله الله تعالى خالدا مخلدا إلى يوم النفخ الأول لا يغيره مغير ولا يسطو عليه جائر متهور هذا هو دين رب العالمين الذى أمر عباده المؤمنين أتباع رسل الله تعالى أن يتبعوه وقالهم تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) فمن تمسك به نجى ومن حاد عنه وغير وبدل وأول واتبع غير سبيل المؤمنين وعلى الله ورسوله فقد اعتدى ولا مآل له إلا الردى قال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم) هذا الدين الذى آبانه سبحانه وتعالى لعباده من جميع نواحيه وأحدلهم حدوده ومعالمه وأمرهم السير عليه قال تعالى(تلك حدود الله فلاتعتدوها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) تلك الحدود التى هى نهاية الحلال وبداية الحرام قال الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين) الحديث وهى الأمانة التى عهدها الله تعالى ابن آدم قال جل شأنه (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) فانظر يا أخى كم لفت سبحانه وتعالى نظر عباده فى القرآن الكريم إلى المحافظة على الأمانة عباده المؤمنين إلى أن قال عز من قائل (يا أيها الذين أمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) والأمانة أساسها ومصدرها الإيمان وهما المعنى الذى يخلقه تعالى فى قلوب من يشاء من عباده وصورتهما فى الخارج الإسلام وهو عنوان الإيمان وقد أمرنا سبحانه وتعالى بأن نأخذ الأشياء من مصادرها التى جعل سبحانه وتعالى فيها لكل شىء مصدرا وهى الدالة على معرفته عز شأنه وهى

الأسباب التى تسمى بالوسائل وما هى إلا نعمه سبحانه وتعالى على عباده فالمتوجه إليها يتوجه لنعمة الله عز وجل والسائل فيها سائل الله عز وجل وهو فضله سبحانه الذى قال تعالى فيه (واسألوا الله من فضله) أى مما قربة إليكم وجعله بين أيديكم التى منها مستلزمات الحياة وما به النصر على الاعداء ومنها رفع الأكف إلى جهة العلو وهى السماء التى هى مصدر القبول للدعاء، ومنها استقبال الكعبة والوقوف بعرفة فى زمن مخصوص والسعى ورمى الجمار والمبيت بمنى، ومنها الذبح والأضحية، ومنها كل موقف من مواقف الحج مشعر من شعائر الله تعالى قال عز وجل (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) ثم إن أصل ما بنى عليه هذا الدين وقواعده التى يرتكز عليها الخمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج لمن استطاع إليه سبيلا وهى كذلك لجميع الأنبياء المرسلين من عهد آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين . هذا ولم يفرض الله تعالى فرضا على عباده من هذه الخمس إلا وجعله أصلا للامور وأيسرها ولم يكلفهم فيه فوق الطاقة قال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (أعطى الله أمتى ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان الله إذا بعث نبيا قال له أدعنى أستجب لك وقال لأمتى ادعونى استجب لكم وكان الله إذا بعث نبيا قال له ما جعلت عليك فى الدين من حرج وقال لأمتى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكان الله إذا بعث نبيا قال له جعلتك شهيداً عليهم وقال لأمتى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) ولما كان سبحانه عالما بما هو كائن وقد اسمع سيدنا ابراهيم عليه السلام من سبق لهم فى علم الله تعالى بالحج ولبوا النداء وقتئذ ومنهم من كان متفرقا فى أنحاء الدنيا قال تعالى فى فرضه دون جميع الفرائض (من استطاع إليه سبيلا) وأجمع علماء الأمة على أن الاستطاعة الصحة والزاد والراحلة والأمن ، ثم إن هذه الفرائض التى افترضها سبحانه على عباده أساسها الاعتقاد وهو الإيمان بالغيب بكل ما جاء فيها من بيان سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم الذى أسند الله تعالى إلى حضرته البيان والتبين حيث قال تبارك وتعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس) وأمرنا سبحانه إلتزام هذا البيان بقوله جل ذكره (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). فكان فيما جاء فى بيانه الشريف ما يعود على العبد من رضوان الله تعالى عليه وما وعده

من الثواب العميم والجزاء بالنعيم المقيم فى الصلاة والزكاة والصوم والحج سواء كان هذا فى الكتاب العزيز أوفى بيان من لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يؤمن بذلك الغيب إلا من كان أرق الناس إيمانا وأكملهم إحسانا ، ثم إن الله سبحانه وتعالى لمقتضى حكمته جعل فى السماء السابعة بيتا سماه تعالى بالبيت المعمور تؤمه جميع ملائكة السماء كذلك جعل فى الأرض السابعة وهى أرض دنيانا بيتا تجاه بيت السماء يقول صلى الله تعالى عليه وسلم (لو سقطت منه لبنة لوقعت على الكعبه) يؤمه عباده المؤمنون ، تلك سنته تبارك وتعالى فى خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) ثم إن حكمة وجود بيت فى السماء ووجود بيت له تعالى فى الأرض ونسبته إليه تبارك وتعالى هى رهبة عباده وخشيتهم له عز وجل وخاصة لما جعل فيه من المزايا التى لم توجد فى غيره على وجه الأرض وكما أن أهل الأرض يرجون رحمة ربهم كذلك أهل السموات قال الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم (إن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم) ومن مزايا هذا البيت العتيق قوله سبحانه (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (إن الله حرمه يوم خلق السموات والأرض) فهذ الحديث يدل دلالة واضحه على أن هذا البيت حرم يوم خلق الله السموات والأرض والشمس والقمر ، وتحريم مكة لا يمكن إلا بعد وجود مكة ، ومن آياته البينات ، مقام إبراهيم ، وهو الحجر الذى وضع إبراهيم قدمه عليه فجعل ما تحت قدم ابراهيم عليه السلام من ذلك الحجر دون سائر أجزائه كالطين حتى غاص فيه قدم ابراهيم عليه السلام ، وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله ،ولا يظهره إلا على الأنبياء ، ثم لما رفع ابراهيم قدمه عنه ، خلق فيه الصلابة الحجرية مرة أخرى ، ثم إنه تعالى أبقى ذلك الحجر على سبيل الاستمرار والدوام ، فهذه أنواع من الآيات العجيبه والمعجزات الباهره ، أظهرها الله سبحان فى ذلك الحج ، ومن الآيات قلة ما يجتمع فى الغرض من حصى الجمار ، فإنه منذ آلاف السنين قد يبلغ من يرمى فى كل سنة ستمائة ألف انسان كل واحد منهم سبعين حصاة ، ثم لا يرى هناك إلا ما لو اجتمع فى سنة واحده لكان غيرا كثيرا ، وليس فى الموضع الذى ترمى إليه الجمرات سيل سيل ماء ؟ ولا مهب رياح شديدة ؟ وقد جاء فى الآثار : أن من كانت حجته مقبولة رفعت حجارة جمراته إلى السماء ، ومن الآيات أن الطيور تترك المرور فوق الكعبة

طيرانها في الهواء ، بل تنحرف عنها إذا ماوصلت إلى ما فوقها. ومن الآيات : أن عنده يجتمع الوحش فلا يؤذى بعضاً كالكلاب والظباء ، ولا يصطاد فيه الكلاب والوحش ، وتلك خاصية عجيبة ومن الأيات : أن كل من سكن مكة أمن من النهب والغارة ، وتلك دعوة بركة إبراهيم عليه السلام حيث قال: (رب اجعل هذا بلدا آمنا) وقال تعالى في صفة أمنه (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وقال تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ولم ينقل البتة أن ظالما هدم الكعبة وخرب مكة بالكليه ، وأما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية ومن أياته : أن صاحب الفيل وهو أبرهة الأشرم ، لما قاد الجيوش على الفيله ، إلى مكة لتخريب الكعبة ، وعجزت قريش عن مقاومة أولئك الجيوش ، وفارقوا مكة وتركوا له الكعبة ، أرسل الله تعالى عليهم طيراً أبابيل والأبابيل هم الجماعة من الطير بعد الجماعة ، وكانت صغاراً تحمل أحجاراً ترميهم بها ، فهلك الملك وهلك العسكر بتلك الاحجار ، مع أنها كانت في غاية الصغر ، وهذه آية باهرة ، دالة على شرف الكعبة ، وإرهاص لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ومن الأيات : أن الله تعالى وصفها بواد غير ذى زرع وفيه حكم : منها : أنه تعالى قطع بذلك رجاء أهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه ، حتى لا يتوكلوا إلا على الله ، ومنها : أنه لا يسكنها أحد من الجبابرة والأكاسرة فإنهم يريدون طيبات الدنيا ، فإذا لم يجدوها هناك تركوا ذلك الموضع ، فالمقصود تنزيه ذلك الموضع عن لوث وجود أهل الدنيا . ومنها : أنه تعالى فعل ذلك لئلا يقصدها أهل التجارة ، بل يكون ذلك لمحض العبادة ، والزيارة فقط .

ومنها : أظهر الله تعالى بذلك شرف الفقر ، حيث وضع أشرف البيوت في أقل المواضع نصيبا من الدنيا ، فكأنه قال جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الأمين فكذلك جعلهم في الآخرة أهل المقام الأمين ، لهم في الدنيا بيت أمن ، وفي الآخرة دار أمن ومنها : كأنه تعالى قال لما لم أجعل الكعبة إلا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا ، فكذا لا أجعل كعبة المعرفة إلا في كل قلب خال عن محبة الدنيا . فهذا ما يتعلق بفضائل الكعبة ، ومن هذا تعلم أن هذا البيت أول وضع للناس في أنواع الفضائل والمناقب ، وإذا ظهر هذا بطل قول اليهود : إن بيت المقدس أشرف من الكعبة والله أعلم ، وقد سمى الله تعالى الكعبة كعبة قال تعالى : (جعل الله الكعبة البيت الحرام

قياما للناس) والسبب فيه أن هذا لاسم يدل على الاشراف والارتفاع وسمى الكعب كعبة لإشرافه وارتفاعه ، وسميت المرأة الناهدة الثديين كاعبا لارتفاع ثديها ، قال تعالى فى وصف الحور العين (وكواعب أترابا) فلما كان هذا البيت اشرف بيوت الأرض واقدمها زمنا ، وأكثرها فضيلة ، سمى بهذا الاسم .وسمى هذا البيت بالعتيق قال تعالى : (ثم محلها إلى البيت العتيق) وقال تعالى : (وليطوفوا بالبيت العتيق) والعتيق هو القديم ، وقد بينا أنه أقدم بيوت الأرض والسماء ، بل أن الله تعالى أعتقه من الغرق، وقد اعتقه من أن كل من قصد تخريبه أهلكه الله ، فسمى عتيقا ، بل إن الله تعالى أعتقه من أن يكون ملكا لأحد من المخلوقين ، وهذا هو المراد نصا على ماحققه الأفاضل،فالبيت الحرام جعله الله تعالى لعباده المؤمنين به تعالى وبرسله صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ، وجعل فيه الخشية والرهبة ، كما جعل تعالى الخشية والرهبة فى الأشهر الحرم وهم أربعة : رجب مضر أى الذى كانت تعظمه مضر بدون إحلال وتحريم إلى غيره ، وثلاث متواليات ذو القعده وذو الحجة والمحرم ، كما جاء فى بيان الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم . وكذا البيت الحرام فيه أربعة حرم كما قال تعالى مبينا لنا ذلك لعلنا نتذكر ونتعظ .

فقد قال تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد) ، وجعل الله عز وجل ذلك ليتميز الخبيث من الطيب ، إذ الخبيث لا يبالى حدود الله تعالى ومحارمه ، ولا يؤمن به ولا يخاف عقابه ، لأنه لو آمن واتصف بصفات المؤمنين ، ولامتثل أوامر الله تعالى ، وتحرى كل البيانات التى جاءت فى الكتاب والسنة ، ومن لم يعمل بها فيكون داخلا تحت قوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) أى لا أحد لأنه بهذا المنع والتحدى والأعجاز يكون ساعياً فى خرابها ، وجدير بأن يستحق ما أوعده الله به فى كتابه العزيز من قوله جل وعلا : (لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) كيف لا ، وقد قدمنا فى أحدى معانى العتيق أن لا يكون لبشر عليه الهيمنة والملك ، والله تعالى يقول :

(سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) أى أن الاحتكار والتصرف فى أموره من منع بعض الناس حرام ، وذلك عن مجاهد وسعيد بن جبير رضى الله عنهما ، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « يامعشر قريش

لا يمنعن أحدكم البيت مطوفا بالليل أو بالنهار ، وفي رواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « يابني عبد مناف من ولي منكم من أمور الناس شيئاً فلا يمنعن عن أحد أطاف بهذا البيت أو صلى أية ساعة من ليل أو نهار » فكيف يتعدى هذا المانع الحاجين أو المعتمرين بيت الله الحرام في ادعاء أمور يمكن حلها بطرق أخرى ، وهو فروق المال الذي يعجز الحاجين لبيت الله تعالى الحرام الذي لم يجعل لأحد عليه فيه ملكا ، وكان يمكنه أن يرجع بمعاملة تلك البلد بشراء أشياء منها أخر تعود عليه وعلى مواطنيه بالسعة والرغد بالمال الذي يتحصله منهم ، ولا يتصدى ويمنعهم عن بيت الله الحرام ، الذي أعطاه ملكا ساد به أقرانه . وأما المراد بالإلحاد هو الميل من أمر إلى أمر ، بين الله تعالى أن المراد بهذا الإلحاد ما يكون ميلا إلى الظلم ، فلهذا قرن الظلم بالإلحاد ، لأنه لا معصية كبرت أم صغرت إلا وهي ظلم ، ولذلك قال تعالى . (إن الشرك لظلم عظيم) وأما قوله تعالى : (نذقه من عذاب أليم) فهو بيان الوعيد، وهو أن يكون المراد العذاب في الآخرة لأنه من أعظم ما يتوعد به ، وهذه الآية تدل على أن المرء يستحق العذاب بإرادته للظلم، كما يستحقه على عمل جوارحه ، وخاصة أنه محذوف دلالة جواب الشرط عليه، تقديره : إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ، نذقهم من عذاب أليم ، وكل من ارتكب فيه شيئاً من ذلك ، فهو كذلك .

الخلاصة

هذا وإن الله تعالى الخالق العالم بمصالح عباده سوى بين المسلمين كافة ، وأمرهم أن يكونوا في جميع أحوالهم كالأخوة الأشقاء قال تعالى (إنما المؤمنون إخوة) ولو كان هناك شيء أرق وأعطف لعبر به تبارك وتعالى، كيف لا ، وقد جاء في بيان من أسند الله تعالى إلى حضرته البيان والتبيين من قوله صلى الله عليه وسلم « المؤمنون كالجسد الواحد » الحديث . وفي الحديث الآخر : « المسلم أخو المسلم » الحديث وفي الحديث الآخر : « لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » الحديث . فكيف بعد هذا كله من إرشاد الحق سبحانه وتعالى لعباده ، وبيان سيد العالمين لعباد الله أجمعين ، يجنح بنى الإنسان ويعرض عن ذلك كله ، ولم يرعو إلى كلام الله ورسوله وكأنه نزل هذا القرآن وأمر بالعمل به غيره ، ولا يكون كذلك إلا من خرج على إجماع المسلمين ،

وشاق الله تعالى ورسوله ، قال تعالى : (ومن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) قال العلامة الألوسي في تفسيره: قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في المناظرة التي حصلت له . ولم يعلق تعالى إصلاؤه النار على المخالفة إلا أن اتباعهم أمر واجب ، وكفاه في قوله تعالى (نوله ما تولى) أي نعطه مطالبه وتزيده في المخالفة حتى تكون عاقبة أمره هذا الوعيد الشديد، كيف لا ، وقد قال تبارك وتعالى . (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا)

ألم يأن لأولئك المنحرفين المتفرقين في الدين أن يجتمعوا ويتكاتفوا على العمل بكتاب الله المبين ؟ وبيان سنة سيد المرسلين ؟ حتى يرجع للدين مجده ويسود أمره ، ويعلو شأنه لتكون كلمة الله هي العليا . وكلمة الذين كفروا السفلى .

ما يجب على المسلمين العمل به

أو لم يأن للذين آمنوا أن يجتمعوا رؤساء المسلمين ويجعلون الحرمين الشريفين دوليين لجميع دول المسلمين ويرجعون إلى دينهم ويعملون به، ليجعلهم الله تعالى من العاملين بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا يجعلوا لأحد خاص من المسلمين يداً على بيوت الله تعالى التي جعل من أمرها من حيث الإدارة والعمارة له وحده جل وعلا، ولا يكن لأحد فيه فضل على أحد ، بل كما يكون حال الناس فيه سواء ، يكون كذلك حال المحافظين عليه من الملوك والسلاطين والأمراء فيه كذلك ، من حيث الحرس واستتباب الأمن بأن يكون لكل رئيس من رؤساء المسلمين واحد هناك كسفير أو منتدب أو نائب عن المملكة التي يتبعها ، يجمع ما يتحصل من نفقات الحجاج ويشترى بها من بلده ما ينفع أو فيما يقوم به من نصيب النفقات عليه وعلى مملكته في شأن مكة أو المدينة ، وياحبذا لو ضموا إليها جدة أيضاً ، ويجلى عنها كل من له سيطرة أو نفوذ في بلاد الله التي جعلها محرمة يوم خلق السموات والأرض ولم يجعل لأحد من عباده عليه فيها فضل، وإن قيل: إنها واقعة في خريطة مملكته ؟ ولكن هذه بالذات خريطة لله عز وجل ولم يجعل لأحد عليها فيها فضل ، وجعلها رهبة وخشية محترمة عند عباده المؤمنين ، كما جعل الأشهر الحرم رهبة وخشية لعباده أجمعين جاهلية وإسلاماً ، في عامهم حتى كانوا وهم أهل جاهلية يجمعون ما يلزمهم قبل

حلول الأشهر الحرم ، وذلك لما جعله الله فى قلوب عباده المؤمنين ، وقال تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وقال تعالى : (ولكن يناله التقوى منكم) . وقال تعالى : - (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال تعالى : - (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (قال تعالى . - (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) فإن لم يكن عاملا بالقرآن المجيد رؤساء مسلمين أفيعمل به ضعفاؤهم ؟ « والناس على دين ملوكهم » وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل عظيم الروم « فإن توليت فإنما عليك إثم اليريسيين » يعنى أنه يالبته يسأل عن ذنوبه فقط بل يكون سبباً فى الفساد الذى يقع من جراء ذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » . وأما دعوى التعليلات بسبب المعاملة فهذه دعوى باطلة وكان الأولى والأجدر العدول عنها إلى ما هو أيسر ولا يوقع نفسه ولا تقع مسئوليته إلا على نفسه بين يدى الله تعالى فى الآخرة وجميع ذنوب الرعية فى عنقه لأنه لم يسلك بها الطريق المستقيم الدال على الله تعالى بل أغواها وضللها وعرفها غير الحق وبين لها أن هـذا هو الصواب وعرفوا منه أنه المرشد لهم ويريد بهم كل الخير بجاهه وعظمته فـكان كل تابع له هو السبب فى تحمله الغواية وعدم الهداية فـكان بذلك عليه إثم كل تابع له .

لفت نظر

من أمعن النظر وجد أن كل المفاسد التى حلت بالمسلمين هى من رؤسائهم وذلك لعدم علمهم بأحكام الدين الإسلامى لا بالكتاب العزيز ولا بالسنة المطهرة وتتبعهم لشهوات أنفسهم ومراعاتهم الترفه وما يعيشون فيه من البزخ وحظوظ أغراضهم ولا يعملون لأنفسهم ولا يحملون الرعية على العمل بل يغيرون ويبدلون فى أحكام الله تعالى وبياناته لعباده ومن الغريب أنهم يقولون ويتمشدقون بقولهم الديمقراطية والديمقراطية هى حكم الله تعالى على عباده بما تقتضيه ذواتهم وهم لم يعملوا بشىء من ذلك بل يتصلون بالكفار لعلهم يبتغون عندهم العزة . وجهلوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . إذا

عملوا . وهم لم يعملوا فأين تأتيهم العزة إذا كانوا مخالفين لله تعالى ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم . بل إن تشأ فقل هم كأن أغراضهم يحاربون الله تعالى بعدم العمل بالدين وامتثالا لأمره تعالى . فلمن قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . ولمن قال تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) . ولمن قال الله تعالى (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) . ولمن قال الله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) ولمن قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) أولم ير هذا الرئيس المسلم أن الله تعالى بيده ملكوت كل شيء وأن الكافر مهما أعطى من المال والجاه والعدد والعدد فالله تعالى كتب عليه الذلة والمسكنة أو لم تسمع بقوله سبحانه وتعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون) أو لم ينظر هذا الرئيس المسلم إلى قوله تعالى (والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) كما حصل فى أسبانيا فعلى من المسئولية يا أيها الرؤساء يا أيها المنحرفون إلى أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتبتغون عندهم العزة وأن العزة لله تعالى ، أتعادى اخوانك المؤمنين وتنشق عنهم وتعلم أن أيام الدنيا قليلة مهما طال فيها الزمن وأن إلى ربك الرجعى ، ألم تعلم بأن محافظتك ، على دينك هو أعلى وأشرف من محافظتك على ملك زائل ، ألم تعلم أن انضمامك لأخيك المسلم هو عند الله تعالى هو أرجى وأقبل وإن كان مائلا أو منحرفاً تهديه وتكون بقوله صلى الله تعالي عليه وسلم عاملا (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (والجهاد ماض منذ أن بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال

لا يظله جو رجائر ولا عدل عادل) والجهاد هو مقاتلة الكافرين أو مقاتلة المسلمين يا أيها الرؤساء ويا أيها الزعماء صدق الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قال قائل أمن قلة يومئذ نحن يا رسول الله قال بل كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة منكم من صدور عدوكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن قيل وما الوهن يا رسول الله قال حب الدنيا وكراهية الموت) افتترك الدين الحق وتتبع وساوس الشيطان وتعادى أخيك المسلم وتتحد مع الكافرين عليه أهكذا يا مدعى الإسلام يامسمى بالمسلم يا من تناصر المسلم وتعين المسلم وتعضده وتقويه أليس عجيبا منتهى العجب غاية العجب أن تقف شرذمة قليلة من النصارى أنصار الشرك والطغيان فتستدرج جماعة من المسلمين إلى هوة سحيقة يترددون فيها فتخرج عن أصول الأديان السماوية التى أعزها الله فى كتبه وحماها بجبروته وهيمنته إذاً فعلام يقع الإثم والبغى والخروج عن المحاجة الواضحه إنهم بلا مرية يقع على الملوك والأمراء ومن لف لفهم وحذا حذوهم . أليس عجيباً أشد العجب بالغ ما شئت فى عجب أن للملوك والأمراء يستدرجون جماعة من للمسلمين فى مقابل أن يمنحوهم الذهب من الأرض والبترول من أرض العرب فتتمتع به الملوك وذووهم ثم يكتب الحرمان وشظف العيش لمن عداهم فى الشعوب من أهل البؤس والحاجة .. ألم يكن أحجى للمسلم وأبر به أن يتعاطف مع أخيه المسلم ويشد يده ويبسط له ذراعه حتى يجتمعوا على أديم واحد وطريق واحد حتى تبقى كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم ،

جعل الله تعالى الضلال والهدى مستمرين إلى يوم القيامة

أقوال الجهلاء فى الأمم الماضية وترى فيه العجب العجاب وينفر من سماعه كل طبع سليم ويستقذره وترى أن هذا ليس من كلام البشر ولا ممن فيه الإنسانية بل وجد للعجب لا غير فأعجب منه قول طائفة من الناس الذين لا دين ولا خلاق لهم حتى أنهم خرجوا بها عن أوصاف الإنسانية وعن كل مايسمى بالآداب والأخلاق ومن مسمياتها وأنهم لا أصل لهم بها من الصحة ونسبوها إلى الأهواء والأغراض حتى عن جميع الأديان ويعتقدون أن لا دين صحيح فى الأديان السماوية أو الشيطانية حتى أنهم تجردوا عن الإنسانية والحنيفية السمحة وهو الدين الحق لله عز وجل الذى أقره لعباده تعالى

لهم ديناً ودنياوأخرى فى كتابه العزيز الذى حفظه بعظمته وبديع قدرته حتى قالوا فيه مما أوحاه لهم الشيطان المعارض للدين الحنيف قال قائلهم .

هفت الحنيفة والنصارى فما اهتدت   ومجوس حارت واليهود مضلله

إثنان أهل الأرض ذو عقل بلا   دين وآخر ذا عقل ولا دين له

وهذا لا يخفى أنه من وحى الشيطان الذى يوحيه إلى الشعراء ويبيح لهم ما تجوزه لهم عقولهم القاصرة وهـذا منتهى تطرف واعتداء بدون عقل ولاروية وتعمق فى الجهالة بأدنى معرفة للمعارف السائدة فى مكونات الله تبارك وتعالى وماهم إلا إخوة الطبيعيين الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله الكريم (وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) الآية ـ ومنهم من نسب لأبى العلاء المعرى فى إنكاره على سنـة الله تعالى فى بدء خليقته وتشريعه تعالى لعباده فى بدء أفضل مخلوقاته وهو آدم عليه السلام حيث قال :

إذا ما نظرنا آدما وفعاله   وتزويجه بنتيه لإبنيه فى الخنا

علمنا بأن الناس من نسل فاجر   وأن جميع الخلق من عنصر الزنا

وقد قال العلامة المرحوم الشيخ محمـد بخيت مفتى الديار المصرية « سابقاً » ماحيا بأبى العلاء المعرى المعروف بالشعر والأدب والبلاغـة حيث شطر كلامه ماسحابه الأرض قال : أبو العلاء المعرى .

أتترك لذة الصهباء عمـداً   بما وعدوك من لبن وخمر

أبعث ثم نشر ثم حشر   حديث خرافة يا أم عمرو

قال العلامة المغفور له الشيخ محمد بخيت مشطراً للبيتين

أتترك لذة الصهباء عمـداً   أراك عرفت إلحاد المعرى

أبعث ثم نشر ثم حشر   تراها والمكذب سوف يدرى

همواوعدواوسوف ترى كفيلا   بما وعدوك من لبن وخمر

فيا شيخ المعرة ما دعيته   حديث خرافة يا أم عمرو

فمثل هذا وغيره ممن أخرجهم الشيطان من حزب الله واتبعوا أهواءه وضلالاته فظنوا بجهالاتهم أنهم على مبدء شريف وعلم لطيف فغيروا الأوضاع الإلهية واتبعوا

فيها الشيطان وحزبه وعدلوا عن النظر فى ما أبانه الله سبحانه وتعالى لعباده وتكوين الحق عز وجل لأشرف مخلوق فى موجوداته وسماه بالخليفة فى الأرض وقريب من هذا وذاك قول جهلة بعض المخالفين لإجماع المسلمين الذين هم من ضئضىء الكافرين الذين هم أعداء لله تعالى ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم حسبما نقل عنهم أفاضل الأمة كابن حجر المحدث المشهور فى تاريخه وكصاحب سعادة الدارين فى الرد على الفرقتين وهو أن ابن عبد الوهاب كان يريد أن يصدع بالدعوة بأنه رسول كسالفه ابن تيمية بقولهم إن النبوة والرسالة لم تكن الدعوة بها إلا لوجود شخص هو أنبه من يوجد بينهم من قثام الناس الجهلة الذين لا يعقلون وينفذ فيهم أوامره ونواهيه واستطاع منهم فيهم بالهيمنة عليهم والاستيلاء على شعورهم ومداركهم وما يملكون من الدنيا وهذا فى نظرهم ما يسيطر به الرسالة والنبوة ظنوا ذلك لعقولهم القاصرة ومداركهم الفاسدة وكذا القاديانية فكانت دعوتهم الأولى للطريقة الشاذلية ولما استعمرت الإنكليز الهند ورأوا أتباع هـذا الرجل كثيرون فأمدوهم بالمال ففضعوا للإنجليز لما يمدونهم من الأموال فسادت لدعوتهم إليهم وانتشرت هناك فرأى المغفل أن أتباعه قد كثروا فادعى الرسالة وأنه أحمد المبشر به فى القرآن فادعى النبوة وكذا الوهابية بعد أن مزقهم كل ممزق المغفور له محمد على باشا الكبير فرجع من أصلابهم اتصل وتوسل وترامى بالأسباب فى أحضان الأمريكان والإنكليز ورأى ما حصل للقاديانية فى الهند ما رأى وأخذ يواصل من مناجزة الإنكليز والأمريكان من القاديانية فى الهند فأخلص لهم ظاهراً وباطناً وعمل عندهم كالعبد لسيده فيؤمر فيطيع وهؤلاء كلهم عالة وحشو على المسلمين وفى الإسلام ومنهم من ثار الغبار بما يسمى بالخلاف بين المسلمين وهم ليسوا من المسلمين فى شىء حيث قد فارقوا إجماع المسلمين بصريح كلام رب العالمين حيث قال تبارك وتعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وحيث لم يعلق إصلاءهم النار إلا على المخالفة إلا أن أتباع اجماع المسلمين أمر واجب وبصريح الحديث الصحيح المروى عند أبى داود من قوله صلى الله عليه وسلم (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) وفى رواية (قيد شعرة) الحديث أفبعد هذا يترك المسلم العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم ويجنح إلى الكفار ويتعضد بهم على أخيه المسلم؟ فالقرآن الكريم كأنه يخاطب كل

فرد فى شؤون نفسه أفبعد البيان الإلهى لعباده تعالى نتركه ونتفق مع الكافرين بالشروط والمكاتبات ولا نستطيع أن نخل منه شرط وكتاب الله تعالى نتركه ولا نعمل بشرط من شروطه ، ألمن خطاب الله تعالى فى كتابه العزيز الذين يعملون به أم لغيرهم حسبنا الله ونعم الوكيل الموت قريب والملك زائل ويبقى كل شخص بما عمل يوم القيامة قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

إذ أن الإسلام حق وهو واحد وأهله أهل الحق لا خلاف بينهم وإنما الخلاف ما نشأ إلا من هذه الفرق الضالة المعادية المحاربة لإجماع المسلمين ومن هذا الخلاف الناشىء من الدخلاء على الإسلام والمسلمين شوش ويشوش على كثير من بسطاء المسلمين غير البالغين فى التعليم الذين لا يعرفون أصولهم وما حكمة مخالفتهم لاجماع المسلمين خصوصاً لما هو سائد بأنهم هم المسلمون ويطلبون الحق ويعتقدون أنهم على الحق وليسوا من الحق فى شىء ، وقول بعضهم أن كل من ملك الأرض وعمل الإصلاح بين الناس من ملوك الأرض فهو نبى أو رسول وقد أخبر تعالى عنهم بقوله (ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) حتى ظنوا فى ذو القرنين نبياً — وأهل الحق من المسلمين أجمعوا على خلاف ذلك قال الفاضل منهم .

وذو القرنين لم يعرف نبياً   كذا لقمان فأحذر عن جدال
ولم تكن نبى قط أنثى   ولا عبد وخنثى ذوا ارتجال

فما أجهل الضلين وما أعماهم عن الحق المبين المخالفين لإجماع المسلمين .

وقول بعضهم أن النبوة تنال بكثرة العبادة و التبتل والانقطاع إلى الله تعالى حتى يصل بذلك إلى درجة الصديقين فينال بذلك درجة المرسلين والنبيين المبعوثين إلى عباد الله المؤمنين فما أجهلهم بسنن تكوين ربهم لعباده المكرمين وقد رد عليهم أفاضل الأمة بقولهم .

ولم تكن نبوة مكتسبة   ولورقى فى الخير أعلى عقبة
بل ذاك فضل الله يؤته لمن   يشاء جل الله واهب المنن

فالله تعالى المنشىء لكل شىء باعطائه خلقه من مبدئه وجعله لا يخرج من الدنيا إلا بعد أن يؤدى جميع ما خلق لأجله قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) ،وقولهم وما بالنا أنا إذا نظرنا فى وضع كل من ادعى النبوة أنه

كان من جنس قومه وكان أعلمهم وأذكاهم وأعقلهم ونظر فى ما اشتهروا فيه وأتقن هو صنعتهم وقام بما لم يقم به غيره وادعى هذه الدعوى كموسى مثلاً أتى بنوع من السحر بما أعجز به قومه — وكمحمد مثلاً أتى بالفصاحة والبلاغة بما أعجز به قومه ،فكان هذا هو أصل جميع الأديان المشتهرة الآن من اليهودية - والنصرانية — والاسلام ، فانظر يا أخى إلى هؤلاء وإلى ما استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم النظر فى وجوه الحق وصرفهم عن السبيل إليه وأخرجهم عن الجادة والطريق المستقيم ،ولم يهده الله إليه لسبق شقوته إذ الحق لله تعالى فى عباده كالشمس الواضحة فى رابعة النهار ولا يراها إلا المبصر وهؤلاء قد سماهم الله تعالى بالعمى لعدم نظرهم فى آيات الله وأسرار مكوناته قال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ،وقد اجتمعت بواحد من هذه الفئة الضالة القائل بعدم صحة دين صحيح وتمشيت معه فى معتقده حتى وصلت به إلى تشكيكه فى نسبه وأنه يجوز كذلك أن يكون غير ابن أبيه بالدليل العقلى السليم إذ ما يجوز على أحد الأمرين يجوز على الآخر على ما تقدم من معتقدة حتى التمس الضلالة وعرف أنه غارق فيها - فخرجت به عن ذلك كله ورجعت به إلى الصواب والطريق المستقيم بالدليل العقلى .

وقلت له إذا ظهر أمامنا شخص بامر غريب فى الصنعة المشاهدة وصنع لنا دراجة بالبنزين أو بالزمبلك ويقطع مسافة قدرهاماية كيلو متر فى الساعة وجاء آخر وصنع مثل هذا ما يقطع هذه المسافة فى خمس دقائق هل هذا فى مقدور البشر — فقال لا — قلت إذن لابد وأن يكون هذا ممداً بقوة فوق قوة البشر وله صلة بذلك ومثل ذا ما قص تبارك وتعالى علينا فى كتابه العزيز من قصة سيدنا سليمان عليه السلام حيث كان فى إحدى مجالسه وكان شأن ما أخبر به عن بلقيس ملكة لقومها باليمن فقال لجلسائه مختبراً شدتهم وقوتهم (أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين) هذا هو الجن الذى جعل الله قوته أضعاف قوة البشر اعترف أنه يستطيع أن يأتى به فى مسافة أربعة وعشرين ساعة من اليمن إلى الشام فى مثل هذا المقام من ثانى يوم — ولكن قال الذى له صلة بالحق عز وجل القائل تبارك وتعالى فى شأنهم فى الحديث القدسى المبين لآى القرآن المروى عند جميع أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى

لأعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه) الحديث قال ابن تيمية فى رسالته وهو أصح حديث فى السنة ولم يفقه له معنى إذ مبدأه على خلاف ذلك فقال تعالى (وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) وقد فعل تبارك وتعالى لعبده الكائنات فأحضره فى لحظة — وهذا لا يخفى فوق طوق البشر والعادة فما هو إلا تحقيق لقوله تعالى (الذى عنده علم من الكتاب) المبين فى قوله تبارك وتعالى (كنت يده) وفى قوله تعالى أيضاً (ولئن سألنى لأعطيته) فهو من تحقيق قول المحقق العارف بربه تبارك وتعالى سيدى محي الدين بن عربى حيث قال فى بعض ألغازه .

العبد رب والرب عبد ... فليت شعرى من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب ... وإن قلت رب فانى يكلف

ومثل ذا من قول المحقق ما هو سائدة به العادة من أنا إذا جاورنا الماء للنار وانقطع إليها قلب الماء ناراً فصار الماء ناراً والنار ناراً .

فكأن المنكرين على سيدى محي الدين فى هذه الأبيات التى تضمنت الظاهر والباطن لم يأكلوا مسخناً ولم يستحموا بماء ساخن قط جعل الله فى أيديهم مايعتبرون به ولا يعتبرون وهناك حديث البخارى فى قصة الخضر واقامة الجدار الذى بينه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (فقال الخضر بيده هكذا) الحديث والتعبير فيه بالقول عن الفعل — إذا ضلت العقول على علم — فماذا تقوله الفصحاء .

وحيث كان لا يجوز فى العقل السليم محاذاة أفعال البشر بما يخرج عن طوقها عادة . إذن فقد وجب بأن هناك قوة وقدرة فوق طوق البشر ولا تكون إلا ممن له تمام الصلة بمبدع الكائنات الذى ينشؤه على ذلك ويصنعه صنعاً مغايراً للبشر باطنا لتكون له تمام الصلة به تبارك وتعالى وفى الظاهر بشر عادى لا يفرق بينه وبين غيره إلا بما يظهره تبارك وتعالى على لسانه ويديه ، وهاك سيدنا موسى عليه السلام الذى كان لسانه من لسعة الجمرة ينطق بالسين شينا آل أمره إلى أن خطب فى قومه وعجبوا لفصاحته وبلاغته حتى قالوا هل أحد أعلم منك يا موسى فقال .لا. فعتب الله تعالى على موسى — الحديث يرويه البخارى وغيره من أصحاب السنن والمسانيد — ، فلو اجتمع أهل الأرض والسموات على أن يصلحوا هذا اللسان ما فعلوا ولكنه لما طلب ممن بيده ملكوت

كل شيء وهو على كل شيء قدير بقوله (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) فقام وقام فوجد الأمر كما طلب ، فهكذا شأن الحق جل وعلا مع أحبابه تبارك وتعالى الذين يختصهم برحمة منه وفضل - حتى يكون شأنهم وحالهم وهيأتهم دلالة على الله تعالى وتعريفاً بأنهم من خيرة خلقة وخصهم بمميزات لم يشاركهم فيها غيرهم ، وبعد أن عرفته بأن هذا الوجود لابد له من موجد بالدليل العقلى بأن كل صنعة لابد لها من صانع وعرف الله تبارك وتعالى ، وأفهمته أن الله تعالى مبدع الكائنات وما أرسل رسولا إلا من قومه معروف النسب فيهم وأنه تولاه الله تعالى بالهداية والحماية والكفاية من منشأ ولادته إلى أن بلغ فيهم مبلغ الرجولة وطبع عليه طابع الصدق والعفاف عن كل ما يعيبونه فيه ليس مائلا إلى ما يزاولونه ويعتنقونه ويتفننون فيه بأنه بعيد عن كل ذلك كل البعد مشهوراً بينهم إلى كل ما تألفه العادة البشرية وتستحسنه الطبيعة الإنسانية - حتى إذا ما جاء أوان تكليفه بالدعوة إلى الله تعالى ودعى بها وكانت غريبة على نفوسهم بعيدة عن مداركهم فصار يرعاهم بالملاطفة والشفقة والرأفة عليهم فيميل إليه من شاء الله هدايته وتوفيقه ويصرف عنه من لم يشأ له ذلك قال تعالى (الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) فالمجتبى الرسول والمهدى إلى من أناب وأجاب دعوة الرسول بدليل عود الضمير لأقرب مذكور - فمن آمن وكان من المنيبين فهو المؤمن المسلم - والآخر يسمى بالكافر أو المنافق - وعلى هذا ساد الأمر فى سنن الله تعالى على عباده من لدن آدم عليه السلام إلى سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم فى بنى البشر والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فى خلقه لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون نسأله تعالى التوفيق لما يرضيه .

الفصل السادس

فى بيان أحوال المعارضين لجميع الأنبياء والمرسلين من الكافرين والمنافقين خصوصاً خاتم النبيين صلى الله تعالى وسلم عليهم أجمعين

إعلم يا أخى أنه يجب على كل عاقل أن يقف على معرفة شيء من مكونات الحق عز وجل ليستنير فى سنن التكوين له تبارك وتعالى وهى من مهام المعرفة لأن منها

تتعرف الله تبارك وتعالى وتدلك عليه ، فمنها معرفة الحاسدين والمنكرين على جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم المؤمنين مما قصه تبارك وتعالى علينا فى كتابه العزيز - ومن أهمهم فى ذلك سيد العالمين وأتباعه المؤمنين ، فمن أمعن النظر وتأمل بعين الفكر وجد أن حال المنكرين والحاسدين والمبغضين والمعارضين واحدا - ولم يحيدوا فى هذا عن مبدئهم قيد شعرة - إذ كانت معارضة المعارضين ومخالفة المخالفين فى بادىء الأمر من أولاد آدم بالهند فى الإله المبدع جل وعلا فكانوا يظنون به كل الظنون ويذهبون فى معرفته حيث يرشدهم إليه إبليس اللعين وكانوا وقتئذ يرون بعض الملائكة وبعض الجن فنسبوا للملائكة أنهم بنات الله وكانوا يعبدونهم من دون الله والجن أنسابه ودأبت فيهم هذه العوارف الإبليسية والنزغات الشيطانية وكانوا يعارضون بها الأنبياء والمرسلين كشيث - وادريس عليهما السلام ومن على أقدامهم كما قص علينا سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز حيث قال عز من قائل (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم أو من ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وقال تعالى (ويجعلون لما لايعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسؤلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون) وقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) ، وهكذا كانت مبادىء هذه الطوائف ودأب عليها كل مخالف وقد زيد عليها فى أول منازع فى النبوة والرسالة وانكارهم لها فى زمن نوح عليه السلام ، وقد زيد عليها فى زمن إبراهيم عليه السلام عبادة الأصنام واستمر بهم الأمر إلى سيد

العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد عليهم انكارهم البعث واليوم الآخر، وقد تجاسمت
هذه الفرق وتوطدت فيهم تلك العقائد الزائفة مع انحرافهم عن طريق جميع الأنبياء
والمرسلين المعارضة لجميع طرق الضالين حتى كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم
كل شىء قد بلغ منتهاه فى أنواع الكفر والضلالات ، وقد تكفل سبحانه وتعالى
بالرد على كل طائفة وفرقة بما تعتقد بالرد المخصوص والحجة والبرهان الصريح الواضح
المنصوص الذى يجزم به كل عقل سليم حتى آمن به كل من كان كذلك كما هى سنته
تبارك وتعالى حيث أراح سبحانه وتعالى فؤاد حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم
وطمأن خاطره الشريف بقوله (ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً
وما أنت عليهم بوكيل) وفى قوله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا
يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقال تعالى (ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقال تعالى (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع
الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من
يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) وهاهو قولهم لنوح عليه السلام وهو أول معارض فى النبوة
والرسالة قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
إله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم) الآيات
(وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا
ما هذا إلا بشر مثلكم إنكم إذاً لخاسرون) الآيات وقولهم لنوح عليه السلام (إن
هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) وقال تعالى (فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون
وازدجر) هو عين قولهم لسيد العالمين آخر الأنبياء والمرسلين (وقالوا يا أيها الذى
نزل عليه الذكر إنك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) . وقال
تعالى قاصاً عن الأنبياء والمرسلين مسليا لحضرة سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم
بقوله (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عن ما كان يعبد آباؤنا فأتونا
بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) الآية وقد قالوا فى حضرته
صلى الله تعالى عليه وسلم (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل
منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً أنظر كيف ضربوا لك الأمثال

نفضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وقال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم) .
وقال تعالى قاصاً علينا من شأن قوم سيدنا نوح عليه السلام (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى) الآية — فرد عليهم سيدنا نوح عليه السلام بقوله (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون وياقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون) الآيات ، وقد رد الله تعالى على صناديد قريش حيث طلبوا من حضرته أن يجعل لهم يوماً خاصاً يجالسون فيه حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير مشاركة الفقراء فيه — فأمره تعالى أن لا يجيبهم بذلك بقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) الآيات . وقال تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين) حتى أن كان احتقارهم للأنبياء والمرسلين على نمط واحد مستمرين ، فقد قالوا لنوح عليه السلام (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) الآية . وقالوا لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) . وقال تعالى مسفهاً لآرائهم واعتقادهم فى أنبياء الله تعالى ورسله (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وقال تعالى (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وقال تعالى (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون) الآيات وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد

مكرمون) الآيات ، فانت إذا نظرت لكل مخالف للأنبياء والمرسلين وأتباعهم وما قص تعالى علينا من شأنهم فلا تجده إلا واحداً مستمراً إلى يوم القيامة ومنشأ ذلك تنشيء الله تعالى عباده على حالتين كما قدمنا كثيراً فى كل شىء خصوصا بنى آدم الذين جعلهم تعالى جامعين لأسرار الموجودات لما فيهم من المقابلات والماثلات —

العداوة وأصلها ولا تنشأ إلا عن البغض الذى يقابله الحب

فالحب — والبغض — ولكل منهما أسباب . فسبب البغض والعداوة الحسد — وجعل تعالى مصدرهما إبليس عليه اللعنة فمنه وعنه ينشأ كل ذلك ، وبمقتضى حكمه العالية جعل له أتباعاً لم يكونوا إلا لذلك وعليه ينشأوا وجعل تعالى صلاحية تكوينهم قابلة لذلك — ولذا يدأبوا عليه قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) وقال تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وقال تعالى (ومن يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) وقال تعالى (الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) وقال تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) و (كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين) و (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) . فاللهم لا اعتراض لحكمك ولا راد لقضائك حيث جعلت ما لا للفريقين (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) ، فأنت ترى الشخص منهم من صغره جموحاً عن الخير — نزاعاً للشر بفطرته — فهو لا يرى من الشر إلا يسيرا ويفتح فيه بابه ويدأب وينسج على منواله ويؤسسه ويدعمه ويجعله أصلا لمن يبنى عليه ويزيد فيه حتى يصيره شائعاً لأمثاله علما لإخوانه وأقرانه أوجمعا يقول عليه لحزبه وأنصاره ويدعوبه وإليه مضاداً لأهل الحق وأتباعه — هذا وإن كان الله تعالى غالبا على أمره ولكن إحداث التشكيك والتفريق بين جماعات المؤمنين خصوصا البسطاء منهم أمر عظيم يحدث القلق وعدم الراحة وطمأنينة البال . وإنهم ليحسبون أنهم يحسنون صنعا ولم يفطنوا

لمخالفتهم لإجماع أهل الحق ومن هم على قدم المرسلين — وإنها لعميت عن المغضوب عليهم و الضالين والمنافقين ومن على مبادئهم من الخارجين عن اجماع المسلمين المندرجين في المسلمين حشوا وقد قصر عقلهم عن ادراك معانيها .

ضرورة تجب معرفتها

قد قررنا كثيراً أن مصنوعات الحق عز وجل في مكوناته على حالتين وبالنظر الدقيق والبحث السليم وجدنا القرآن الكريم في جميع بياناته وكذلك من بيان حال المؤمنين والكافرين وبقيت مسألة قد إعتنى تعالى بشأنها وهي حالة المنافقين — فكأن الحال ليس قاصراً على حالتين فقط من الإيمان والكفر وهناك مسألة ثالثة النفاق ولكن لم يخف على كل ذي عقل متعقل أن النفاق ما هو حد وسط بين الإيمان والكفر كالنسبة الثالثة في العد بين الصانع والمصنوع والخالق والمخلوق والرازق والمرزوق ، والنسبة هذه ماهي إلا في العد فقط — والواقع أنه لا شيء غير شيئين والنسبة هي الموصلة بين معرفة الشيء وأصله ، لأنا نجد أن ظاهر النفاق في التعريف على ما بينه تعالى لنا في كتابه العزيز على حالتين — نفاق عميق — وهو للكفر أقرب وهم من قال لنا تعالى فيهم (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) ومنهم من قال تعالى فيهم (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ومنهم نفاق غير عميق — وهو إلى الإيمان أقرب منه للكفر وهم من قال لنا تعالى فيهم (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون) وهؤلاء من قال تعالى فيهم(ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) الآية وقد أخبر سبحانه وتعالى عن أحوالهم العامة ومعاملاتهم لسيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم ومتابعيه من المؤمنين فقال تعالى(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو

فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) الآيات وفى قوله تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعاً الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون) الآيات وهكذا مما بين سبحانه وتعالى من أحوالهم وما كانوا عليه وماهم عليه الآن بين المسلمين — وما يظهر منهم الآن على ما كان عليه أسلافهم السابقين المخاطبين فى الكتاب العزيز — وهاهى — سورة التوبة وغيرها قد كانت كفيلة ببيان أحوالهم خصوصاً من قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) الايات ، وفى قوله تعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) الايات ، ومنها قوله تعالى (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ، ومنها قوله تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) ومنها قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجداً

ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) ، وهكذا مما قص تعالى علينا من شأنهم وأحوالهم التى كانت مصدراً لآياته الكريمة له جل وعلا حتى ينهى عليها كل ما يتجدد فى الأزمنة القابلة كباقى مصادر جميع الآيات التى كان من شأنه فيها (تبيانا لكل شىء) و (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) من جميع مستحدثات الزمان فى كل ما يتجدد فيه ويكون المرجع فيه إلى الكتاب العزيز حيث أمرنا منه تعالى بالرد إليه حيث قال جل ذكره (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) الآية وفى قوله تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) الآية ، وهذا عام فى جميع مستحدثات الكون وفى كل مايتجدد ويستحدث ويبدع فى الزمان وكان مصدرا وأصله جاء فى الكتاب العزيز أو بيان السنة المطهرة شاملا له فى البيان فيكون على نهجه وسبيله . وحيث كان كذلك فإنا نرجع إلى قول الصادق المصدوق فى بيانه الشريف حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المروى عند البخارى وغيره حين ما طلب من حضرته اليمانى والشامى والنجدى فقال اليمانى أدع لنا يارسول الله فقال (اللهم بارك لنا فى يمننا فقال الشامى وفى شامنا يا رسول الله فقال وفى شامنا فقال النجدى وفى نجدنا يارسول الله فسكت فقال وفى نجدنا يارسول الله فقال هناك تظهر الزلازل والفتن وهناك يطلع قرن الشيطان كلما قطع قرن ظهر قرن إلى أن يظهر المسيخ الدجال) الحديث ، وعلى هذا البيان الشريف لما حارب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله تعالى وجهه الخوارج الذين ظهروا أو ظهر أمرهم بعد النبى صلى الله تعالى وسلم وقتلهم وحرق ديارهم وقد فر منهم اثنى عشر رجلا إلى الجهات المتفرقات فقال له أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين — الحمد لله

الذى قد أراح الله بك منهم البلاد والعباد — فقال له أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه كلا والله إنه ليخرج من ضئضىء أو من أصلاب هؤلاء من يكن منهم مع المسيخ الدجال

فأنت ترى ماهو ظاهر الآن وما قد ظهر من أصلاب هؤلاء من الفرق الزائغة الضالة عن الحق — فهم من مصداق قول الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المروى عند أبى داود (إنه ليخرج من ضئضىء هذا من يقرؤن القرآن لا يبلغ تراقيهم) الحديث ، فهم من مصداق قوله صلى الله تعالى وسلم فى الحديث المروى عند البخارى وغيره من أصحاب السنن والمسانيد (افترقت المجوس إلى سبعين فرقة وافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قالوا ماهى يا رسول الله قال السواد الأعظم) وفى رواية (الجماعة) وفى رواية (ماعليه أنا وأصحابى) الحديث، فإن لم تكن الفرق الضالة من هذه الجماعة فمن تكن — لأن الحق واحد ولا خلاف فيه ولا نزاع ولا مشاحة بين أهله — وأهله الجماعة أو السواد الأعظم بالنسبة لانفراد الفرق — أو هو ما كان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لا خلاف بينهم ، فكل منازع ومخالف لإجماع المسلمين — فهو من الفرق الضالة بمكان ولا مشاحة فى ذلك لأنه يعد من المشاقين لله ولرسوله ، وقد بين سبحانه وتعالى ذلك بصريح القول فى كتابه العزيز (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) الآية ، نسأل الله تعالى العفو والعافية والحماية من الزيغ والخروج على إجماع المسلمين إكراما لمن أرسله رحمة للعالمين .

حكمة وجود المنافقين فى المسلمين

قد قلنا أن حكمة وجود الأديان الخمس مستمرة فى الدنيا بين الناس وهى : — اليهودية — والنصرانية — والمجوسية — والصابئة — والمشركة — وإنما ليعرف منها وبها طالب الدين الحق لله عز وجل وهو واحد غير الخمس الإسلام . فهو دين الله تعالى لجميع الأنبياء والمرسلين ومتابعيهم من كافة المؤمنين بهم — وليس عند الله تعالى أديان تسمى بتلك المسميات وإنما هى كانت من مسميات رؤساء

أحزابهم وفرقهم يعارضون بها الدين الحق لله عز وجل لعباده المؤمنين به تعالى وبأنبيائه ورسله المكرمين ، وإن وجود المنافقين بين المسلمين ليعرف بإيمانهم المخالف لإيمان المؤمنين حقاً كل مؤمن يؤمن بآيات الله تعالى التى لا يصدرها إلا هو ولا تصدر إلا منه تبارك وتعالى — وهم ينسبونها للمكونات له جل وعلا ولذا بها تعرف إيمانهم بأنه مخالف للمؤمنين حقاً — ويعتقدون بإيمانهم الفاسد الخارج عن الإيمان الحق كل مخالف لإيمان أهل الحق والتحقيق فى كل ما يعتقده كل مؤمن ولن يهتدوا فى معرفة شىء مما يعتقده أهل الإيمان الحق من آيات الله تعالى فى مكوناته — ولذا سماهم تبارك وتعالى بالعمى والصم والبكم فى الدنيا والآخرة ، وأنت ترى فى ظاهر مسمى أعمى البصر أنه لا يفيق منه ساعة حتى يرجع إلى خلاف ما طبعه الله تعالى عليه — فتعرف منه مطابقة المسمى بالاسم — وهؤلاء كذلك لا يهتدون فى مسألة من الأحكام الشرعية إلى الصواب دائماً أبدا ، فهم على خلاف ما عليه أهل التحقيق من المؤمنين حقاً فى معرفة الله تعالى إذ ينسبون له تعالى الجهة ـ فى السماء ـ وعلى العرش ـ وينزل ـ ويطلع ـ ويتحرك ـ ويجىء ـ ويروح وينسبون له تعالى عن ذلك كله علوا كبيرا — الجوارح — التى ضربها الله تعالى أمثالا لعباده تقريبا لعقولهم البشرية مع بيانه تعالى لهم بتنزيهه عن ذلك فى قوله تعالى (ليس كمثله شىء) إذ يثبتون وينفون له تعالى فى آن واحد الجارحة وينفونها بقولهم لا نعلمها ـ أو ما يليق به ـ كالوجه ـ والعين ـ والسمع ـ والبصر ـ والكلام — والجنب ـ واليد ـ والرجل ـ وغير ذلك من صفات البشر ـ ولذا نتهكم عليهم فى الرد عليهم ونقول بقى شيئان من صفات البشر لم يتكلموا فيهما وهما المخرجان فإن كنتم تثبتون له تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ ولم تذكروا هاتين الصفتين المكملتين للذات التى تصفونه تعالى بها غير موصوف بهما فيكون ناقصا ـ وإن أثبتموهما فمن أين لكم ويخالفون أهل الحق أيضاً فى معرفة الرسل عليهم الصلاة والسلام من نفيهم عنهم الكمال المخصوص بذلك الذين خصهم الله تعالى به دون عباده ـ وبها يخالفون أهل الحق من المؤمنين ومن هم على قدم الأنبياء والمرسلين ويوافقون أسلافهم من المعارضين الذين قص الله تعالى علينا من شأنهم فى كتابه المبين ، ويخالفون أيضاً أهل الحق فى معرفة نعم الله تعالى على عباده التى أكرمهم بها بوجود الموجودات وأنها أصل لما يؤدى به تبارك وتعالى ويظهر بها آياته لعباده المؤمنين من كل أمر خارق للعادة ومن

النعم التى جعلها بين عباده كالعادة والفطرة والطبيعة وينسبون كالمجوس الخير لله والشر للمخلوق مع اعتقادهم بأن نسبة الفعل إلى المخلوق حقيقة منه – أى من المخلوق – وهذا هو الضلال المبين والكفر والشرك الصريح الواضح الذى لامرية فيه عند أهل الحق والتحقيق لأن أهل الحق يعتقدون فى الفطرة والعاديات لله تبارك وتعالى يؤدى بها آثار أفعال مكوناته وهى تنسب إليهم ظاهرا الثواب والعقاب وباطنا بفعل الملك الوهاب – وعليها يكون إيمانهم الايمان الكامل وهم يصدقون فى قولهم وحده لاشريك له ، وهكذا يخالفون أهل الحق فى كل حكم شرعى مجمع عليه وساد الأمر فيه وتلقوه جيلا عن جيل . وقرنا بعد قرن . لاخلاف بينهم فيه إلا من أسلافهم السابقين الذين كانوا لايستطيعون الظهور والاعلان بهذه المخالفة إلا فى الأوقات التى كانوا يرون فيها ضعف معارضيهم – فيقيض الله تعالى لهم من يبدد شملهم ويفرق جمعهم مع بقاء آثارهم ليميز بهم بين الحق والباطل – والله الفعال لما يريد – ولا ننس أن من أهم وجود المنافقين بين المؤمنين الحكم العالية التى لم تظهر إلا فى هذا الزمن الذى يعتبر آخر الأزمنة فى الدين الإسلامى لله تعالى وما هو ظاهر منهم الآن ليكونوا سببا فى ضعف الدين وأهله بتشكيكهم فى العقائد وتأويلهم معانى الآى الكريم والأحاديث الشريفة بدون معارض لهم من أهل الحق لضعفهم وقلة شوكتهم حيث كان الفساد شائعا برفعة شأنهم واتصالاتهم التامة لأعداء الله ورسوله والمسلمين حقاً ، حيث كانت الأيدى العاملة لأعداء الدين بتلك التحزبات والتفريقات ورفعة شأنهم بذلك وإيثارهم لحب الدنيا على الآخرة بالسعى وراء أعداء الله تعالى ورسوله والمؤمنين ومخالفتهم لقول الحق الصريح الواضح واندماجهم فى أحضان هؤلاء الأعداء غير مبالين بالوعيد الشديد الذى توعد الله تعالى به هؤلاء المنافقين بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) وقال تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونوا سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) فكم حذر سبحانه وتعالى عباده من اتباعهم لأعدائه أعداء

رسوله والمؤمنين بقوله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) الآيات وفى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) الآيات وفى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين) ، وفى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) وفى قوله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) وفى قوله تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) قل لأمراء المسلمين لمن هذا البيان ، وهكذا شأن المنافقين بين المسلمين يعملون لضعف الدين كما كان أسلافهم السابقين فى زمن سيد العالمين فهم الأداة العاملة لهدم الدين وإخراج الناس عن أخلاقه وآدابه وتعودهم وتطبعهم بأخلاق وعادات المستعمرين من الكافرين لحبهم الظهور بالمناصب والشهرة التى يؤهم إياها عدو الله ورسوله والمؤمنين ولا يتصل بالكافرين إلا المنافقين من الموظفين .

فأنت إذا أردت أن تعرف المنافق فى الإسلام والمسلمين خصوصا مما ينسبون أنفسهم للعلم والعلماء فهو كل من له صلة بمن له صلة بالمستعمرين من اليهود والنصارى أعداء الإسلام والمسلمين ويدعو لهم ضد اجماع المسلمين وقد حذرهم الله تعالى عن الإنتماء إليهم وتوادهم وأن من يفعل ذلك منهم فهو من الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ورسله واليوم الآخر فقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) الاية وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم) الآيات نسأل الله تعالى أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ومن يوالهم من المنافقين .

عداوة كل من كان على تلك المعانى المتقدمة لحضرته ﷺ

ولذا نبدأ فى بيان عقائدهم فى حضرته صلى الله عليه وسلم فنقول :

أما المعارضة فكانت لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم أضعاف ما كانت عليه فى

زمن الأنبياء والمرسلين من قبله وكان الحق عز وجل يسلى حضرته دائما وأبدا بالتخفيف والتلطيف والترويح عن جنابه الشريف بذكر قصص الأنبياء والمرسلين وبما يرد به عليهم تعالى فى مختلف الأحوال وتسويل الشيطان لهم فى أنواع الإيذاء بالمعارضة والمخالفة والاخراج والتعجيز إذ ما بعث صلى الله تعالى عليه وسلم إلا فى الزمن قد بلغ فيه كل شىء منتهاه حتى فى الضلال والكفر والعناد . فكانوا يتنكرون لحضرته أمورا لا تنشأ إلا عن منشىء الشر والفساد الذى لم يجعل الله تعالى له مصدرا إلا هذا اللعين وكان الحق عز وجل يعرف حضرته وأتباعه المؤمنين عن هؤلاء المعارضين بأنهم نوب عن إبليس فى المعارضة والمقاومة بقوله تعالى (تعرفهم بسيماهم) و (تعرفهم بلحن القول) و (إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا) ، وخصوصا وقد أبان سبحانه وتعالى لعباده أنه هو العدو الأول لأبيهم آدم عليه السلام فى قوله تعالى (فوسوس لهم الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكما وريشا ولباس التقوى ذلك خير . ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونه إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) الآيات وقال تعالى (يا بنى آدم إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وقال تعالى فى المتحزبين ضد حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) ومن تتبع أحوال معارضى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فيجدهم ماتركوا ناحية من نواحى شخصيته الكريمة

أو رسالته الشريفة العظيمة أو كلام العزيز الحكيم الذى أعجز فصحاءهم وبلغاءهم ولم يستطع أحد منهم أن يأتى بجملة تشبهه بحسن الرعاية فى التنسيق والتنميق واشتمالها على دقة الأسرار وجماع الأمر ولذا كان هو أكبر معجزة لحضرته مع أميته صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وكانت مناوأتهم ومعارضتهم مع اعترافهم بالعجز فى تلك المعارضة والمقاومة بتحسن القول ومخافة الكلام وإيذاء اللسان ولم ينظروا ولم يفطنوا لبيان الرد عليهم من الله تعالى عن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله الكثير تعالى لحضرته ـ قل ـ قل ـ قل ـ فما كان من رد على معارضيه إلا بقول الحق لحضرته ـ قل ـ فكان يكفيهم ذلك برهنة على صحة نبوته ورسالته وصدق جميعه، المنزل منزلة قوله تعالى ـ صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى ـ فمما طعنوا به فى قوله عز وجل وتحيروا فى حسن تركيبه وبهتوا فى حسن تنسيقه ورجعوا إلى الوليد بن المغيرة المخزومى يستشيرونه فى غرابة هذا الكلام وكانت له الرئاسة فيهم فى البلاغة والفصاحة وشهرة المال ـ فقال وإنى لفى أشد العجب والغرابة منه ولكن دعونى أفكر فيه إلى الغد ولما أصبح قال لهم ما قص الله تعالى علينا فى قوله لقومه ، وقد قلنا لك إن الله تعالى هو الذى تولى الرد عليهم مع حسن الرعاية والحفاوة لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا. إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر) الآيات ومنها قولهم ما هذا الكلام الذى يقوله محمد إلا قول البشر ومن تعليم البشر فرد سبحانه وتعالى عليهم بقوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) الايات وقد تحداهم تبارك وتعالى بقوله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أن ما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) وبقوله تعالى (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم

صادقين) الآيات ومنها انكارهم على حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعوته إلى الله وحده وإنكارهم فى ذلك على حضرته ورميهم لحضرته بالسفه والكذب والسحر ورد الحق سبحانه وتعالى عليهم بتسفيههم وتكذيبهم مع الملاطفة بحضرته وتسليته بما حصل لاخوانه الأنبياء والمرسلين من قبل فقال تعالى (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون ساحر كذاب أجعل الآلهة إلاها واحدا إن هذا لشىء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق أءنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب جندما هنالك مهزوم من الأحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وفرعون ذى الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب إصبر على ما يقولون) الآيات وقال تعالى مبكتا لهم ومسفها لآرائهم لعدم تدبرهم لآياته وتبصرهم فى ما رجوه جل وعلا على حضرته بقوله (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) ، ومنها ما كان أقسم به أبو جهل أنهم لو جاءهم نذير ليكونن أهدى إحدى الأمم لما كانوا يقصدون ويحج إليهم الناس فى البيت العتيق — فقد أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك توبيخا له ولمن سمعه وتبعه فى قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا فى الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) الآيات ومنها ما كانوا يعرفون حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بكافة نعوته فى كتبهم المقدسة من التوراة والإنجيل وكانوا يترقبون ظهوره بفارغ الصبر وكانوا يستنصرون به على أعدائهم فى حروبهم بقولهم بحق النبى المنتظر تنصرنا على أعدائنا فينصرون فذكرهم سبحانه وتعالى بذلك فى قوله تعالى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون

على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) الآيات
وفي قوله تعالى ، (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) الآيات ،

تبرئته صلى الله تعالى عليه وسلم من جميع ما ينسب إليه من أن القرآن الكريم من عندياته

لا يخفى أن من كل ليس له عقل سليم فهم أن القرآن الكريم ليس من عند الله وأن سيد العالمين ﷺ أعطى فصاحة وبلاغة فاقت أقرانه من بني البشر فعمل هذا من عندياته ، . وقد علم ربك ذلك فأبان لهم سبحانه وتعالى بأنه (من لدن حكيم عليم) وأنه (تنزيل من حكيم حميد) ولو كان من عندياته لما خاطب نفسه بذلك حيث قال عز من قائل (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) وقال تعالى (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) الآيات وقال تعالى (وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الأرض مرحاً أنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الاهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحورا) وفي قوله تعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لا تخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الأرض

ليخرجوك منها وإذاً لا يلبسون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) وفى قوله تعالى(ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) الآيات وفى قوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) وفى قوله تعالى (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى متين أم تسألهم أجراً فهم مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وإن يكادوا الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين) ، وفى قوله تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) ، ومنها قوله تعالى (وقال الذين كفروا إن هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفوراً رحيماً)، ومنها قوله تعالى (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) الآيات ، ومنها قوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ألا الى الله تصير الأمور) وهكذا من كل الآيات التى فيها البرهنة الصريحة على أنه ليس من عند حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم . وانما هو كلام رب العالمين المنزل على سيد المرسلين المخاطب به جميع عباده الآدميين فى شخص حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم . والمراد به كل مخاطب من جميع بنى البشر من المؤمنين وغيرهم حيث كان الخطاب لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المعصوم المبرأ من كل شين فيكون هو للمخاطبين من طريق الأحرى والأتم ولذا قال تعالى واصفاً حال من لم يؤمن

من المعاندين والمعارضين (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) وقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) الآية ونحن معشر المؤمنين مخاطب كل فرد منا بهذا وان كان ظاهره خاص بحضرته وهو معصوم صلى الله تعالى عليه وسلم من كل ذلك فهو خطاب لكل فرد يصح منه ذلك ورد عليه بذلك ولا يتعاظم عن ذلك لأنه صادر من رب العالمين الى سيد العالمين .

تسليته صلى الله تعالى عليه وسلم
والترفيه عن جنابه الشريف مما لاقاه من عباد الله المرسل إليهم

لا يخفى على من له ذوق سليم أن أنبياء الله تعالى ورسله عانوا عناءا شديدا ولاقوا آلاما كثيرة من البشر فى دعوتهم الى الله تعالى خصوصاً سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم . اذ قد جاء الزمن الذى قد بلغ فيه كل شيء منتهاه حتى فى الضلال والكفر والعناد وذلك ليتناسب مع ما جعله الله تعالى عليه من العظم والعظمة فى كل شيء — ومع هذا فإن الله سبحانه وتعالى للطفه به وحسن عنايته ورعايته بحضرته فكان دائماً سبحانه وتعالى مواليه بقصص وأحوال اخوانه السابقين وما لاقوا وما قاسوا ، فمنها قوله تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبدون آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا

فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) الآيات ، وقال تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقال تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) وقال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا) الآيات وقال تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) ، ومنها قوله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) الآية ، وفى قصص سيدنا يوسف عليه السلام ،

قوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الآيات وقال تعالى (وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون) وفي قصص سيدنا عيسى وأمه عليه السلام قوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) الآيات وهكذا تمارفه الحق عز وجل على حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وخفف من آلامه وعبئه مما لا تحيط به العقول جل سبحانه وتعالى وهو الرؤف الرحيم .

أمنيته صلى الله تعالى عليه وسلم كأمنية إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات تعالى وسلامه عليهم أجمعين

لا يخفى على كل ذي عقل راجح أن فطرة الله تعالى في عباده أن جعلهم على حالتين فمنهم من يميل إلى الشر وجعل منهم زعماء يدعون اليه ويتمنى أن كل الناس يكونون على مبدئه ويميلون اليه وينزعون إلى دعوته ولا يفلت منهم أحد فيما هو فيه ولا ينصرف منهم أحد مما هو عليه ، وجعل منهم من يميل إلى الخير ومنهم زعماء يدعون إليه ويتمنى أن لا يفلت منهم أحد فيما هو وهم من على قدم الأنبياء والمرسلين ، إذ ما من نبي ولا رسول إلا وقد تمنى هذه الأمنية وكان يرجو الله تعالى فيه ولكن الله تعالى الخالق المالك أبى إلا أن تكون حكمته العالية كذلك وقد كان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم أشدهم حرصا على ذلك ومع ما سلاه الله تعالى به فقد بلغه أمنيته بأن جعل أكثر أهل الجنة دخولا الجنة من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان ما قص علينا تعالى بالتدريج في التنبيه على حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم مع الحفاوة والملاطفة في قوله تعالى (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) الآيات وفي قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وفي قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم

الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) ، وفى قوله تعالى (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) وفى قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) وفى قوله تعالى (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين وإن كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) الآيات ، وهكذا من الآيات التى فيها التسلية لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يكن على قدمه الشريف فى الدعوة الى الله تعالى إلى يوم الدين فى تبرئته صلى الله تعالى عليه وسلم مما نسب اليه من نقص البشرية عما سواه منهم من كل الوجوه إلا العلماء العاملين كما لا يخفى على كل ذى عقل سليم أن الله سبحانه وتعالى جعل رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ومصطفى خلقه أجمعين. كتلة تشريع لعباده أجمعين وأنه من البشر ليحصل التناسب والمناسبة بين المبلغ والمبلغ لهم فيكون من جنسهم ويتأنسون به ويهديه وإرشاده ويبين لهم سبحانه وتعالى أن دينه الحق وشرعه المستقيم لا يخرج عن أقوال حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم — وأفعاله — وتقريراته . وهذه هى جماع دين الله تعالى لعباده وأمرهم بالتأسى بحضرته فى كل ماجاء فى ذلك ماعدى ما اختصه الله تعالى به من خصوصياته الشريفة التى لا يستطيع أحد من البشر القيام بها من كل الوجوه فقال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) الآية وقال الله تعالى مفصلا لذلك ومرشدا لعباده من أن جميع بياناته هى من عند الله تعالى بدون شك ولا ارتياب من الأقوال والأفعال والتقريرات فى قوله (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)، إذ جميع ماتقدم من مجموع الدين الإسلامى من الأحكام الشرعية له لا تخرج عن فعل وترك أى أمر ونهى — وفيه الاشارة إلى الزوجين مالا يخفى وهما الحالتان المشار إليهما كثيرا فى كلامنا كما هو صريح القرآن بشيرا ونذيرا وكأنه خاص فى بيان حال المؤمنين والكافرين .

ولما كان صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك خاطبه الحق عز وجل من ذلك بكل الوجوه فقال تعالى ردا على من يطلب من حضرته أن يأتيهم بالمستحيلات فقال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا مايوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين) الآيات ، ورد سبحانه وتعالى على من يطلب من حضرته أن يكون مغايرا للبشرية التى لايصح الاقتداء إلا بها بأن يكون على خلاف ما هى عليه من علم الغيب وملك النفع والضر والتصرف فى كل شىء من انواع الخروج عن طوق البشر فقال تعالى (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولاضراً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وفى قوله تعالى (قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعا إلا ماشاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وفى قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما الهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) . وفى قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما الهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه) الآيات . وهكذا من الآيات التى فهم فيها ومنها بعض الناس الذين قصرت أذهانهم عن إدراك ماهو عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من حكمة التأسى بحضرته فى التبليغ والإرشاد ولما يكون بينه وبينهم من تمام المناسبة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك خصوصا لما جعله الله تعالى عليه من البيان لجميع البشر ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (لم أنس ولكن أنسى لأسن) الحديث أى لأسن أحكاماً لبنى البشر لتكون لهم فيها الرخصة والتوسعة والتسهيل والتيسير حتى يدرك بعض الناس مافاته من الفضل ولأن يوقع الحكم الشرعى على الوجه الأكمل الذى يكون فيه العمل مقبولا عند الله تعالى كحديث جبره للصلاة ـ وكحديث نومه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى طلعت الشمس الذى لا يعارض بحديث (نحن معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا) وكحديث العرنيين الذين سمروا أعين راعى إبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يعارض بحديث (أوتيت مفاتيح الغيب) الحديث وحديث (لايخفى على مقاسكم) الحديث بحديث (همس للنافقين ولمزهم بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وقولهم فى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (هو أذن) فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (قل أذن خير لكم)

الآيات ، وكحديث (لاتطرونى كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم) الحديث بحديث (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) الحديث .وكحديث (نحن أولى بالشك من ابراهيم) الحديث وحديث (لو لبثت فى السجن مالبث يوسف لأجبت الداعى) الحديث وحديث (لا تفضلونى على يونس ابن متى) الحديث وكحديث (لا تفضلونى على موسى بن عمران فأنا أول من تنشق عنه الأرض فإذا موسى آخذ بقوائم العرش) الحديث . وهكذا من الأحاديث والآيات التى لايوجهها ويفصلها ويعلم تأويل كل على حدته الا الراسخون فى العلم حتى يظهر أن لا تعارض ولا تضاد فى الآيات والأحاديث . خصوصا وقد وفق الله تعالى جهابذة الأئمة قد جمعوا كلما كان ظاهره متشابها من الآيات والأحاديث له وأفردوا له مؤلفات خاصة ليرجع اليها كل مهتد يرجوا الهدى الى طريق مستقيم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . الذين يعرفون أن الحق واحد صريح وجلى ولا شبهة ولا خلاف فيه بين أهله وانما الخلاف نشأ وصدر من الذين هم من منشىء المنافقين الذين كانوا بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ويظن الناس فيهم أنهم من المسلمين ويعدون أقوالهم أمور خلافية فى الاسلام وبين المسلمين فهم همزة الوصل التى بين المؤمنين حقا والمنافقين تعمقا ، المتصلين بالكافرين المعارضين لله ورسوله والحق وأهله . فتراهم يتلمسون بعض الآيات التى تحط من قدره الشريف ويقولون بجزء منها يعطهم الخلاف كقوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم)ويعطون حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم أنواع البشرية من كل الوجوه من حيث مستلزمات الحياة الدنيوية وبعد الموت كذلك حتى يقولون فى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كأفراد البشرية بعد الموت وصار رفاة ويعمون على السامعين لهم التفضيل الخاص بالأنبياء والمرسلين فى الحديث المشهور المتواتر من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء) الحديث ، وقد جئنا به وغيره فى هذا الباب من حياة الأنبياء لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم كالبشر من كل الوجوه . وأنهم أيضا قد عموا على سامعيهم بقية الآيتين اللتين استدلوا بها على بشريته من قوله تعالى (يوحى الى) الآية وهل هذا المعلم الضلل يوحى اليه حتى أنه يحكم ببشرية حضرته كبشريته ـ كلا وألف كلا ـ وقد عمى أيضا على سامعيه الحديث المشهور المتواتر عند أصحاب السنن والمسانيد وهو قوله صلى

الله عليه وسلم (يامعشر الناس لست كأحدكم إنما أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى) الحديث وهل هو يكون عند ربه إلا يطعمه ويسقيه ويكون فى كفالته، كلا وألف كلا . وفى قوله تعالى (قل لاأملك لنفسى نفعاً ولا ضراً) الآية إذ يقول فيها المضلل وليس له الغرض فى ذلك إلا الحط من قدره الشريف بقوله لسامعيه هاهو سيد العالمين يقول الله تعالى له إنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا . وما هو إلا كالبشر الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولاضرا . أفهل أحد مع الله تعالى يملك لنفسه نفعا أو ضرا إذا يكون شريكا له تعالى عن ذلك علواً كبيرا ـ وهل هذا يتفق مع التشريع والتبيين للبشر والاقتداء بحضرته وإلا ليعلم كل مبلغ أن المرجع فى الأمور كلها إلى الله تعالى وإن له تعالى خصائص فى عباده المؤمنين : يفضلون بها بإيمانهم حتى يكون لهم بها الحق عند الله تعالى فى أن ينفعهم ويدفع عنهم الضر تفضلا منه لاوجوبا عليه كما هو صريح القرآن المجيد والسنة المطهرة حيث قال عز من قائل (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) الآية : وفى الحديث الشريف الصحيح المتواتر (هل تدرى ماحق الله على عباده وما حق العباد على الله) الحديث . وفى قوله تعالى لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا إنما هو البلاغ والإرشاد لعموم الناس حيث يكون مرجعهم إلى الله عز وجل فى ظواهر الأمور وبواطنها . وفى قوله تعالى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) الآية يقول بها متعمقا فى الضلال وضامها إلى بقية الآية قبلها مؤولها إلى غرضه وهو الحط من كرامة حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وغرضه من ذلك أن يضلل على السامعين له أن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بشىء ولا على شىء من المميزات عن عموم البشر منكراً لذلك مماخصه الله تعالى به مما هو ثبت بصريح القرآن وصحيح السنة المتواترة المشهورة من معجزاته الشريفة التى جعلها الله تعالى مؤيدة لدعوته ورسالته وكأنه لم يقرء قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا) . وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ستفتح مكة) الحديث . وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ستفتح عليكم مصر) الحديث . وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (سيطلع عليكم خير وفد اليوم وفد عبد القيس) الحديث . وهكذا مما جاء فى بيان السنة من إخباره

الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم مما ضل فيه زعنه كل ضال من المارقين الخارجين عن إجماع المسلمين . إذ الموافق فى التشريع من إخبار الحق عز وجل له بعدم علم الغيب ليقتدى بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم . إذ علم الغيب هو كل ماغاب عن الإنسان ولا يعلم عاقبة أمره وهو ماجبل البشر على حب الاستطلاع عليه خصوصا فيما غاب عنهم مما يرجو ويخشى ويخاف ويحذر . فلو كان ذلك جائزاً لتمناه كل إنسان حتى لو صادفه شيء من ذلك لأسف على عدم معرفته والوصول لغايته ليستنير ويستبين له الأمر حتى إذا مالام نفسه وأعاب عليها ونسب لها التقصير والأسف فى ذلك لرجع إلى الاقتداء بحضرته فى قوله تعالى لحضرته ، ولو كنت أعلم الغيب ، لصح الاقتداء وحسن وغرضه من ذلك الاستكثار من حطام الدنيا . وهذا لايتوافق مع الدعوة إلى الله تعالى التى الغرض منها الدلالة عليه والرغبة فيما هو لديه من الرضوان فى الدنيا والنعيم المقيم فى الآخرة ولايكون ذلك إلا من الاقلال فى حطامها واستكثار فيما عنده تعالى كما هو صريح الكتاب العزيز والسنة المطهرة قال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) الآية وفى قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) الآيات . وأوليس حضرته القائل لمن استرشده (إزهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس) . هذا هو المتناسب مع البلاغ والتشريع حتى يكون الاستكثار من الخير الزيادة فيما عند الله تعالى فيما شرعه لهم وأمرهم بالسير عليه ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المشهور (لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل متفضل) الحديث بالروايات وفى قوله (كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) الحديث . وطبعا يكون فضل المتفضل عن الرضى عنهم لا بالغلبة والمعارضة . وفى قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) الآية حيث جمع صلى الله تعالى عليه وسلم أهله وناداهم وقام فيهم خطيباً (لا أغنى عنكم من الله شيئاً ياعباس بن عبد المطلب لاأغنى عنك من الله شيئا ياصفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا يافاطمة بنت محمد لاأغنى عنك من الله شيئا سلينى من مالى ماشئت) الحديث وبعد هذا يقول المضلل لسامعيه هاهو رسول الله لاينفع أحداً ولا ابنته حيث يقول لقومه وذويه لاأغنى عنكم من الله شيئا ـ وهو فى تمام الإنغماس بجهالته من معنى الحديث

الذى معناه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لايغنى عنهم من الله شيئا إلا بالإيمان : والافهو لاخوف عليهم ولا هم يحزنون حتى يتفق مع قوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وحيث كان صلى الله تعالى عليه وسلم أولى من عامة المؤمنين من أنفسهم أو ليس يكون لأهله وذويه على أتم الولاية . ولم يخش هذا الضلل أن تصدمه هذه الآية بأن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم جعله الله تعالى على أتم النفع للمؤمنين حتى يكون هو أولى بهم من أنفسهم بالإيمان فيخفى عليهم مسألة الإيمان ويثبت له عدم النفع عامة ، إذ الإيمان هو الشرط الأساسى الذى تنبنى عليه جميع دعوة الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من المصلحين أجمعين ، وقد قص الله تعالى علينا فى محكم التنزيل أن نوحا عليه السلام لم يغن عن إبنه شيئا بعدم إيمانه وزوجه أيضا ـ وزوج لوط عليه السلام أيضا . وعم إبراهيم عليه السلام أيضا فالإيمان هو الشرط الأساسى فى النفع ودخولهم تحت الشفاعه ، فقد عرفت أن حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ينفع كل مؤمن عامة وآل بيته والمتفانين فى حبه خاصة بما وهبهم الله تعالى حبه وحبهم ، وأما هذا الضال المضلل ليس له الغرض إلا الحط من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم جحودا لنعم الله تعالى فى أخص خلقه وعنادا للعارضين بذلك وحسدا لهم على ذلك وجهلا وتضليلا لسامعيه الذين جعل الله استعدادهم بسيطا لا يعلمون ولا يسألون غيره حتى يهتدوا إلى الحق وطريق مستقيم ، وفى قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) الآية يقول الضال المضلل هاهو سيد العالمين مات كالبشر وانتهى والله تعالى يقول له (إنك ميت وإنهم ميتون) وغرضه من ذلك الحط من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم وضل فى قول الله تعالى (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) الآية ، يعنى أن سنة الله تعالى فى بنى آدم الموت وهو الترقى فى الحياة والوجود لكن يظن الضال فى الموت أنه عدم كما فهم اليهود والنصارى فى الموت كذلك وصريح القرآن والسنة أن الموت ترقى فى الحياة وانتقال من حياة إلى حياة أكبر وأرقى من حياة الدنيا والاقتداء بحضرته فى أعظم شىء ثقيل على النفس ، وهو الموت فاذا ماذكره وأسف منه اقتدى بقوله تعالى لحضرته (إنك ميت وإنهم ميتون) وفى قوله تعالى (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) وكذا أيضا إذا ماتذكر بأن عزيزا له مات واشتد أسفه عليه فيتسلى ويتأسى بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فهو صلى الله تعالى عليه وسلم القدوة البشرية فى كل الأمور .

وخطاب الله تعالى إنما هو لعموم البشر فى شخصية حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل الأمور ومن جميع الوجوه حتى يصح الرجوع فى الآية الفردة فى جميع الكتاب العزيز من قوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى من كل شىء وفى كل شىء، فهذا هو الغرض من الآى التى ظاهرها اختصاص حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بها ولكن أسفا. ضل فيها ومنها كل ضال وجعلها سيئة واستند لها فى أباطيله وضل وعمى عن حقائقها ومعانى توجيهها، وهاهو ما تعرف منه أنا ضال عن الحق والطريق المستقيم وخارج عن إجماع المسلمين — ولعلك به ومنه تعرف أنه ضال فى جميع ما يدعيه بالمخالفة — وأنه هو المعنى فى قوله تعالى (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) الآية، وفى قوله تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وفى قوله تعالى (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) الآية، فاذا عرفت من هذه الآية وتوجيهه فيها تعرف أنه ضال فى جميع أقواله وهو حقا كما أخبر تعالى عنه أنه أعمى إذ الأعمى لا يبصر فى شىء من الحق ويعمى عن شىء من الحق بل هو أعمى فى كل ما يقرر وضال ومضلل فى كل عقائده وأقواله، كما فى قوله تعالى (وان ليس للانسان إلا ما سعى) الآية يقول فيها الضال لا ينفع الإنسان إلا عمله ولا ينفعه عمل الغير ولا يصل إليه حتى ولو دعى لأخيه لا ينفعه — يقول الواحد منهم للآخر إذا ما دعى له أدع لنفسك ضل فى معنى السعى الذى هو أخص خصائصه الإيمان ومتى كان كذلك فانه يعود عليه كل ما يصدر من المؤمنين له ويعود عليه نفعه وينفعه وهاهم المسلمون قديما وحديثا مجمعون على أن عمل الغير ينفع الغير بصريح القرآن وواضح السنة، أما صريح القرآن فقد قال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم)، وأن عمل غير الجنس ودعاءه ينفع غير الجنس إذ يقول سبحانه وتعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من

آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) الآيات وكان يكفي هؤلاء الضلال ردعا وزجراً وضربا في وجوههم التي لا إحساس فيها تشريع الله تعالى لعباده على يد سيد العالمين مشروعية الانتفاع الميت بدعاء الأحياء عليه في الصلاة وقد بين ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث المشهور (ما اجتمع أربعون في الصلاة على جنازة إلا قبلت شفاعتهم) الحديث وإلا فلا معنى الصلاة على الميت ومن أغرب ما تسمع وتقرأ قول الضال للضالين المستمعين له في شرحه للحديث المشهور من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تطروني كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم) الحديث إذ يقول لهم ويكتب ها هو رسول الله يقول لا تطروني — أي لا تمدحوني مدحا زائدا عن الحد والذين يمدحونه مدحاً زائدا عن الحد ويبالغون في مدحه كالبوصيري وغيره هم المشركون، قل لذلك الأخرق الذي لا يفقه ولا ينقه مهما بالغ البشر في مدح حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم هل يبلغوا شيئا مما امتدحه عز وجل به في قوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) ولا يخفى على أن الخلق العظيم هو الجامع لأمهات الكمال والفضل والإنعام منه تبارك وتعالى على أن هذا الغمر لا يعرف للحديث الشريف معنى كاضلاله في جميع تفهماته في الآيات والأحاديث التي يستدل بها في ضلالاته صدق الله العظيم حيث قال في كتابه المبين (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين) إذ معنى الحديث لا تطروني كإطراء اليهود حيث جعلوا عزيزا ابن الله والنصارى حيث جعلوا المسيح ابن الله المستفاد من كاف التشبيه أو التثلية يحذرنا أن نجعله صلى الله تعالى عليه وسلم إبنا له، تعالى عن ذلك علوا كبيرا وليس هناك له غرض إلا الحط من قدره الشريف (هيهات ما الكحل الكحل) وهكذا نراه ضالا ومضللا في تعريفه أتباعه سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم أو لم ينظروا إلى خصائص حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم دون جميع الأنبياء المرسلين من الإسراء والمعراج وإلى نفس التشريع الذي خصه الله تعالى به من الصلوات الخمس التي لم يخص سبحانه وتعالى أحدا بها من آدم عليه السلام إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم إذ كانت جميع صلواتهم من قيام كصلاة الجنازة إلا حضرته فكانت جامعة لجميع عبادة الملائكة في السموات وما أعطاه الله تعالى من المميزات في البيان والتبيين في جميع الأحكام الشرعية إذ كان في البيان والتبيين كالقرآن الكريم في بيان جميع مكونات الحق عز وجل كيف

لا وقد قال من لا ينطق عن الهوى (ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه) وفى رواية عن الإمام أحمد (وعشرة أمثاله) وكيف يعرف خصائص حضرته من ضل بالخروج عن إجماع المسلمين وحرم نفسه من النور الإلهى والعطف والفتح الربانى ، أولم ينظر إلى قوله تعالى (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) وهل الله العظيم القادر يوجد فى خلقة شيئا مثل الآخر حتى يكون أفضل الأنبياء للرسلين مثل غيره فى البشرية من كل الوجوه ، فهم كأنهم لم يأكلوا ولم يشربوا حتى يجعلون طعام كل شىء وشرابه واحدا ، أفهل الكافر كالمنافق أو هل المؤمن كالمنافق أو هل الصالح كالمؤمن مجرد الإيمان أو هل الولى كالصالح أو هل الولى كالشهيد أو هل الشهيد كالنبى أو هل النبى فقط كالرسول أو هل النبى الرسول كأولى العزم كلا إنهم عن النور الإلهى لمحجوبون ولم يفرقوا فى مكونات الحق عز وجل حتى طمس بصائرهم يقول أحدهم إحمل تبقى مثله ولم ينظر إلى مكون الوجود ومبدعه الذى قال جل شأنه (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) ولم ينظروا إلى مبدعاته التى يستدل بها إلى عظيم قدرته وبديع صنعته فى جميع أفراد موجوداته إذ جعل سبحانه وتعالى فى كل فرد منها فرداً واحدا منها هو أعلى وأرقى جميع مفرداته كالحبوب مثلا جعل سبحانه فرداً منها هو أعلى جميع أفراد الحبوب إذ الحبوب سبعة وأعلاها البر الذى هو اجتمعت فيه جميع أفراد الحبوب وكالتمر الذى اجتمعت فيه جميع أفراد الفاكهة وكذا الخضروات والبقول ، والحيوانات فى البهائم أعلاها الضانى وإن الجمل أكل منه والطيور أعلاها الحمام والأسماك أعلاه البياض ، أبعد هذا فى بيان مكونات الحق عز وجل لعباده يظن الغمر الغبى الجهول أن ابن آدم محل نظر الحق عز وجل واحداً أبعد هذا البيان أليس يجعل فى ابن آدم فردا واحدا هو أعلى ابن آدم ليس يعادله فى الفضل أحد ويقول فى تضليلاته لعباد الله البرءاء مثلك مثله ؟ وفى أشد حمقه فى الجهالة أنه يقول أنه مات وانتهى عقيدة اليهود والنصارى هل ابن آدم يقال عنه مات وانتهى بعد أن أبان لنا سبحانه وتعالى أن الموت عبارة عن الانتقال من حياة إلى حياة أرقى منها وأن الكافر فى قبره أحيى من حياة الدنيا فبالأولى العبد الصالح والولى الشهيد والنبى فقط والنبى والرسول ، وما أعطى الله عبدا من عباده نعمة وكرامة فى الدنيا ويسلبها منه فى الآخرة كلا وألف كلا قال تعالى (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة

أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وهل الإله الكريم الذى لا نهاية لإفضاله وانعامه يعطه فى الدنيا ويحرمه منها فى الآخرة بمقتضى صريح قوله السابق قال تعالى(وعد الله لا يخلف الله وعده) والإنسان منا بمجرد مفارقته للحياة الدنيا وهو فى بيته ينتقل إلى الحياة الآخرة التى هى أوسع من الحياة الدنيا قال تعالى(وإن الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) قالوا ومنقلبة عن الياء فالمعنى وإن الدار الاخرة لهى الحييان كما جاء فى بيان من لا ينطق عن الهوى فى قوله الشريف (إن الميت ليعلم بمن يغسله ومن يكفنه ومن يحمله ومن بدليه فى القبر) فاذا كان ابن آدم يرقى فى الحياة بصريح الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، بقول الغبى الأخرق أن ابن آدم مات وانتهى، أفلم ينظروا إلى ما اوجده الله تعالى فى موجوداته لابن آدم لينتفع بها فى هذا الوجود وسخرها له ظاهره وباطنه ، وأبان له سبحانه بأنه ينتفع بها حية وبعد موتها يكون له فيها النفع أكثر من حياتها من المولدات الثلاثة الجماد والنبات والحيوان ، فاذا نظرنا الجماد كالحجر مثلا فانا ننتفع به وهو حى فى البنيان من البيوت والكبارى والقناطر والحصون ، فاذا مات وخرجت روحه التبروولية وصار جيرا فانا ننتفع بهذا الجير فى عدة منافع يؤخذ منه حقن الكالسيوم وصبغة الشعر والصابون والجبيرة ويخرج الشعر من الجلد والبودرة وغير ذلك كثير، أفهل الجماد بعد موته ينتفع به وابن آدم بعد موته لاينتفع قل للغبى الأخرق ، وهاهو النبات ننتفع بثماره وهو حى وبعد موته ننتفع برماده نأخذ منه ملح القلى ورماده يكون للبنيان ويكون سباخا للزرع ؟ النبات بعد موته يكون فيه النفع وابن آدم لايكون فيه قل للجهول الأحق، وهاهو الحيوان ، إذا كان الذكر من الضأن أومن أى حيوان ليس فيه إلا منفعة العمل وهو حى فاذا مات نجد لدمه منفعة تعود على ابن آدم وجلده ولحمه وعظمه يحرق يخرج منه السوائل ويحروق العظم يكرر به العسل الأسود يصير سكرا فالحيوان بعد موته تكون فيه المنافع لابن آدم وإذا مات ابن آدم انتهى . قل لهذا الحيوان الأعجم الذى لا يفقه ولا ينقه واذا صدق من

قال إذا ضلت العقول على علـ م فماذا تقوله النصحاء

هذا ، ضلالهم فى سيد العالمين الذى أبان لنا سبحانه وتعالى أنه أرقى أولى العزم من الرسل فى آيتين فى كتابه العزيز فى آية سورة الأحزاب قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم

ميثاقاً غليظا) وآية سورة الشورى قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وما بدء سبحانه إلا بحضرته لبيان أنه أول أولى العزم . ولم يجعل الله سبحانه وتعالى أن الأمم لا تطلب فى الآخرة الشفاعة إلا منهم وكل واحد منهم يذكر عذره إلى أن ينتهى الأمر إلى حضرته فيكون حضرته اللهم صلى وسلم و بارك عليه هو الشافع المشفع بصريح القرآن وبيان السنة المطهرة فيشفع لجميع الخلق أجمعين من آدم عليه السلام وإلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم .

الفصل السابع

فى التوسل والوسيلة

غير خاف على ذوى العقول الذكية والبصائر النيرة أنا تكلمنا كثيراً وذكرنا مراراً فى هذا الكتاب على التوسل وعقدنا هذا الفصل لنجىء فيه بجميع ما جاء فى أنواع التوسل لعل مطلع على شىء منه فيهتدى به إلى الصواب وخاصة أن علماء العصر الحاضر كلهم مشركون ولايعرفون خالقهم سبحانه وتعالى حتى يعرفون الوسائل والأسباب التى هى التوسل والوسيلة لأنهم يعتقدون أن لله عز وجل أعمالا خاصة به ، ولجميع مخلوقاته أعمالا خاصة بهم ، فمن ترك الله تعالى وذهب إلى مخلوقاته فقد أشرك بالله تعالى ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً من شيخ أزهرهم لأقل متخرج فهم منهم مشركون لأن مدرسيهم يبينون لهم ذلك لجهلهم بمعرفة خالقهم وهؤلاء من الأئمة والوعاظ والمدرسين يضللون البرءآء من المؤمنين فحسبنا الله فيهم وفى من أنشأ لهم هذا الضلال ، وسبب ذلك أن عبد الوهاب التابع لابن تيمية يعتقد أن كل من مات انتهى أى أنتهت حياته ولا ينفع ولا يضر ولو كان نبياً ، وأيضا على هذا المبدأ السبكية ويعتقدون أنهم كالأصنام ، والصلاة فى المساجد التى فيها ميت لاتقبل ويصلون فى الشوارع وعلى الأرصفة ولا يصلون فى المساجد التى فيها قبور مسلمين ، فهم أجهل الجهلاء بكتاب الله وسنة سيد المرسلين ، وسبب ذلك أنه تولى شيخاً للأزهر أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده الذى كان تلميذ الشيخ جمال الدين الأفغانى أول مؤسس لدعوة ابن تيمية فى مصر بعد أن انقرضت بمصر تعين شيخا للأزهر بواسطة المستعمرين الإنجليز وأخذ يقرب ويرفع بشأن كل من كان على مبادئه ثم أقيل هذا الشيخ وجاء بعده شيخا للأزهر رجل

صالح فنظر فى خمسة وسبعين عالما قد تحولوا فى العقائد إلى ذلك الشيخ الأول فأقالهم جميعا ثم بعد خمس سنين رجع الشيخ الأول وردهم لمناصبهم فجدوا واجتهدوا فى هذه العقائد الزائفة الفاسدة وقد تعين منهم شيوخا للأزهر، والمدرسين يعملون لمرضات شيوخهم فنشأ الطلاب على هذه المبادىء الضالة وجهلوا بها ببيان ما جاء فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، حتى لا ترى فيهم واحدا على الحق مهتد أبدا فهم أكبر الضلال فى معرفة رب العالمين وخرجوا عن الحق والطريق المستقيم وليس فيهم من عالم مطيع .
فلعنة الله على الجميع ، ما رأيت منهم عالما يعرف ربه فتسعة أعشار المتخرجين الآن ونصف وربع وثمن وثلث ثمن ودانك وحبيتين خال عن العلم والعلماء ، ثم يقال لهم علماء بالحال بالقرش والذبلحة والتملق هم بذلك علماء حقا ، تخرجوا من ضرب العوالم يباب الحلق ، وأما ما عدى هؤلاء فهناك علماء للأزهر الذين درسوا الكتاب العزيز والسنة المطهرة على أفاضل يعرفون ربهم وأسرار مكوناته التى قال الله تعالى فيها (واسألوا الله من فضله) أى مما قربه السكم وجعله بين أيديكم وهو مما أكبر الدلالة على تسخير مكوناته لعباده وفى قوله تعالى (وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه) وما مكون لله تعالى من الموجودات إلا وهو يعطى ما يطلب منه قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) وكيف يوجد مخلوق لله تعالى إلا وهو يعطى مايطلب منه بالوضع ، والفطرة التى فطر الله تعالى خلقه عليها أولئك الذين ينكرون التوسل ولم يطمس الله تعالى بصرهم وبصيرتهم فقط بل سلبهم الحس والذوق والتمييز لأنهم لم يفرقوا فى مأكلوهم ولم يرو الحسن من الأحسن والفاضل من المفضول والكامل من الأكمل ، وكيف ذلك وهم يحضرون العلم عن الضال ويقولون هاهو عالم ولم يميزوا بين العالم من الضال ، أو لم يسمعوا صيتا لأى شىء يذهبون إلى ذى الصوت الأحسن هل هو ذاهب إلى ذات الشخص أو إلى نعمة الله تعالى التى أودعها فيه فكذلك الذاهب إلى الولى ذاهب إلى نعمة الله التى أودعها فيه ، ومن أعرب ماتسمع منهم ، من قولهم إعمل وأنت تكون مثله ، ومن طمس بصرهم وبصيرتهم ، قولهم ، الولى الحى ينفع بدعوة ، وبواسطة ، ولكن الميت مات وانتهى وصار عظاما نخرة ويحملون الآيات . التى أنزلها الله تعالى فى الأصنام يحملونها على الصالحين من عباد الله تعالى

كقوله (إن ندعوهم لا يسمعوا دعاءكم) وهل هذا الخنزير وصل لدرجة الكمل من الرجال
حتى يسمع كلام الأموات الأخروى ، وهل رأى الجن أولا ، ثم بعدها رأى الملائكة
ثم بعدها رأى أمواتا وأقرأهم السلام وردوا عليه حتى يعرف معنى الآية فإن الأدمى
يرد وأما الجمادات من الأصنام لا ترد ولا تنفع ولا تضر ، وأما الآدمى فإنه يسمع
ويرد وينفع بالله ويضر بالله ، راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب الذى لم نذكر
فيه سماعا بل ما حققناه بنفسنا وشاهدناه بأعيننا فلله الحمد تعالى والمنة وله الثناء
الحسن الجميل سبحانه لا نحصى ثناء عليه كما أثنى على نفسه ، الله تعالى يذكر فى كتابه
العزيز أن الكافر فى قبره أحيا من الحى الماشى على الأرض ، وهذا الخنزير ينكر
حياة عباد الله الصالحين ما أجهلهم وأضل قلوبهم ، الله تعالى أبان لعباده على
لسان من أسند الله تعالى إلى حضرته البيان والتبيين اللهم صل وسلم وبارك عليه
فى حكم شرعى فى المذاهب الأربعة وإن كان المنكر لا يعترف بالمذاهب الأربعة
فهو حكم شرعى رغم أنفه ، وهو حكم الصلاة لإنزال المطر للبلاد التى لا تزرع
إلا على المطر ، إذا تأخر عن ميعاده ، فقد أبان صلى الله تعالى عليه وسلم
كيفية الصلاة وهى مبينة فى السنة المطهرة التى أخذ الفقهاء الأربع البيان الشريف
من ذلك ، وهو أنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج وجميع الناس يخرجون جميع
المواشى ويصلى بهم صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول فى دعائه (اللهم أسق بلدك وبهيمتك)،
وهكذا كل إمام يفعل كذلك من هذا البيان، فقل للغبى يخرج الرجال والنساء والأطفال
للصلاة وما السر فى إخراج المواشى ، أليس فى هذا رمز وإشارة للتوسل لله تعالى
بنعمه وهى المواشى ، الله تعالى يبيح التوسل بالبهائم وهذا الغمر الغبى يحرم التوسل
بالصالحين ، الله تعالى أبان لنا فى كتابه العزيز التوسل بالصالحين أحياءا وأمواتا وهؤلاء
ينكرون ذلك ، فلست أدرى هل يعارضون الله تعالى فى بيان أحكامه لعباده أم يعارضون
الجميع لا حول ولا قوة إلا بالله ، أو لم يبين لنا سبحانه أن التوسل بعباده الصالحين من
قديم الزمان وأن هذه سنته تعالى فى خلقه أولم يقرءوا قوله تعالى (ألم تر إلى الملأ من
بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله
قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا ومالنا أن لا نقاتل
فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الآيات أو لم يبين لنا سبحانه بأن
نسأل عباده الصالحين يسألون ربهم سبحانه ويحقق لهم أمنيتهم فالأولياء أحياء وأمواتا
من أنواع المتوسلات المشروعة لبنى آدم أو لم يعرفوا قول ربهم سبحانه كما يعرف هذا

الغبي قوله تعالى (ادعوني استجب لكم) وقوله تعالى (وإذا سأل عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) أولم يعرف قول رسول الله صلى الله تعالى سلم (وإذا سألت فاسأل الله) وقد سألني سائله منهم بقوله أترك الله وأتوجه لسيدنا الحسين ، قلت له أين تركت الله تعالى أقوم وأتوجه إليه ، أتركته على قطع المرة ياغبي ،من خلق الحسين رضي الله تعالى عنه من أنعم عليه ومن وجه القلوب إليه ومن يقضي الحاجات عنده ، أولئك هم الضالون وقد بينا كل ذلك ،وإن منهم لفريقاً ليقولون لا بأس بالتوسل بالأحياء الصالحين ، وأما في نظرهم الأموات ماتوا وانتهوا كعقيدة اليهود والنصارى ، أو لم يبين لنا سبحانه أن والد صاحب البقرة كان من الصالحين حتى أكرم الله تعالى ولده بالبقرة التي استودعها الله تعالى لإبنه ، أولم يكرم الله تعالى عباده بعبده الصالح الذي لم يوجده الله تعالى في الدنيا وقد سمى الله تعالى من لم يوجده في الدنيا بأنه ميت ،وقد ذكر تعالى في كتبه المقدسة بأنه سيوجد عبدا من عباده صالحا خاتم المرسلين وكانوا يستفتحون به على أعدائهم فينصرون به ،وأولم ينصر الله تعالى أنجال الرجل الصالح في سورة الكهف وقال أهل التحقيق أنه كان سابع جد لأولئك الأنجال ، وأولم يتوسل صلى الله تعالى عليه وسلم بالأموات الصالحين الميتين من قبل حين دفن السيدة فاطمة بنت أسد بقوله (اللهم بحقي وحق النبيين من قبلي أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع لها في قبرها) وهي والدة سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فسبب جهلهم بتمسكهم ببعض آيات في القرآن العزيز وبعض الأحاديث في السنة المطهرة كقوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) .. فقل لهذا الغمر أليس في قوله تعالى . (ادعوني أستجب لكم) هو عين الإشارة إلى الوسيلة لأن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور لا يحتاج إلى دعاء ولا طلب إذ هو قائم على كل نفس بما كسبت ويقول أيضا هذا الغمر في استدلاله على عدم الوسيلة قال الله تعالى — (واسألوا الله من فضله) — فقل لهذا الأخرق أليست هذه الآية الكريمة هي دعوة من الله عز وجل لعباده بالتمسك بالوسيلة إذ فضله الذي وجهنا إليه تعالى هو مما قربه إلينا وجعله بين أيدينا كما عليه أهل التحقيق من المفسرين لهذه الآية ترشدنا إلى التوسل والوسيلة والأخذ في الأسباب ظاهرا وباطنا ويقول أيضا هذا الغبي في استدلاله وإنكاره على عدم التوسل بالحديث المشهور المروي

عند أصحاب الصحاح « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » الحديث فبالله أليس هذا هو عين الإرشاد إلى التوسل والوسيلة لأنه لايقصد إلا هو سبحانه وتعالى ظاهراً وباطناً ظاهراً بلسانه للقال وباطنا بلسان الحال لأنك وأنت ذاهب إلى الدكتور لتسأله عن العلة فلسان للقال الشكاية له، وبيان الحاجة إليه ، ولسان القال هو ولا نقل بل يجب بل هو بالفطرة التي فطر الله الناس عليها يقول اللهم اجعل في يده الشفاء وألهمه الصواب ووفقه لمعرفة الداء خصوصاً وأن أصله كانوا قريبي عهد بكفر فهم في أشد الحاجة إلى توجيههم إلى فاعل الكائنات والمكونات ظاهراً وباطناً سبحانه وتعالى. خصوصا لمخالطتهم للأعمال الدنيوية العائدة على حياتهم وذويهم وما يترتب عليه حسن المثوبة الأخروية فالغرض من إرشاده الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم العباد ليجزموا بأن جميع الأعمال والأفعال والحركات والسكنات منه جل وعلا والمطلوب من العبد المداومة على تعليق قلبه بمن هو شأنه كذلك سبحانه وتعالى لمداومة التوفيق والهداية لمرضاته وأما فهم الجهلاء في الحديث بأن الغرض منه صرف العبد عن مكونات الحق عز وجل فهو من الخرافة بمكان لما يترتب على ذلك من تعارض الآيات بعضها بعضا وكذلك السنة على مقتضى أفهامهم الفاسدة وأباطيلهم الكاسدة . أما الآيات فقوله تعالى (الله خلقكم وما تعملون) — (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) — هذه تدل على أنه هو الفعال وهو حق . فكيف بهذا مع قوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) — (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداءا) — وهكذا من جميع الآيات التي ذكر الحق عز وجل نسبة الأعمال للعباد وهاهي الآية الجامعة وهي قوله تعالى — (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) — فكيف بهذه مع قوله تعالى (فعال لما يريد) — (وخلقكم وما تعملون) — وكيف بذلك كله مع توجيه الله عز وجل عباده ولفتهم النظر إلى مكوناته من أخذ الأمور من أسبابها كقوله تعالى — (واسألوا الله من فضله) — وقال العلامة البيضاوي وعليه جميع المفسرين من عقلاء الأمة القرآن المجيد أي مما قربه إليكم وجعله بين أيديكم وعليه فالآخذ بالأسباب من هذه الموجودات. فهو سائل للحق عز وجل خصوصا وقد نوع الأسباب وسماها أبوابا وقال تعالى —

(وأتوا البيوت من أبوابها) وأما الأحاديث فكيف يفهم القاصر هذا الحديث مع قوله صلوات الله وسلامه عليه « دع الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » وهكذا جميع بيانات السنة وما ورد فيها من أنواع التوسل والوسيلة لا تكاد تقف عند حد من توسلاته الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم بأنواع نعم الله عز وجل من نعمة الزمان والمكان من الموجودات كما سيأتي من بعض ما ورد عنه في صحيح السنة صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

قصرهم الوسيلة على أنواع العبادة

فلست أدرى من أين لهم قصرهم الوسيلة على العبادة بحسب بعد إطلاق الحق عز وجل في قوله تعالى بعد أمره لعباده بالتقوى ـ (وابتغوا إليه الوسيلة) ـ وقد عرفهم بأنهم في دنيا الأسباب التي لا يأتي فيها حصول شيء إلا بالأسباب وكل الأسباب والمسببات من نعمه جل وعلا وأمرهم بأن يأخذوا بها ويعملوا ببيانه الحكيم وإرشاد رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام فلست أدرى ما عقول هؤلاء الذين لا يفقهون ولا يتفهون ويقولون قال الله تعالى ـ (ادعوني استجب لكم) ـ أليس قوله عز من قائل ادعوني هو عين الوسيلة إليه جل وعلا (وإذا سألت فاسال الله) الحديث هو عين الوسيلة . إسمع يا أخي على ماقدمنا من تفسير الكشاف قال العلامة أبو حيان في تفسيره البحر وكذا تفسير النهر :الوسيلة القربة التي ينبغي أن يطلب بها أو الحاجة أو الطاعة أو الجنة أو أفضل درجاتها أقوال للمفسرين اه منه . وقال الإمام الفخر . أعلم أن من مجامع التكليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما أحدهما ترك المنهيات وإليه الإشارة بقوله تعالى ـ (واتقوا الله) ـ وثانيهما فعل المأمورات وإليه الإشارة بقوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) ولما كان ترك المنهيات مقدما على فعل المأمورات بالذات لا جرم قدمه تعالى عليه في الذكر . وإنما قلنا أن الترك مقدم على الفعل لأن الترك عبارة عن بقاء الشيء على عدمه الأصلي والفعل هو الإيقاع والتحصيل . ولا شك أن عدم جميع المحدثات سابق على وجودها . فكان الترك قبل الفعل لا محالة . فإن قيل ولم جعلت الوسيط مخصوصة بالفعل مع أنا نعلم أن ترك المعاصي قد يتوسل به إلى الله تعالى . قلنا الترك ابقاء الشيء على عدمه الأصلي وذلك العدم المستمر لا يمكن

التوسل به إلى الشيء ألبتة وثبت أن الترك لا يمكن أن يكون وسيلة بل من دعاه داعى الشهوة إلى فعل قبيح ثم تركه لطلب مرضاة الله تعالى . فهاهنا يحصل التوسل بذلك الامتناع إلى الله تعالى إلا أن ذلك الإمتناع من باب الأفعال ولهذا قال المحققون ترك الشيء عبارة عن فعل ضده ، إذا عرفت هذا فنقول أن الترك والفعل أمران معتبران فى ظاهر الأفعال فالذى يجب تركه هو المحرمات والذى يجب فعله هو الواجبات . ومعتبران أيضاً فى الأخلاق الفاضلة والذى يجب حصوله هو الأخلاق الفاضلة والذى يجب تركه هو الأخلاق الذميمة . ومعتبران أيضا فى الأفكار فالذى يجب فعله هو التفكر فى الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد والذى يجب تركه هو الالتفات إلى الشبهات ومعتبران أيضاً فى مقام التجلى فالفعل هو الاستغراق فى الله تعالى والترك هو الالتفات إلى غير الله تعالى وأهل الرياضة يسمون الفعل والترك بالتخلية والتحلية وبالمحو والصحو وبالنفى والاثبات وبالفناء والبقاء ، وفى جميع المقامات النفى مقدم على الإثبات ولذلك كان قولنا لا إله إلا الله النفى مقدم فيه على الاثبات والوسيلة فعيله من وسل إليه إذا تقرب إليه قال لبيد الشاعر .

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
ألا كل ذى لب إلى الله واسل

أى متوسل . فالوسيلة هى التى يتوسل بها إلى المقصود اهـ منه ، وقال العلامة الألوسى فى تفسيره . الوسيلة ملاك الأمر كله فهى الذريعة لكل خير والمنجاة من كل ضير . وأخرج ابن الأنبارى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الوسيلة الحاجة وأنشد له قول عنترة .

إن الرجال لهم إليك وسيلة   أن يأخذوك تكحلى وتخضبى

فكيف بعد هذا الذى ظهر من بيان عقلاء المسلمين فى معنى تعميم الحق عز وجل لأنواع الوسيلة يقصرونها هم على أنها بمعنى العبادة فقط ما هو إلا تعصب وجهالة خصوصاً لقولهم لا توسل وأن الله ليس فى احتياج إلى الوسيلة وغاية أمرهم إنكارهم على المتوسلين بعباد الله الصالحين ولم يفطنوا لقول رب العالمين (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) فلم يجب

الحق عز وجل عليهم الوسيلة بالغائب المنتظر بل غاب عليهم إنكارهم له عدم الإيمان به صلى الله تعالى عليه وسلم ـ إبطال استدلالاتهم على أن الزائر للنبي أو الولي ـ والمتوسل بهما ـ مشرك كعابد الأصنام فى زعمهم بقوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) لا يخفى على ذى البصيرة أن المنحرفين عن الجادة والطريق المستقيم من الفرق المارقة الذين يحرفون كلام رب العالمين وسنة نبيه الكريم عن مواضعها لأهوائهم الشيطانية التى يدعون إليها ضد الحق وأهله فى كل ناحية من نواحى انحرافهم ففى مثل التوسل والوسيلة يجعلون كل زائر للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والولى رضى الله تعالى عنه مشركا الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله عز وجل كما يقول الداعى لهم الآن الشيخ حامد الفقى فى كتابه «فتح المجيد» من صفحة ٤٣ إلى صفحة ٢٦٩ من أنها كفر وعبادة أوثان وعبادة أصنام جاعلين الآيات التى أنزلها الحق عز وجل فى حال الكفار وما كانوا عليه من عبادة غيره جل وعلا منطبقة على الزائرين تماما بلا فارق بينهما يضللون المستمعين لهم بقولهم الدعاء مطلقا عبادة بل هو مخ العبادة وهؤلاء الدعاة للأموات كحال الدعاة للأصنام تماما لأن الداعى للنبي أو الولى يعتقد كما يعتقد الكافر العابد للصنم إذ الداعى للنبى أو الولى يقول إذا ما سألته إن الله تعالى هو الفعال وكذلك الكافر يعتقد ذلك وقد حكى الله عز وجل عنهم بقوله تعالى — (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) — فحال هؤلاء يعنى الزوار للأنبياء والأولياء كحال هؤلاء يعنى الكافرين فلا يسع السامع المغتر المضلل إلا الموافقة له واتباعه فى الضلالة ولم يفرق هذا الضال والمضلل بين الزيارة والعبادة بل لم ينكسف ولم يستح من الله تعالى الرقيب عليه أو لم يخف أن أحدا من أهل الحق يطلع على تحريفاته وضلالاته هذه فيلعنه خصوصاً إذا كان مجاب الدعوة لا يرد الله تعالى دعوته فيستحق خسران الدنيا والآخرة.

ماذا أصنع وقد قال العليم الخبير بعباده. — (ومن يضلل الله فلا هادى له) —

يا أخى أولم يفقه هذا الناسب نفسه للعلم وأهله بأن اللفظ الواحد من اللغة العربية التى نزل بها القرآن المجيد له عدة معان بل قد يكون فى معناه التضاد كقوله تعالى (زعم الذين كفروا) — ففى لفظ الزعم معنيان الكذب كما هنا. وقد يطلق على القول المحقق والصدق كما فى حديث ضمام ابن ثعلبة المروى عند البخارى وغيره بلفظ

« قال يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك قال صدق » الحديث وكذا الظن فإنه يطلق عليه السوء من الشر والتحقيق من الخير كما فى الكتاب والسنة قال سبحانه (وظننتم ظن السوء) (وتظنون بالله الظنونا) وفى الحديث عند البخارى وغيره « لقد ظننت يا أبا هريرة » وفى قول عمر رضى الله عنه المروى عند البخارى وغيره « ذلك الظن بك يا أبا إسحق » وكما فى معنى الوفاة قال تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) فيفهم من لفظ الوفاء معنى الموت وكذا يفهم معنى النوم إذ هما شقيقان فى قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) وهكذا الكثير من معانى الألفاظ العربية التى بها نزل القرآن الكريم وعليها بيان السنة المطهرة فكيف بهذا المارق المفارق يجعل لفظ يدعون فى عبادة الأصنام كلفظ يدعون فى الزائرين للمزورين ويجعل الكل معنى واحدا وهى العبادة بقياسه المفارق للمارق ـ قل له لو أن الأمر كما تقول لكان كل لفظ بأيا أويا لمطلق مكون شركا وعبادة ولم يقل بها ولو مخبولا فى عقله وهاهو كلام العلامة الألوسى المفسر للقرآن الكريم وهو آخر مفسر يعول عليه بعد التحقق من كلامه ومعرفة أغراضه وماجئتك بكلامه إلا بعد اطلاعى ومراجعى على جميع كتب المفسرين الآن فقد جمع رحمه الله تعالى جميع ماقيل على هذه الآية التى يتمشدقون بها فى كلامهم ولايعقلون لها معنى ولو كان لهم أدنى اطلاع ومعرفة ما استدلوا بها على أباطيلهم العاطلة ودعواهم الباطلة إذ الآية الكريمة لاتفهم ولاتعقل إلا ببيان سابقتها وهى قوله تعالى (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) ـ فهاهو كلام العلامة الألوسى بل هو كلام جميع المفسرين على هذه الآية إذ لم يترك فيها قولا لقائل . قال فى صفحة ٢٩٧ جزء ثان : إن التوسل والاستغاثة بالأحياء جائز لاشك فيه ولايتوقف على أفضليته من الطالب بل قد يطلب الفاضل من المفضول فقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمر رضى الله تعالى عنه لما استأذنه فى العمرة « لاتنسنا يا أخى من دعائك » وأمره أيضاً أن يطلب من أويس القرنى رحمة الله تعالى عليه أن يستغفر له وأيضاً أمر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب الوسيلة له وبأن يصلوا عليه وبما رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ادع الله تعالى أن يعافينى فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه فأمره أن يتوضأ

فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء اللهم إنى أسألك وأتوجه بنبيك صلى الله تعالى عليه وسلم نبي الرحمة يارسول الله إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى اللهم فشفعه فى » وهو عين التوسل بالذات وفى صحيح البخارى عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه فقال « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك صلى الله تعالى عليه وسلم فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون » ثم لايخفى عليك أن العلامة الألوسى بعد أن نفى التوسل بالأنبياء والصالحين أمواتا وأحياء ونفى أيضاً التوسل بالذات خصوصا بعد أن ذكر الحديث السابق من توسل سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه بسيدنا العباس رضى الله تعالى عنه وحكى أنهم كانوا يتوسلون بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صفحة ٢٩٩ جزء ثان قال : وبعد هذا كله أنا لاأرى بأسا فى التوسل إلى الله تعالى بجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيا وميتا ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل أتوسل إليك بجاه نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقضى لى حاجتى يعنى إلهى إجعل محبتك له وسيلة فى قضاء حاجتى وقال فى صفحة ٣٠٠ جزء ثان : بل لاأرى بأسا بالإقسام على الله تعالى بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى - والكلام فى الحرمة كالكلام فى الجاه يعنى بحرمة كذا . وقال ملتمساً وجهاً عن الصحابة فى عدم توسلهم بالأموات ولعل ذلك كان تحاشيا منهم عما يخشى أن يعلق منه فى أذهان الناس إذ ذاك وهم قريبو عهد بالتوسل بالأصنام شىء ثم اقتدى بهم من خلفهم من الأئمة الطاهرين وقد ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هدم الكعبة وتأسيسها على قواعد إبراهيم لكون القوم حديثى عهد بكفر كما ثبت ذلك فى الصحيح وكذا التوسل بجاه غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابأس به أيضاً إن كان المتوسل بجاهه مما علم أن له جاها عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته اه.

ولايخفى على ذى عقل أن قول العلامة الألوسى فى إجابته عن عدم توسل الصحابة بالأموات كونهم حديثى عهد بكفر ماثبت عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه قطع شجرة البيعة والسبب فيه لكونهم كذلك ، وقال العلامة الألوسى فى الاستشفاع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد روى أبوداود فى سننه وغيره أن رجلا قال لرسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم إنا نستشفع بك إلى الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك فسبح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى رؤى فى وجوه أصحابه وقال ويحك أتدرى ما الله تعالى إن الله تعالى لايشفع به على أحد من خلقه شأن الله تعالى أعظم من ذلك الخ فهو نص وإن كان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم أنكر عليه قوله إنا نستشفع بالله تعالى عليك ولم ينكر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله نستشفع بك إلى الله تعالى ومنه أخذ أفاضل العلماء جواز الاستشفاع به صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو مفاد هذا الحديث وحديث الضرير اهـ.

جواز التوسل بحق المتوسل به

لايخفى على ذوى العقول الراجحة أن الفرق الضالة الذين ينكرون التوسل والوسيلة خصوصا بعباد الله الصالحين ، يستهجنون قول القائل لله عزوجل بحق كذا المتوسل به قائلين بأنه لايجب على الله حق العبادة أو لخلقه إنكارا فاحشا مع حكمهم على القائل ذلك لأنه مشرك كافر وهم جاهلون بأن القرآن الكريم وصريح السنة المطهرة إذ يقول الحق تبارك وتعالى لعباده تفضلا منه لاوجوبا عليه (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) والحق بمعنى الوعد الثابت المتحقق الوقوع . وفى الآية الأخرى (وعداً عليه حقا) وفى الأخرى (وعداً علينا إنا كنا فاعلين) وفى الصحيح من حديث معاذ بن جبل « هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على عباده أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا وحقهم عليه أن فعلوا ذلك لايعذبهم » ومنه مارواه ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعاء الخارج الى الصلاة « اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا . فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولارياء ولا سمعة ولكنى خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذنى من النار وأن تدخلنى الجنة » هذا ومن حكم الحكيم العليم أنهم كلما اشتدوا وبينوا ضد للمولد الشريف النبوى وفى جميع موالد أولياء الله الصالحين كلما ازدهرت وشادت وكثرت وكثر فيها كل خير وسرور القائمين بها والمحتفلين بها والزائرين لها لتعلم أن الضلال والهدى مستمرين إلى يوم القيامة فأهل الضلال فى ضلالهم إلى أن يموتوا به على الضلال ، وأهل الخير والهدى

فى هداهم إلى أن يموتوا بعلى الإيمان ، فانظر يا أخى إلى هؤلاء الذين يجهلون كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وإلى ما يضلون به عباد الله تعالى وتحريفهم كلام الله تعالى عن مواضعه وتعميتهم عن بيان سنة سيد العالمين وهكذا حالهم فى كل ما يدعون إليه ويجعلونه مذهباً لهم خارجاً عن إجماع المسلمين وما عليه أهل التحقيق .

لم ينظروا الآية وقال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) الآية . عقيدتهم أن المتوجه إلى الميت متوجه لغير الله تعالى .

لا يخفى عليك مما قدمناه لك من أن الآدمى بنص الكتاب والسنة فى الحياة الآخرة أحيا من حياة الدنيا وأن العبد الصالح المنعم عليه بالفيض الواسع والرحمة الشاملة والكرامة العامة لا تزال به ومعه كما قال تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) هذا وقد قدمنا لك بصريح القرآن الكريم والسنة المطهرة أن الله تعالى وجه عباده إلى مخلوقاته وبين لهم فى كتابه العزيز أنه بهم يفعل وإنهم مصادر فعله تعالى، وأنهم لن ينالوا منه تعالى شيئاً من فضله وكرمه إلا بتوجيههم إلى ما وجههم تعالى إليه حق فى الأعمال المعنوية والحسية قال تعالى (واسألوا الله من فضله) بعد أن بين لهم كل شىء يقصدونها منه جل وعلا باباً خاصاً قال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) وباب الخلق خلق وبعد أن بين لهم بأنه إذا ما قصدوا تلك الأبواب وأخذوا فى الوسائل الموصلة إليها بأنه تعالى هو الفاعل والمعطى عندها وبها قال تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فالمتوجه إلى المخلوق متوجه إلى الله تعالى إذ الخالق له هو الله تعالى والمفيض عليه هو جل شأنه والذى جعله مصدراً لإظهار تلك النعمة فيه هو جل وعلا فإذن المتوجه إلى المخلوق متوجه إلى الخالق ولا يفرق ويفرق بين الله تعالى ونعمه ويسندها إلى مصادرها لذاتها إلا كافر وضال ومشرك بالله تعالى عن ذلك علواً كبيراً . فمن يقل من هؤلاء الخوارج والوهابية وجميع فرق الضلال بأن الذاهب إلى المخلوق ذاهب لغير الله تعالى فهو على عقيدة الكافرين والمشركين الذين ذمهم رب العالمين وأنزل الكتب السماوية على لسان المرسلين لمحاربة هؤلاء الكافرين الذين يجحدون آيات الله تعالى فى خلقه ومكوناته وقد قدمنا لك أن تشريع الله تعالى لأنبيائه ورسله بتوجههم إلى آثار صفاته فى خلقه وأن يأتوها من أبوابها ومصادرها مع عقيدة أن الله تعالى الفاعل فيها وان شاء أعطى بها وإن لم يشأ لم يعط وقد قدمنا لك بأن عبدة الأصنام والطواغيت مع عقيدتهم بأن خالق الأرضين والسموات

الله العلى الكبير وإنما هم يعبدون الأصنام والطواغيت على اختلاف أنواعهم وعبادتهم وأنهم هم الفاعلون من عند أنفسهم يؤدونها لهم من تلقاء أنفسهم بدون دخل للإله الأكبر فيما يفعلونه ويؤدونه لمن يعبدونهم من دون الله فقد خسروا خسراناً مبيناً ولا يخفى أن هذا فارق كبير بين من يعبد إلهاً غير الله تعالى . وبين من زور عبداً صالحاً أنعم الله تعالى عليه بنعمة التوفيق والهداية والرشد لما أمر الله تعالى به عباده على لسان أنبيائه ورسله فأنعم عليه وأظهر نعمة الله تعالى فيه وعليه حتى أصبح مصدراً للأمور الخارقة للعادة المغايرة للأسباب ومسبباتها ووجه تعالى عباده إلى نعمه وإلى مصادرها ليلمسوا آيات الله تعالى فى وعند تلك المصادر فيلجئون إليه تعالى يقبلون على طاعته وامتثال أمره .

فيا أخا العقل لو لم يجعل الحق عز وجل لظهور آياته الخارقة للعادة مصادراً عند هؤلاء الأبرار المقربين وجرت العادة على طبيعتها لانقلب جميع عقائد الناس إلى الأسباب خاصة ولما عرفوا أن لهم إلهاً قادراً موجوداً يظهر آياته فى مصادرها وعندها ولا نقلب العالم أجمع طبيعياً دهرياً ولما عرفوا أن لهم إلهاً منفرداً بالفعل والأفعال فى كل شىء ولا تحصل تلك إلا بمصادر امتازت عن أمثالها وأشباهها بما فخص بالعبد الربانى الذى جاء فيه الحديث الصحيح القدسى المروى عند جميع أصحاب السنن والمسانيد (ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه، الحديث وإن اشتهر بلفظه ومعناه فى الأحياء بالحياة الدنيا فيكون بالأخرى فى من هم فى الحياة التى هى أحيا من حياة الدنيا وهى الحياة الآخرة كما هو صريح القرآن وبيان السنة المطهرة . فأنت ترى أجهل الأميين وأعمق العامة فى الجهالة يتوجه إلى قبر ذلك العبد الصالح المقرب من ربه الذى شوهد عليه القرب قبل الإنتقال الى الآخرة معتقد أنه حى يسمعه ويراه ولذا تراه يناديه ويطلب منه حاجته ويناجيه بالفطرة الصحيحة السليمة التى فطر الله الناس عليها وان سأله من لم يفطن إلى صريح الكتاب والسنة بتعمقه فى البعد عن إجماع المسلمين وصريح كلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين قائلا له) هل هو ربنا حتى أنك تدعوه بهذه الألفاظ وتناجيه فلا يستطيع ذلك التأكد من حياته وشدة قربه من ربه جل وعلا الى أن يقول . لا .. طاهر مقرب من الله تعالى يطلب لى منه كما وقع من المرحوم الشيخ محمد عبده عند زيارته لمسجد طنطا المعهد العلمى ورأى امرأة تقول للسيد البدوى فى قبره وضريحه . ياسيد أنت عليك الصبر واحنا علينا الوفا خلى بالك من الراجل وأولاده والبهائم والزراعة وانت عليك الصبر واحنا علينا الوفا . فقال الشيخ محمد عبده للشيخ ابراهيم الظواهرى

شيخ المعهد فى ذلك المعهد ما هذا يا شيخ ؟ آ الوثنية فى معهد العلم ؟ فنادى الشيخ ابراهيم الظواهرى أحد خدام المسجد فدعى المرأة فحضرت بين أيديهم وقال لها هل السيد ربنا تتطلبى منه هذا الطلب بهذه الألفاظ ؟ . فقالت لا يا سيدى انما هو طاهر مقرب يطلب لى من الله ذلك فانصرف الشيخ محمد عبده ولم يرد جواباً فهذه عقيدة الأمية البعيدة عن العلم وأهله وهاهو العالم الناشىء فى طلب العلم وأهله فانظر يا أخى الى أى المعتقدين أسلم هل من تعتقد أن آثار نعم الله عز وجل خص بها أقواماً دون آخرين ووجه عباده أن يتلمسوها من مصادرها مع عقيدتهم بأن الله هو الفعال وليعطيها عند مصدرها ويلتجىء بها على من خصهم بتلك النعم وجعلهم يؤدونها عند طلبها منهم وبهم يفعل ما يشاء ولولا الموجودات التى يفعل الله بها فى الكائنات لما ظهرت آياته وعلاماته الدالة على أنه الواحد فى كل شىء إذ لولاهم لما فعل ولا ظهر له أثر من آثار صفاته الدالة على عظيم قدرته ولقد أحسن من قال :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ... ومن دراه غدى بالروح يشريه

بهم تصرفه فى الكائنات فما ... يشاء شاءوا وما شاءوه يقضيه

يقول الغبى الأخرق هذا كلام صوفية فقال له . أليس هو صريح الكتاب والسنة وسنن الحق عز وجل فى المكونات فى هذا الوجود حتى يتحقق منها المتيقن إلى عالم الشهود قال تعالى (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) أم عقيدة من يعتقد أن خلق الله بهم عمل خاص قاصر عليهم ولأنفسهم أدوه لا يتعداهم إلى غيرهم وأنهم لا ينفعون ولا يضرون بل ماخلقوا إلا لأنفسهم يعملون عملا لا دخل للحق الخالق فيه منسوب إليهم حسا ومعنى ظاهراً وباطناً قولا وفعلا وأنهم ما خلقوا إلا لهذا وهذا بعيد عن الله تعالى ليس لله تعالى فيه شىء وبنى عليها بأن الذاهب الى هذا المخلوق المقبل عليه المناجيه الطالب منه ومناديه هو متوجه لغير الله مقبل على غير الله فهو مشرك كعبدة الأوثان وعند الله تعالى يطلب منه لا غير وخلقه هم غيره ، فانظروا أى صاحب العقيدتين هو المشرك هل من يعتقد بأن الله تعالى هو الواحد فى ذاته وصفاته وآثار صفاته وأفعاله ولا حركة ولا سكون فى ذرة فى الوجود إلا منه وبه وإليهم وبهم يفعل مراده ؟ أم من يعتقد بان الله خص بأشياء من الموجودات وعباده خصوا بأشياء ولو كان كما يقول هذا الضال لكان هو المشرك ؟ وعلى هذا فقد قال تعالى

(وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الذى فهمه الخوارج على عكسه ويقولون أنه بدعة سيئة كالمحمل قاتل الله الجهل والضالين أينا كانوا . وللمحمل فصل خاص .
وما كان إجماعهم على جواز قراءة سورة الكهف يوم الجمعة إلا أخذاً من قول الله تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وقوله تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ومن بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم (ماجلس قوم فى بيت من بيوت الله عزوجل يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وعمتهم السكينة) وأيضاً من ترغيبه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان نعم الله عزوجل على عباده من قوله (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة غفرله حتى الجمعة الأخرى وثلاثة أيام فى التى بعدها) ولما كان الشأن كذلك رأى خيار الأمة أن فى قراءة سورة الكهف على الحاضرين لصلاة الجمعة بصوت مرتفع يعم الجميع ويدخلهم تحت الثواب للموعدون به المحقق من الله تعالى بما تقدم وخاصه فى قوله تعالى (لعلكم ترحمون) إذ لعل وهى للترجى ولكنها من الحق محققة لامحالة . وأيضا مما لاشك فيه بأن كل من بنى مسجداً لله تعالى وأوقف عليه مايجعله عامراً مدى الحياة من مستلزماته ومهمات عمارته من إمام ومؤذن وقائم على خدمته ولم يحرم نفسه من وصول ثواب قراءة سورة الكهف كل جمعة يكون الثواب مستمراً عليه ، ولما كان المكلف بالقراءة يقرأها ويهدى ثوابها لبانى المسجد وكلف من قبل الشرع الشريف ليجمع قلوب الحاضرين على ما يتلوه من كتاب رب العالمين لتوجيه الناس لقراءة هذه السورة لما ورد فى فضلها والترغيب فى قراءتها يوم الجمع من كثرة الروايات الصحاح فى ذلك ولما كان شأن الناس الذين ينتظرون صلاة الجمعة مابين ذاكر وصامت ومتكلم مع آخر أراد هؤلاء الأفاضل أن يدخلوهم تحت رحمة الله تعالى المحققة فى قوله تعالى (لعلكم ترحمون) . وهذا طبعا أحق وأجدر من الذكر والصمت والكلام . ولما كان سماع القرآن لاينوب شىء عنه ، وتحية المسجد قد بين لنا الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم بأنه ينوب عنها (سبحان الله . والحمد لله . ولا إله إلا الله . والله أكبر . ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم) ثلاثا بدلا من صلاة ركعتين تحية المسجد وليسمع القرآن لنيل الثواب العظيم ، وأيضا لما يسمع الناس فى كل جمعة سورة الكهف يسأل أهل العلم عن سبب ذلك التخصيص لهذه السورة فى كل جمعة فيخبرونهم بالأحاديث الواردة فى قراءتها من بيانه الشريف صلى الله وسلم عليه وسلم فيرغبون

فى قراءتها عملا بما هو وارد فى ذلك هذا والخوارج يعرفونها أنها بدعة سيئة كغيرها مما يسمونه بدعة سيئة لخروجهم على إجماع المسلمين وقد أفردنا لها فصلا خاصاً فى باب الأذان كما ستعرفه ان شاء الله تعالى . فى كل شىء وقد توسل صلى الله تعالى عليه وسلم بالآدميين الأموات فى قوله « اللهم بحقى وحق النبيين من قبلى إغفر لأمى فاطمة بنت أسد » الحديث فانظر الى مبادىء المارقين فى عقائدهم الزائفة ودعواهم أنهم على الحق وينا صرون السنة ويكتبون كتبا ويطبعون منشورات وقولهم الطنان فى المحاضرات والخطب فى الجماعات التى لا يسمعها منهم إلا من نشأه الله تعالى على تلك الضلالات فى قولهم أن المتوجه الى شىء من خلق الله فهو متوجه الى غير الله فهو مشرك ويسردون الآيات التى لا يعقلون لها معنى إلا المخالفة ومتابعة نفسهم هواها واعتبر وميز فى الفرق بين قولهم لا إله إلا الله (فقط) وأن غيره من المخلوقات مغاير له تعالى ولا يخفى عليك أن هذا هو المعارض لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فقل له لما وجه الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام إلى الخضر هل كان موسى عليه السلام مشركا بالله وهو ذاهب إلى مخلوق مثله ؟ أم حين استشار سليمان والتجأ إلى المخلوقين من يأته بعرش بلقيس كان أشرك ؟ ولا أذهب بك بعيدا ولا أطيل معك الكلام فقد بيناه فى كتابنا هذا «فيض الوهاب فى بيان ماضل فيه ابن تيمة ومن على مبادىء ابن عبد الوهاب » فقل له الله تعالى أمر عباده أن يطيعوا ويحبوا ويخلصوا إلى المرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين فقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فقدم تعالى طاعة الرسول على طاعته جل وعلا ومن المعلوم أن الرسول غير الله ومخلوق له . فقل له هل الله أمر عباده أن يشركوا به غيره ؟ أم ماذا تقول يا أيها للفرق بين الله ونعمه ومصادرها وهم خلقه ثم قال الله تعالى أيضاً (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وهكذا الكتاب العزيز والسنة المطهرة يدعوان إلى توحيد الحق عز وجل فى كل شىء وبكل شىء حتى يصح معنى وحده لا شريك له، وأما هؤلاء يزعمون أنهم موحدون ويدعون إلى الدين الصحيح وأن خالقهم له جهة مخصوصة والفضاء المخلوق له تعالى خال منه وعنه وينزل ويتحرك فيه ، ولم يفطنوا أنه لو كان كذلك لكان الفضاء شريكا له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهو المقرر فى كتبهم وأقوالهم . أليس هذا هو عين الضلال والجهل بمعرفة خالقهم وآياته التى نصبها وبينها فى كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ومن أعجب أحوالهم وأغرب أقوالهم أنهم ينكرون التوسل ويصلون الجنازة على الأموات ويقولون أن عمل الغير لا

ينفع الغير مستدلين بقوله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) فلست أدرى كيف يعدون هؤلاء أنفسهم من المسلمين ؟ ويقرؤن كلام رب العالمين الذى بين لنا فيه من أن عمل غير الجنس ينفع غير الجنس قال تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا) الآيات وعمل المؤمن ينفع المؤمن فى قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) — فتنبه يا أخا العقل إلى ضلالات الضالين واعلم أن الضال لايهتد إلى الحق أبداً ولوكان واضحاً وجليا فلم يوفقه الله اليه أبدا قال تعالى (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) ، وما أجمعوا على جواز الذكر أمام الجنائز إلا أخذا من قول الله عز وجل (اذكرونى أذكركم ولذكر الله أكبر) (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) خصوصا وقد جاء فى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم أن الذاكرين الله تعالى تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده وهذا وعد من الله تعالى حق لا يتخلف وأيضا أنه تعالى لم يخص الذكر له تعالى بحال دون حال ولما كان الشأن كذلك رأى خيار الأمة أن المودعين للميت وصلوا على الجنازة ودعوا له بالمغفرة وماقاموا بتشيعه إلا رجاء كل خير وأنهم يلتمسون له كل ما فيه أجر أو ثواب والذكر فيه استدرار هذا الخير العظيم العميم فجعلوه خيرا من الصمت الذى فهمه الخوارج على عكسه ويقولون أنه بدعة سيئة كالمحمل قاتل الله الجهل والضالين أينما كانوا . وقد أفردنا لها فصلا فى باب الآذان .

المولد والاحتفال به فى كل سنة وتأليف كتب فيه شعراً أو نثراً

إن الخوارج من الوهابية والسبكية وغيرهم ينكرون كل ذلك كالمحمل وغيره وإن خيار عقلاء الأمة وأفاضلها من العلماء العاملين يرونه حسناً لما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة ولذا أجمعوا على جواز كلما يعمل به وفيه وقد أفردنا له باباً خاصاً فى كتابنا هذا فيض الوهاب فى بيان وأهل الحق ومن ضل عن الصواب » حافلا بكل نقطة تعمل فى المولد حتى من عرائس الحلوى والصور بها دللنا على كل نقطة من الكتاب والسنة والاجماع . يعتقد كل ضال من الخوارج الوهابية والسبكية وغيرهم بأن الموت عبارة عن العدم ، ولاقائل به غير الكافرين الذين هم على مبادىء الشيطان وحزبه ، فهم على تلك المبادىء تبع

فذلك الحزب لأن العقلاء يفهمون أن الخلق فى كل شىء على حالتين : إيمان وكفر ، ضلال وهدى ، حتى فى الحزبية حزب الشيطان وحزب الرحمن وهكذا ، كما لا يخفى على كل ذى بصيرة قال الله تعالى فى عقيدة الكافرين ومن على مبادئهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) — فكل هؤلاء شركاء فى العقيدة ويقولون إن الموت عدم وفناء وعليه يبنون أن الذاهب للميت ذاهب إلى عدم وفناء ، وهو معارض لصريح القرآن والسنة فعقلاء الأمة رضى الله تعالى عنهم يقولون: إن الموت والحياة وصفان يقومان بالموصوف فى كل شىء بحسبه قال تعالى (الذى خلق الموت والحياة) الآية فموت الأرض ، عدم النبات بها وحياتها بالنبات فيها قال تعالى (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) وموت الكافر هو حى يجرى على الأرض بعد الإيمان كما قال تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات) الآية فلا غرو أن الموت فى الحيوان وصفه بعدم الحركة ، وفى النبات بيبسه . وفى الجماد بتفرق أجزائه . والحياة فى كل ذلك بضده يعنى فى الحيوان بالحركة ، وفى النبات بالخضرة ، وفى الجماد بتماسك أجزائه . ولما كانت الحياة منها ما هو معتبر الصفة ، ومنها ما هو غير معتبر الصفة فعبد الله تعالى المؤمن به وبأنبيائه ، وآياته حياة طيبة . ومن كان بخلاف ذلك فليس بذى حياة طيبة لحياته كحياة غيره من الآدميين ، ولما كان وصف الموت والحياة مشتبهان فى حالة النوم واليقظة فرق الله تعالى بينهما بقوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) ، الآية فحال النائم كحال الميت سواء بسواء فى عدم الحركة فى كل فالفارق بينهما قيام الحى يسعى فى الأرض إلى أجل مسمى والميت عدم الحركة لا غير ولما كان الموت والحياة عنوانا لهاتين الصفتين ذكر الله عز وجل الفارق بينهما بالنسبة للدنيا والآخرة إذ قد سمى سبحانه وتعالى لكل منهما حياة وموتا فبين عز من قائل أن حياة الآخرة أرقى وأعلا وأرفع من حياة الدنيا فقال تعالى (وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع) — الآية . وفى الآية الأخرى (فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل) — وباعتبار ما قدمنا من أن الموت عدم الحركة والحياة الحركة فهم الكافر قبل وجوده فى الدنيا موت وفى الدنيا حياة ، وفى القبر موت وبعد قيامه منه ودخوله جهنم حياة أخرى فقال (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج

من سبيل) الآية فيعرف من هنا ومما قدمنا لك أن الله عزوجل ذكر أن الدنيا حياة وللاخرة حياة فكيف يقر ويقول المخالف الملحد بحياة الدنيا وينكر حياة الآخرة التى هى أحيا من حياة الدنيا بصريح كلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين ولافاصل ولافارق ولو لحظة بين الحياتين بل ينتقل من حياة الدنيا إلى حياة أرقى منها متصلا بها اتصال اليقظة بالنوم والجوع بالشبع والألم بالصحة والفقر بالغنى والكفر بالإيمان والليل بالنهار فهل ياأخا العقل فاصل بينهما أو فتور ؟ كلا إن ربك القادر جل وعلا جعل الموجودات متصلة لاانفصال بينهما إلا فى عقل المخالف ونظر أعمى البصيرة ، والله يهدى من يشاء إلى الحق وإلى طريق مستقيم ،واعلم أن الموت والحياة ترقى فى الوجود بالدليل العقلى المستفاد من الدليل النقلى • الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، فالعقلى هو اعتقاد أنه ماتعلقت قدرة الحق عزوجل بإيجاد موجود إلا ويترقى فى الحياة أبدا ولايلحقه عدم بالمشاهدة والعيان وذلك فى كل كل شىء بحسبه بمعنى أن ترقيه فى الوجود بالانتقال من حالة إلى حالة أرقى منها . إذ الموجد جل وعلا ما أوجده إلا بمقتضى كماله ، وكمالاته سبحانه وتعالى لاتتناهى إذ مامن كمال إلا وعند الله أكمل منه وأما النقلى فقد قال تعالى بعد أن سمى الحياتين الدنيا والآخرة (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لوكانوا يعلمون) وقال صلوات الله تعالى وسلامه عليه مفصلا لتلك الحالتين (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) ولما كان حال الدنيا مبنيا على تفاوت درجات الموجودات فيها فقد بين تعالى أن الآخرة أرقى وأرفع فى كل أحوال الموجودات فقال تعالى (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وقد كفلت السنة المطهرة ببيان كل ذلك فى كل شىء بحسبه وأما صريح القرآن العزيز فى بيان حال بنى آدم بعد خروج أرواحهم من الحياة الدنيا وانتقالها إلى الآخرة فى كل مؤمن وكافر بأن تكون حياته مستمرة لايعتريها فتور ولاانفصال فقد قال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) هذا حال الكافرين والمنافقين والضالين فحياتهم أرقى من حياة الدنيا بشعورهم بالعذاب بكافة أنواعه ولاشك أنه أوسع من آلام وعذاب الدنيا وأما حال المؤمنين فقد قال تعالى فيهم (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فبين عز من قائل أن الدخول

حابقيت الدنيا ليس دخولا حقيقيا بل على الأبواب بما يشعر به بمآله كما قال تعالى
(ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) وهذه الآية اغتر وضل فى فهم معناها الكثير
من الضالين إذ يقولون بأن بين الحياتين الدنيا والآخرة حياة برزخية وهم لايفهمون
معنى البرزخ وحقيقته وهو الحائل بين الشيئين بقدرة ربه سبحانه إذ يقول تبارك
وتعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان) فظن هؤلاء أن البرزخ حياة
بين الحياتين وفى بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم فى أن الموت ترقى فى الحياة
وإدراك تام معها ماورد فى الصحاح أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال «من أحب
لقاء الله أحب الله لقاءه» فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أوأحد يحب الموت يارسول
الله ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « إن العبد إذا احتضر » أى حضرته الملائكة
تقبض روحه فى الحالة التى يغيب فيها عن الدنياومافيها ومن حوله ولايرى الاالملائكة
ورأى ما أعده الله له من النعيم المقيم رغب فيه فأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه
وان العبد اذا احتضر ورأى ماأعده الله له من العذاب الأليم كره فيه فكره لقاء الله
فكره الله لقاءه » وهذا معنى قولهم فيما قص الله تعالى لنا عنهم (ما كنا نعمل من
سوء) فترد عليهم الملائكة بقولهم (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب
جهنم) وفى الآية الأخرى (قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها
كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) فصريح القرآن أن حياة بنى آدم
بعد مفارقة الدنيا أحيا من حياة الدنيا اذ فى الصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال : « إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى فإن كان من أهل
الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار » ولايشعر بذلك ويدركه
حقا الا من كان حيا . وفى الحديث الآخر «اذا وضع أحدكم فى قبره فيقال له انظر
فينظر الى النار فيقال له هذا مقعدك فى النار قد أبدلك الله خيرا منه فى الجنة فينظر
الى الجنة فيجد مكانه ويقال له هذا مكانك من الجنة » وفى الحديث الآخر « اذا
وضع أحدكم فى قبره فيأتيانه ملكان فيقعدانه ويقولان له : ماعلمك بهذا الرجل الذى
بعث فيكم ؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد جاءنا بالبينات والهدى فأحببناه
وأتبعناه هو محمد ثلاثا . وأما المنافق أوالمرتاب فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون
شيئاً فقلته فيقال له لادريت ولاتليت ويضرب بمقرعة من حديد لوضرب بها الجبل
لذاب » وفى الآخرة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايسمع مدى صوت المؤذن جن

ولاإنس ولاشجر ولاحجر ولا مدر ولاشيء إلا ويشهد له به يوم القيامة ، ومن المعلوم أن الميت شيء ويشهد ضمن الشهداء والشهادة لاتعقل إلا من حي فصريح القرآن وبيان السنة على أن ميت الآدمي حي أحيا من حياة الدنيا وناهيك بحديث أهل القليب قليب بدر وهو بعد أن انتهت المعركة وقتل فيها سبعون من صناديد قريش وأسر مثلهم فجعل يمر صلى الله تعالى عليه وسلم على الصرعى ويقول لهم « ياأهل القليب هل وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : أتناجي موتى يارسول الله ؟ فقال : ماأنت بأسمع منهم ولكن لايجيبون» فهاهم الكفار يخاطبهم صلوات الله تعالى وسلامه عليه لعلمه بحياتهم أحيا من حياة الدنيا وهاهو حديث الصحاح « إذ سمعنا صوتا بعد العصر في ضواحي المدينة فقلنا ماهذا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « يهود تعذب في قبرها» وفي الحديث الذي قدمناه في الدلالة على جواز قراءة القرآن على القبور ووصول الثواب للميت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع إنسانين يعذبان في قبورهما فقال «يعذبان » الحديث أليس كل ذلك من صريح القرآن وبيان السنة ما يكفيك على حياة ميت الآدمي حياة أحيا من حياة الدنيا وأرقى منها بصريح القرآن وبيان السنة وإذا كان هذا في الكافر أفلا يكون في المؤمن المجرد الإيمان أرقى ؟ وفي العبد الصالح أرقى منه ؟ وفي الولي أرقى منه ؟ وفي الشهيد أرقى وأرقى ؟ وفي الأنبياء والمرسلين أضعاف ذلك ؟ خصوصاً وقد قال تعالى (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ولاتنس قوله تعالى (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) حتى أن بعض المحققين من خيرة العلماء العاملين الشارحين لبيان سنة سيد المرسلين عند قوله في الحديث السابق من سؤال الملكين للميت «ماعلمك بهذا الرجل ؟ فينظر الميت فيجد أمامه صورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالمؤمن يراه كأنه معه بالأمس فيقول هو محمد الحديث . ولذا أجمعوا على أن مامن ميت يموت مؤمنا كان أو كافرا أو منافقا أو ضالا إلا وتحضر له صورة من صور حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وقدرة الله تعالى صالحة لذلك . ولعلك قد فهمت من حياة الآدميين أحياء حياة فيهم وأرقاها حياة الأنبياء والمرسلين ، فما بالك بحياة سيد العالمين . أليست أعم وأشمل وأوسع من حياة جميع الآدميين ؟ ولعله يقرب لك فهم الحديث الصحيح الذي أفرد به بعض أفاضل الأمة مؤلفا خاصا وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « حياتي

خير لكم ومماتي خير لكم تعرض على أعمالكم بالغداة والعشي فما وجدت خيراً حمدت الله تعالى وما وجدت بخلاف ذلك استغفرت لكم » ويكفينا من تعليمه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة الأموات بياناً على حياتهم وفعل الزائر بقوله السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، الحديث ففي هذا أكبر الدلالة على حياتهم إذ لا يسلم صلى الله تعالى عليه وسلم على أموات ولا يعلم الأمة أن تسلم على أموات لا يحسون ولا يشعرون ولا يعرفون من المسلم عليهم . وفي الحديث المروي عند الترمذي ما يؤيد حديث الزيارة وحياة المزور إذ يقول صلى الله تعالى عليه وسلم (ما من عبد يمر على قبر رجل كان يعرفه في الدنيا ويسلم عليه فيرد عليه السلام ويعرفه) وناهيك بما رواه ابن سعد رضي الله عنه أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تزور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبيها قبل أن يدفن معهما عمر رضي الله تعالى عنه غير مقنعة ولما دفن عمر رضي الله تعالى عنه كانت تدخل عليهم زائرة مقنعة لأنه وجد مع أبيها وزوجها أجنبي . ولأي شيء يا أخا العقل كانت رضي الله تعالى عنها تقنع بعد ؟ ماذاك إلا لأنها تعلم بحياتهم فحياة أهل القبور من بني آدم أحيا من حياة الدنيا بصريح القرآن وبيان السنة . وأما قولهم إن المراد بحياة الآخرة بعد القيام من القبور : فهذا افتراء على الله ورسوله في جميع ما بينه لعباده إذ من أكبر الدلائل على أن حياة الآخرة التي هي أكبر وأحيا من حياة الدنيا ومبدؤها بمفارقة حياة الدنيا قول الله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعملون) فتجمع عقلاء الأمة من المفسرين على أن المراد باليوم أي اليوم الذي تفارق فيه حياة الدنيا . إذ لا يخفى أن هؤلاء لم ينظروا إلا إلى ما ظهر من الأحوال في نظرهم ومعقولهم ، وأما معتقدهم في الأموات كعقائد الكافرين إذ يقول عظام الميت فنيت وبليت ولا أثر لحياته فهو كقول الكافرين الذين عارضوا بيان الحق عز وجل في قولهم (أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون) وكقولهم (أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد) فحكى الحق عز وجل عنهم بقوله (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ، فهم لم يفطنوا حتى ولو إلى أقوال أمثالهم ممن كانوا قبل الإسلام فهم يقولون . شيئان لا يفنيان ـ المادة والروح ـ فهذا كلام قريب

من الصواب ألهم به بعض الفلاسفة المتحققين فى علومهم بعقولهم التى ميزوا بها ، الموجودات عن بعض فهم أحسن من الخوارج عقلا وإدراكا وتميزاً ، إذ عقلاء الأمة يقولون بمفارقة الروح للجسد فى هذه الحياة الدنيا لا تفارقه مفارقة كلية بل تكون متصلة بمادته وجزئياته اتصال الشعاع بالمقابل له مع انكشاف ما هو عليه ولاحق به وقائم بذاته حتى يكون الواصل بالموصول على ما هو عليه حقيقة بينة ، فكل من تفرقت أجزاؤه وتباينت اتصالاته وتباعدت ذراته لا بد من اتصال الشعاع الخاص به على كل تلك الأفراد والجزئيات حتى ينطبق عليه بيان إدراكه بالنعيم أو العذاب فيدخل فى ذلك من تقطعت أجسامهم ومن أكلتهم السباع والأسماك والطيور ومن أبلتهم الأرض السبخة فمثلهم كمثل من حدث عنه الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المروى عند أصحاب السنن والمسانيد (أن رجلا ممن كان قبلنا أحضر بنيه عند وفاته وقال لهم إذا أنا مت فاحضروا لى حطباً واحرقونى حتى إذا امتحشت فانظروا يوم رحا فأذرونى فيه ففعلوا به ذلك فقال الله تعالى له لم فعلت هذا ؟ قال حياء منك يارب فقال الله عز وجل عبدى استحى منى فاستحييت منه فغفر الله له) وأما من يدفنون بكمال أجسامهم فهم على قسمين فمنهم محترم الذات ومكرم الخلقة فلا تمس الأرض أجسامهم ولو دفنوا فى السبخة كما شوهد ذلك فهم فى قبورهم كيوم دفنهم ، ومنهم غير ذلك ويدفنون فى الأرض الرملة الجافة فأجسامهم تيبس وتجف كالخشب وغيره فأمرهم واضح ، اتصال شعاع الروح بهم اتصالا منحصرا ، وعليه يدركون النعيم والعذاب بالروح والجسد معاً إذ لا قائل بتعذيب الروح دون الجسد ضرورة قولها لله عز وجل لا أعضاء لى فعلت بها ! أو لا بالجسد فقط ضرورة قوله لله عز وجل لا حركة لى ، والحجة فى الجهتين متجهة ! فتعين أن يكون العذاب والنعيم على الروح والجسد معاً لاتصالها بالفعل اتصالا مشتركا مباشراً . لما يستفاد من قول الله عز وجل فى وصفه لأهل النعيم فلا يكون إلا بالإنسان الكامل بالروح والجسد وفى أهل الجحيم كذلك قال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله لهم عذاب جهنم) الآية وقال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) الآية عقيدتهم أن المتوجه إلى الميت متوجه لغير الله تعالى ، لا يخفى عليك مما قدمنا لك من أن الآدمى بنص الكتاب والسنة فى الحياة

الآخرة أحيا من حياة الدنيا وإن العبد الصالح المنعم عليه بالفيض الواسع والرحمة الشاملة والكرامة العامة لا تزال به ومعه كما قال تعالى (ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) هذا وقد قدمنا لك بصريح القرآن الكريم والسنة المطهرة ان الله تعالى وجه عباده إلى مخلوقاته وبين لهم فى كتابه العزيز أنه بهم يفعل وأنهم مصادر فعله تعالى ، وأنهم لن ينالوا منه تعالى شيئاً من فضله وكرمه إلا بتوجههم إلى ما وجههم تعالى إليه حتى فى الأعمال المعنوية والحسية قال تعالى (واسئلوا الله من فضله) بعد أن بين لهم لكل شيء يقصدونه منه جل وعلا باباً خاصا قال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) وباب الخالق خلق وبعد أن بين لهم بأنهم إذا ما قصدوا تلك الأبواب وأخذوا فى الوسائل الموصلة إليها بأنه تعالى هو الفاعل والمعطى عندها وبها قال تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فالمتوجه إلى المخلوق متوجه إلى الله تعالى إذ الخالق له هو الله تعالى والمفيض عليه هو جل شأنه والذى جعله مصدراً لاظهار تلك النعمة فيه هو جل وعلا فإذن المتوجه إلى المخلوق متوجه إلى الله تعالى ولا يفرق ويفرق بين الله تعالى ونعمه ويسندها إلى مصادرها لذاتها إلا كافر وضال ومشرك بالله تعالى عن ذلك علواً كبيراً فمن يقل من هؤلاء الخوارج والوهابية وجميع فرق الضلال بأن الذاهب إلى المخلوق ذاهب لغير الله تعالى فهو على عقيدة الكافرين والمشركين الذين ذمهم رب العالمين وأنزل الكتب السماوية على لسان المرسلين لمحاربة هؤلاء الكافرين الذين يجحدون آيات الله تعالى وقد قدمنا لك أن تشريع الله تعالى لأنبيائه ورسله بتوجههم إلى آثار صفاته فى خلقه وأن يأتوها من أبوابها ومصادرها مع عقيدة أن الله تعالى الفاعل فيها وان شاء أعطى بها وإن لم يشاء لم يعط وقد قدمنا لك بأن عقيدة الأصنام والطواغيت مع عقيدتهم بأن خالق الأرضين والسموات الله العلى الكبير وإنما هم يعبدون الأصنام والطواغيت على اختلاف أنواعهم وعبادتهم وأنهم هم الفاعلون من عند أنفسهم يؤدونها لهم من تلقاء أنفسهم بدون دخل للإله الأكبر فيما يفعلونه ويؤدونه لمن يعبدونهم من دون الله فقد خسروا خسراناً مبينا ، ولا يخفى أن هذا فارق كبير بين من يعبد إلها غير الله تعالى وبين من يزور عبداً صالحاً أنعم الله تعالى عليه بنعمة التوفيق والهداية والرشد لما أمر الله تعالى به عباده على لسان أنبيائه ورسله فأفاض عليه وأظهر نعمه تعالى فيه وعليه حتى أصبح مصدراً

للأمور الخارقة للعادة المغايرة للأسباب ومسبباتها ووجه تعالى عباده إلى نعمه وإلى مصادرها ليلمسوا آيات الله تعالى فى وعند تلك المصادر فيلجئون اليه تعالى ويقبلون على طاعته وامتثال أمره .

فيا أخا العقل لو لم يجعل الحق عز وجل لظهور آياته الخارقة للعادة مصادراً مثل هؤلاء الأبرار المقربين وجرت العادة على طبعتها لانقلب جميع عقائد الناس إلى الأسباب خاصة ولما عرفوا أن لهم إلها قادراً موجودا يظهر آياته فى مصادرها وعندها ولانقلب العالم أجمع طبيعياً دهريا ، ولما عرفوا أن لهم إلها منفرداً بالفعل والأفعال فى كل شىء ولا تحصل تلك إلا بمصادر امتازت عن أمثالها وأشباهها بها فخص بالعبد الربانى الذى جاء فيه الحديث الصحيح القدسى المروى عند جميع أصحاب السنن والمسانيد « ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه » الحديث وان اشتهر لفظه ومعناه فى الأحياء بالحياة الدنيا فيكون بالأحرى فى من هم فى الحياة التى هى أحيا من حياة الدنيا التى هى أحق وأقدر وهى الحياة الآخرة كما هو صريح القرآن وبيان السنة المطهرة .

فانت ترى أجهل الأميين وأحمق العامه فى الجهالة يتوجه إلى قبر ذلك العبد الصالح المقرب من ربه الذى شوهد عليه القرب قبل الانتقال إلى الآخرة معتقداً أنه حى يسمعه ويراه ، ولذا تراه يناديه ويطلب منه حاجته ويناجيه بالفطرة الصحيحة السليمة التى فطر الله الناس عليها وإن سأله من لم يفطن إلى صريح الكتاب والسنة بتعمقه فى البعد عن إجماع المسلمين وصريح كلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين قائلا له : هل هو ربنا حتى أنك تدعوه بهذه الألفاظ وتناجيه ؟ فلا يستطيع ذلك المتأكد من حياته وشدة قربه من ربه جل وعلا إلا أن يقول : لا . . هو طاهر مقرب من الله تعالى يطلب لى منه كما وقع من المرحوم الشيخ محمد عبده عند زيارته لمسجد طنطا المعهد العلمى ورأى امرأة تقول للسيد البدوى فى قبره وضريحه . ياسيدى أنت عليك الصبر واحنا علينا الوفى خلى بالك من الراجل والأولاد والبهائم والزراعة وانت عليك الصبر واحنا علينا الوفى . فقال الشيخ محمد عبده للشيخ إبراهيم الظواهرى شيخ المعهد فى ذاك العهد ما هذا يا شيخ ؟ الوثنية فى معهد العلم ؟ فنادى الشيخ إبراهيم الظواهرى أحد خدم المسجد دعا المرأة فحضرت بين أيديهم وقال لها

هل السيد ربنا تطلبي منه هذا الطلب بهذه الألفاظ ؟ فقالت لا ياسيدى إنما هو طاهر مقرب يطلب لى من الله ذلك . فانصرف الشيخ محمد عبده ولم يرد جوابا فهذه عقيدة الأمية البعيدة عن العلم وأهله وها هو العالم الناشيء فى طلب العلم وأهله فانظر يا أخى إلى أى العقيدتين أسلم هل من تعتقد أن آثار نعم الله عز وجل خص بها أقواما دون آخرين ووجه عباده أن يلتمسوها من مصادرها مع عقيدتهم بأن الله هو الفاعل ويعطيها عند مصدرها ويتجلى بها فى من وعلى من خصهم بتلك النعم وجعلهم يؤدونها عند طلبها منهم وبهم يفعل ما يشاء ولولا الموجودات التى يفعل الله بها فى الكائنات لما ظهرت آياته وعلاماته الدالة على أنه الواحد فى كل شيء . إذ لولاهم لما فعل ولا ظهر له أثر من آثار صفاته الدالة على عظيم قدرته ولقد أحسن من قال .

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشربه
بهم تصرفه فى الكائنات فما يشاء شاءوا وما شاءوه يقضبه

أولم ينظر إلى الحديث المروى عند النجاوى وغيره (أن سيدنا موسى عليه السلام أخذ يجرى وراء الحجر وبناديه ثوبى ياحجر وكان عليه ثوبه ثوبى ياحجر ولما وصل إليه أخذ يضربه بعصاه وقد أثر فيه الضرب) .

يقول الفتى الأخرق هذا كلام صوفية فقل له : أليس هو صريح الكتاب والسنة وسنن الحق عز وجل فى المكونات فى هذا الوجود حتى يتحقق منها المتيقن إلى عالم الشهود قال تعالى (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) أم هى عقيدة من يعتقد أن خلق الله لهم عمل خاص قاصر عليهم ولأنفسهم أدوه لا يتعداهم إلى غيرهم وأنهم لا ينفعون ولا يضرون بل ما خلقوا إلا لأنفسهم يعملون عملا لا دخل لحق الخالق فيه منسوب إليهم حسا ومعنى ظاهرا وباطنا قولا وفعلا وإنهم ما خلقوا إلى لهذا وهذا بعيد عن الله تعالى ليس لله تعالى فيه شيء وبنى عليها بأن الذاهب إلى هذا المخلوق للفضل عليه المتاجيه والطالب منه ومناديه هو متوجه لغير الله مقبل على غير الله فهو مشرك كعبدة الأوثان وعنده أن الله تعالى يطلب منه لا غير وخلقه هم غيره فانظر أى صاحب العقيدتين هو المشرك ؟ هل من يعتقد بأن الله تعالى هو الواحد فى ذاته وصفاته وآثار صفاته وأفعاله ولا حركة ولا سكون فى ذرة فى الوجود إلا منه وبه وإليه وبهم يفعل مراده ؟ أم من يعتقد بأن الله خص بأشياء من

الموجودات وعباده خصوا بأشياء ولو كان كما يقول هذا الضال لكان هو الشرك ؟
وعلى هذا (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

إبطال قولهم بأن التوسل يجوز بالأحياء فقط

أنظر ياأخى نور الله بصيرتك لمعرفة الحق وما عليه أهله ، ومعرفة المقابل له
وهو الضلال وما عليه أهله إعلم أن أهل الحق يجيزون التوسل بالأموات قبل الأحياء ،
لأنهم قد ظهرت فيهم نعمة الله تعالى وتحققت . وما التوسل المشروع فى الكتاب والسنة
إلا بنعم الله عز وجل وهم قد تحققت فيهم تلك النعم وظهرت عليهم وفيهم آثارها .
وما الأموات إلا أكبر حياة من حياة أهل الدنيا بصريح القرآن الكريم والسنة
المطهرة على ما بينا لك فى هذا السفر الجليل . وأما أهل ضد الحق فينكرون التوسل
بالأموات لأنهم يعتقدون أن الموت عدم وفناء ، كما يعتقد ذلك كل كافر ضد الإسلام
وبياناته ، على ما بينا ويقولون بجواز التوسل بالأحياء لأن الأحياء فى نظرهم
ينفعون ويقدرون على نفع المتوسل بهم . وها هو يقول الشيخ حامد الفقى فى تعليقه
على فتح المجيد لابن عبد الوهاب الطبعة التى بأيدينا سنة ١٣٦٦ هـ صفحة ٦٧ تبعا
لأسلافه إذ يقول ابن عبد الوهاب دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لسيدنا عكاشه
وقال شارح رسالته فيه جواز طلب الدعاء من الفاضل قال المعلق الشيخ حامد الفقى
فيه أن شفاعة الحى لمن سأله الدعاء إنما كانت بدعائه وبعد الموت فقد تعذر ذلك
بأمور لا تخفى على من له بصيرة ، فمن سأل ميتا أو غائبا فقد سأله مالا يقدر عليه .
فانظر ياأخى هذه العبارة التى يثبت فيها أن للعبد قدرة يمكنه أن يؤدى بها ما يطلب
منه وهو حى وهذه لا ينكرها أى مخلوق عنده أدنى مسكة عقل فى الأمور الدنيوية
التى لابد فيها من حركات وسكنات الأبدان وبعض الأعضاء كتحرك اللسان واليد
والرجل وما شاكل ذلك فهذا مما لا نزاع فيه وأما التوسل لله عز وجل فهو بخلاف
ذلك إذ لا يتوسل إليه جل وعلا إلا بخالص نعمه التى اظهرها لعباده وأرشدهم إليها
بقوله تعالى (واسألوا الله من فضله) أى مما قربه إليكم وجعله بين أيديكم فى كل شىء
بحسبه على ما قدمنا ولا عجب فى قول هذا وسابقيه فإنهم قد أخذوا ذلك عن ابن
تيميه من رسالته فى التوسل إذ يقول هناك بعد نفى التوسل والاستغاثه والنداء

والشفاعة من المخلوق نفيا باتا يقول بعد سطر منها ويجوز التوسل بالمخلوق فيما يقدر، (وإن استنصروكم فعليكم النصر) وقد قدمنا لك هذا من بيان اضطرابه في الأقوال وتضارب كلامه في التعبير وعدم تبصره في العلم لما يقول لجمعه المتضاد في كلامه هذا . وأن عمدتهم في جواز التوسل بالأحياء مسألة سيدنا عمر بن الخطاب بتوسله بسيدنا العباس رضي الله عنهم أجمعين فهم لا يعقلون لذلك معنى بل أخذوا من ظاهر الواقعة جواز التوسل بالأحياء فقط وبنوا عليها كل مؤلفاتهم ومحاضراتهم ودروسهم وهم لا يفهمون لتلك الواقعة حقيقة وهي عين بيان تمام السنة والكتاب واليك التفصيل .

توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس رضى الله عنهم

إعلم يا أخى أن سيدنا عمر ما توسل بسيدنا العباس إلا بأمور يستريح لها كل عقل سليم ولا ينكرها إلا من قصر عقله عن الإحاطة بها ، نقول إن سيدنا عمر ماقصد العباس مع وجود أفاضل الصحابة المشهود لهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا لأنه من الشجرة المباركة ولعله رضى الله تعالى عنه بأنه أفضل منه ولايتوسل عند الله تعالى إلا بالأفضل ، ولأنه يعلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكرمه ويعزه ويحبه فيعلم عمر رضى الله تعالى عنه أن إكرام رسول الله وعزه وحبه ما ذاك إلا لحب الله تعالى فيه والله عز وجل يتوسل إليه بما يحب ، وإن توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس رضى الله عن الجميع هو عين الرد عليهم إذ ضلوا في معنى هذا التوسل ، كما ضلوا في جميع الآى الحكيم والسنة الكريمة لأن فعل سيدنا عمر وتوسله بالعباس رضى الله عنهم هو عين الكتاب والسنة في التوسل وغيره وعبارة قول سيدنا عمر اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك وهذا عم نبيك تبطل أقوالهم من كل الوجوه منها التوجه إلى المخلوق وهم يعدونه شركا ومنها إظهار كرامة الميت في نظرهم وهو حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لا يكرم العباس ولا الجميع إلا به . ومنها التوجه إلى الله تعالى بذوات المخلوقين وهم يعدونها شركا بل يبطلون التوسل بالذوات مطلقا . ومنها إكرام الحى المتوسل به إكراما للميت الذى لولاه ولولا نسبته إليه ما توسلوا به ، ومنها أن سيدنا عمر رضى الله عنه اقتدى بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم إذ توسل به وهو الفاضل الذى لا يعلوه أحد في الفضل بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم له « يا أخى لاتنسنا من

صالح دعائك » فهذا النبي الكريم يتوسل إلى الله تعالى بعمر العظيم فهنا قد اقتدى رضى الله تعالى عنه بما له من الفضل وعمد إلى العباس رضى الله عنه ، ومنها أن عمر رضى الله تعالى عنه ما عمد إلى ذلك إلا ليبين للناس مكانة آل بيت النبي عند الله تعالى وأنهم ينفعون وهم رحمة للناس أجمعين، وأن حبهم ينفع وبغضهم يضر، ومنها أنه رضى الله تعالى عنه عمد إلى ذلك الظاهر لمقتضى التشريعات الإلهية التى بنيت على حكم الظواهر بمقتضى التكاليف الإلهية فعمد إلى ذلك الظاهر ليبين أحكام شرع الله تعالى مع ما اشتملت عليه من باطن الأمور التى لا تنكشف إلا لأهلها وقد بينا لك بعضها التى ضل فيها الخوارج والملحدون ولم يبصروا إلامسألة واحدة وهى التوسل بالحى فقط وإن عمر رضى الله تعالى عنه قد جرى على هذا الظاهر بمقتضى تلك التشريعات الإلهية ولم ينظر إلى ما انطوت عليه من الأسرار الربانية كقطع شجرة البيعة إذ كانوا حديثى عهد بكفر فبنى توجهه بمقتضى ظاهر التشريع وهو لفت العباد ظاهراً وباطناً وحسا ومعنى إلى الله تعالى كما بينا سابقاً فى حديث « إذا سألت فاسأل الله » الحديث كأنه رضى الله تعالى عنه يبين للناس أن التوسل إلى الله تعالى بنعمة سواء كانت آدمية أو حيوانية أعجمية كالضحايا والبدن وما يذبح الصدقات والتوسعة على الفقراء والأصدقاء والمدراة على العرض والنبات والجماد وفى معنى قوله للحجر الأسعد أمام جميع الحجيج « إنك لا تضر ولا تنفع » لما فيه من لفت أنظار الناس من ظاهر الأمور إلى باطنها من قوله « لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك » فأجابه أمير المؤمنين مفنى الأنام وقاطع الشام ليث بنى غالب على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه مبيناً لهذا الحكم الشرعى وما اشتمل عليه من الظاهر والباطن « يا أمير المومنين إنه يضر وينفع وإنى أشهد لسمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول يأتى هذا الحجر يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لكل من استلمه » قال عمر رضى الله تعالى عنه « أعوذ بالله تعالى أن أعيش بأرض لست فيها يا أبا الحسن » كل ذلك قد ضلوا عنه ، ولم ينظروا إلا لما ظهر فقط وهو توسل الحى بالحى ، ولم يبصرهم الحق عز وجل إلى فهم هذا الحى الذى له الكرامة عند الله . هل تنقطع تلك الكرامة بموته ؟ وما الكرامة إلا حب الله تعالى فيه . والحب صفة من صفات الأفعال له تعالى . وهل صفات الله تعالى تنقطع عمن تعلقت به أو تعطل ؟ هـذا هو استدلالهم على عدم التوسل بغير ماشرعه الله من الآدميين خصوصاً الأموات ولم يحسوا

بقولهم هذا مع اعتقادهم بأن الداعى أو المنادى أو المستغيث بغير الله مشرك وكافر » ولست أدرى كيف يجيزون ذلك كله أى من الاستغاثة والتوسل والنداء بالأحياء ويشركون ويكفرون القائل به فى الأموات ، على أن الأموات أحيا من أحياء الدنيا بصريح القرآن وبيان السنة على ما بيناه فى هذا الكتاب ولا يضيرنا أن عقيدتهم كعقيدة الكفار بأن الموت فى نظرهم عدم وفناء لأنهم لو اعتقدوا كما يعتقد كل مسلم ناج ولو من العامة المؤمنين لما أنكروا على ما عليه إجماع المسلمين من التوسل بالصالحين أحياء وأمواتا لأن العلماء منهم أخذوا جواز ذلك من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والعامة منهم قلدوهم فى ذلك إما باتباع أثر السلف الصالح جيلا بعد جيل أو بفطرة الله تعالى التى فطر عليها عبادة الموفقين .

ما جاء فى بيان التوسل بالاموات من حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم

لا يخفى على كل ذى عقل متعقل أن الله عز وجل جعل نبيه صلى الله عليه وسلم أصلا لكل مشرع منه تعالى لعباده ومصدرا لكل بيان لعباده وأمرهم بالتأسى به فى جميع أقواله وأفعاله وتقريراته ، وهذا هو الدين الإسلامى فلما بين لعباد الله تعالى التوسل إلى الله تعالى بجميع موجوداته وهى نعمه التى انفرد بها عز شأنه من الإبداع والإيجاد وبين أن التوسل بكل شىء من هذه النعم هى عين ما يسأل بها تعالى ويتقرب إليه بالاعتراف بأثر وجودها حتى الزمان والمكان والدين والدنيا والآخرة على ما نبين لك ، ولما كان حال المرسل إليهم لا يخرج عن حالتين كما جاء فى القرآن الكريم من بيان الأحكام الشرعية والعقائد الدينية فقد بين لهم أن التوسل أيضا على حالتين إذ منهم من يتمسك بالأمور الظاهرة ولا يعول إلا عليها ، فأبان لهما التوسل بالأحياء وذلك لما يعتقد ويعول عليه ، ولا مانع له فى ذلك لأن الأوضاع الإلهية قد جاءت به وعليه التكاليف الشرعية . ومنهم من يتمسك بهذا الظاهر مع حسن عقيدته لما اشتمل عليه من السر الباطن ولذا أرشد بالتوسل بالأموات لمن يتمسك بذلك ولا مانع له فى ذلك لما انطوت عليه الأسرار الإلهية فى المكونات الربانية وإليك نبذة من ذلك فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن عبد الله بن أبى أوفى أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس (ثم قام في الناس فقال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » قال شراحه رضي الله عنهم والمراد التوسل إليه تعالى في النصرة بنعمه فأشار بالأولى إلى نعمة الدين بإنزال الكتاب وبالثانية إلى نعمة الدنيا وهي مجرى السحاب وبالثالثة وهي هازم الأحزاب إلى أنه حصل حفظ النعمتين فكأنه قال اللهم كما أنعمت بعظيم نعمتك الأخروية والدنيوية وحفظهما فأبقهما وهو انصرنا عليهم لعلك فهمت من تشريعه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم جواز التوسل بجميع ما أنعم الله به على عباده لأنهم لا يخفى عليك قصر المارقين التوسل على العبادة لا غير من صلاة أو صوم أو صدقة وبيان إضلالهم في فهم الكتاب والسنة لأنك إذا تأملت في جميع أنواع ما يتوسل به إليه تعالى وجدت الأصل فيه النعمة حتى التوفيق إلى القيام بها وشكره تعالى عليها . ولا تنس تشريعه الشريف في تقبيل الحجر وقد رددنا عليهم في أثر سيدنا عمر الذي يطنطنون بأوله ويكتمون عن المضللين آخره وهو أنه يضر وينفع وقد تقدم ذلك قريبا . ولا تنس تحيين أوقات الأزمنة المباركة من الدعاء من الأيام والليالي التي يتوسل بها وفيها إلى الله عز وجل كحديث يوم الجمعة وليلة القدر هذا في الأزمنة والأمكنة يكفينا قول الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) وإرشاد عباده تعالى للتبرك به في قوله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) . ولا تنس الحديث المروى عند الصحيحين عن عمر رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق يقول أتاني الليلة آت من ربي فقال صل بهذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة) لعلك قد فهمت أن الله تعالى يتوسل إليه بنعمه وتعميم بركته في بعض مخلوقاته التي أخبر تعالى عنها بأنها نعمة وخصها بالبركة. قال ابن تيمية في الفتاوى بعد أن سئل من رجلين يتكلمان في مسألة التكفير فأجاب إنما أصل التكفير للمسلمين من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين لما يعتقدون أنهم أخطأوا فيه من الدين وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض إلى أن قال فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق فأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان وقال في الفتاوى أيضا بعد أن سئل عمن قال يجوز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يستغاث الله فيه على

فهي الوسيلة من الوسائل لله في طلب الغوث وكذلك يستغاث بالأنبياء والصالحين في كل ما يستغاث الله فيه فأجاب بالجواز واستدل بحديث الأعرابي الذي أصيب في بصره المروي عند أصحاب السنن والمسانيد وغيرهم. وقال في الفتاوى أيضا إن التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته ومغيبه وحضرته ولم يقل أحد أن من أنكر التوسل فقد كفر ولا وجه لتكفيره إذ التكفير مسألة لم يقل بها أحد إلا لمن أنكر معلوما من الدين بالضرورة، متلونا وقال في الفتاوى أيضا أن النبي الشافع المشفع في الخلائق يوم القيامة وأن الناس يستغيثون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه. وقال في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم، قال صارت النذور المحرمة في الشرع مدركا للسدنة والمجاورين إلى أن قال. قد يثبت وقع قضاء الحوائج من أهل القبور كالأنبياء والأولياء من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه وقع كثيراً وأنه رحمة للسائلين لئلا يضطرب إيمانهم وقال ابن قدامة كتابه في الصارم المنكي ناقلا عن شيخه ابن تيمية أن سؤال الحاجة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره واقع وأن المجتهد المخطىء والمقلد والمتأول يثابون على حسن قصدهم فلا يكفرون ولا يشركون ولا يأثمون ـ قال في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ما حكى لنا أن بعض المجاورين أتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاشتهى عليه نوعا من الأطعمة إلخ وآخرون قضيت لهم حوائج إلخ فاثبت فيه الحكايات أدلة على ذلك وأثبت فيه أيضا أن بني إسرائيل قحطوا فأتوا قبر سيدنا موسى عليه السلام إلى آخر الخبر وقال في كتابه هذا أيضا ما يروى أن قوما سمعوا السلام من قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبور غيره من الصالحين وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الآذان من القبر الشريف ليالي الحرة ونحو ذلك فهذا كله حق والأمر أجل من ذلك وأعظم ـ وقال في كتابه الفرقان ونجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليا لله تعالى حرث مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير إلى من يشير فيموت وأن يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها وأن يمشي على ظهر الماء أحيانا أو يملأ الابريق من الهواء أو ينفق الاوقات من الغيب أو يختفي أحيانا عن أعين الناظرين أو يخبرهم بما سرق منهم أو يخبرهم بحال غائب أو مريض أو نحو ذلك من الأمور وليس شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي بل اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يعترف به حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه

وكرامات أولياء الله أعظم من هذه الأمور ، ولا يخفى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توسل إلى الله تعالى بمن سبقه من إخوانه الأنبياء بقوله عند دفن السيدة فاطمه بنت أسد والدة سيدنا علي « اللهم بحق وحق النبيين من قبلي اغفر لأمي فاطمه بنت أسد » الحديث :

هذا ما أبانه الله سبحانه وتعالى على لسان من أسند إلى حضرته البيان والتبيين اللهم صل وسلم وبارك عليه ومن يقترف بعد هذا من الأمور الظنية والشهوانية والادعاءات الكاذبة يكون مشاققا للرسول وقد أبان سبحانه وتعالى أن مشاقة الرسول مخرجة عن الدين الحق المبين لجميع عباد الله هذا ، ولنذكر لك ماحدثت به ضجة بين المسلمين البرآء من فتوة مفتي الديار المصرية الذي هو الان شيخا للأزهر وكنت ظننت أنها أخذت ولكن اتضح لي أنها مكتوبة في بعض كتب الطلاب وقد أخرجها وأفردها بالطبع خاصة ممن هو من أنصار السنة والسبكية الذين يعادون زوار عباد الله الصالحين ، وأن في ذالك العهد لما طبعت في مجلة الإذاعة واطلعت عليها وكتبت عليها ردا واشترطوا على أن لا أزيد عن كلامه في هذه الفتوى الخاطئة بل جعلتها أقل من كلامه بكلمتين مستوفاة وذهبت بها إلى دار الإذاعة فقابلني السيد أفندي النضبان رئيس الأمور الدينية في الإذاعة ، فقال إن الشيخ المفتي عدل عنها وسنخرج ضدها في الأسبوع الآتي فصدقته وظننت أن الكلام كلام رجل رئيس للشئون الدينية في الإذاعة فإذا هو بخلاف مايقول وظننت أنها فتوى أخذت ولم يظهر لها فائدة ولكن أراني أحد الناس أنها مطبوعة في ورقة توزع مجانا على الناس وغرض الطابع لها تشقيق وتفريق للمسلمين في عقائدهم وزادني لفت النظر إليها أني رأيتها في كتاب مع طالب من طلاب العلم بالأزهر وأنها من مفتي الديار المصرية التي لم يخالف شيخه شلتوتا ورضيه بها والآن وهو شيخ للأزهر ، وهو الذي كان يزور السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها ويقول لها لا تؤاخذيني لأن والدي كان يزورك كل يوم أحد وأنا مقصر لكثرة الشواغل فلا تؤاخذيني ، نعم إن والده كان من أفاضل العلماء وكان يزور آل البيت وعباد الله الصالحين دواما واستمرارا ، وإليك مارأيت بعيني وسمعته بأذني من أفاضل العلماء وأكابرهم في زمن أبيه ، إذ كان من قانون الأزهر أن من ينجح في شهادة العالمية بالأزهر فإن جماعة البلد يكتبون طلبا لشيخ الأزهر يصرح لهم بأن الشيخ فلان الناجح بالأزهر نطلب من مشيخة الأزهر أن تعينه مدرسا ببلدنا ولأهل بلدنا فكانت

مشيخة الأزهر تصرف له مرتبه وتعينه ببلده مدرسا لأهل بلده فصادف فى سنة ألف وتسعمائة وعشر أن الشيخ محمد حسنين مخلوف والد الشيخ حسنين مخلوف الموجود الآن الذى كان مفتيا للديار المصرية قبل حسن مأمون آنف الذكر فكتب الشيخ محمد حسنين وكيل الأزهر لجميع هؤلاء العلماء إما أن يحضروا ويدرسوا فى الأزهر وإلا تقطع مرتباتهم فجاء من ضمنهم الشيخ على إبراهيم الاشمونينى فجاء ونزل عندى بمصر وكانت لنا عادة نقرأ الصلوات ليلة الجمعة فى مسجد سيدى أحمد الدرديرى فبعد الصلوات والذكر اجتمع هذا الفاضل على من هو أفضل منه الشيخ محمد عنتر المطيعى وأتفقا على زيارة السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وكانت الساعة الحادية عشر ليلا فقاما ماشين إلى السيدة نفيسة وأنا وراءهما سمعت الشيخ على إبراهيم الأشمونينى يقول الشيخ محمد عنتر أو حسنين مدة وكالته لشيخ الأزهر ستة شهور ولم يبق له منهم غير شهرين أتعبنا لأجل أن ينفذ أغراضه وهو لم يبق له إلا شهر بعد هذا ، هذا من أسرار الله عز وجل لهذا الفاضل ووافقه على ذلك الشيخ محمد عنتر قال لم يتم الشهر الثانى وزرنا السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ورجعنا وكان الأمر كما قال رضى الله تعالى عنهم أجمعين هذه هى أسرار الله تعالى فى عباده الصالحين ، قل لهذا المفتى العالم الذى كان قاضيا وكتبت له فى آخر الرد عليه أنه خالف الله ورسوله فى حلقه للحيته وهاهو ردى على فتواه الباطلة .

حول زيارة الأضرحة والرد عليه

قرأت فى مجلة الإذاعة بتاريخ ١١ من صفر سنة ١٣٧٧ هـ ، ٧ من سبتمبر سنة ٩٥٧ م ما أجابه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون مفتى الجمهورية . بشأن زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء .

ونحن نقول للسيد المفتى : لقد صدقت فى « أن أصل الدعوة الإسلامية تقوم على التوحيد والإسلام يحارب جاهدا كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله » ولكن الصدق قد جانبك كل المجانبة فى قولك : ولاشك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق وهى رواسب جاهلية . فلو نظرنا إلى ماقاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم عبادتهم للأصنام . قالوا له : « مانعبدهم إلا ليقربونا إلى

الله زلفى » فهى نفس الحجة التى يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء . لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه نعم جانبه الصدق والحق فى ذلك كل المجانبة . فقد قاس زائرى الأولياء بعباد الاصنام وقاس أولياء الله وأحباءه بالأصنام وما أظن إنسانا مهما كان عقله إلا يقول : إن هذا قياس مع الفارق جدا جدا جدا. فكيف يجعل أولياء الله وأحباءه كالأصنام ونجعل زائريهم الذين لايرون فيهم إلا عبادا مقربين من ربهم كعباد الأصنام؟ لا أيها السيد : فأولياء الله هم عباده الذين قال فيهم «ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه إلى قوله عز وجل ولئن سألنى لأعطينه» الحديث فقد منح الله عباده هؤلاء تلك المنح التى منها استجابة دعائهم وتحقيق مطالبهم لأنفسهم أو لغيرهم . وفى الحديث الشريف «رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره فى قسمه» فأين الأصنام من هؤلاء ؟ والزائر للولى يزوره لأنه من هؤلاء الأحباء لله ، وهو لا يغفل عن أن الله هو وحده الفاعل الذى لا استقلال لمخلوق بفعل دون فعله فأين عباد الأصنام من هذا الذى يتوسل إلى الله بنعم الله على عباده؟ والتوسل بنعم الله إلى الله جاء به القرآن الكريم وجاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سبيل إلى إنكار ذلك . على أن التوسل قد ثبت فى الدين الإسلامى . حتى بالبهائم ثم لماذا أمر الله ملائكته بالسجود لآدم ؟ هل كان ذلك السجود لشخص آدم ؟ كلا . إنه لم يكن إلا لما منحه الله من نعمة الروح قال تعالى « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » ولعلنا نجد فى قوله تعالى : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب » لعلنا نجد فى هذا برهانا على التوسل ، وإلا فلماذا لم يفعل الله ما أراد بدون معاونة الملائكة ؟ أو لعلنا نجد فى قوله تعالى وكانو من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » فلم يعب الحق عليهم التوسل إنما عابهم فى عدم الإيمان به وما أظن السيد المفتى يقول : إن عطاء الله الكريم لعبده فى الدنيا قد سلبه إياه فى الآخرة فلا يستجيب له فى الأخرة ! ! ولا أظن ذلك بعد بعد قوله تعالى « وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » نعم لا أظنه يقول ذلك . ويجهل أن حياة الإنسان الأخرى أقوى من حياته الأولى . وهو فى الأخرة أقرب إلى ربه منه فى الأولى وهو يعلم بأحوال أهل الدنيا ويعرف زائره ، ولا بد أن يجيبه ويكرمه بالدعاء له رجاء أن يحقق الله مطلوبه والله تعالى أخبر أنه يستجيب له . وليس من

الكرم أن يسلبه ما أولاه من النعم . وكل ذلك بلا شك لا يكون إلا وفق ما عنده تبارك وتعالى ولا استقلال لمخلوق حيا كان أو ميتا بفعل دون فعل الله تعالى .

أما مسألة التقبيل فهى لم تخرج عن كونها علامة الحب . وصورة معناة التى جعلها علامة عليه خالق المعانى والصور عز وجل . وما أظن قول الشاعر العربى كان رداً على هؤلاء . وهو :

أمر على الديار ديار ليلى فألثم ذا الجدار وذا الجدارا
وما أحب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

وحب الأولياء نافع . لأن المرء يحشر مع من أحب . وكون التقبيل لم يشرع إلا للحجر الأسود فهذا فى العبادات . وهل المفتى الذى هو شيخ الأزهر الآن كان الأليق به أنه إذا اسئل فيما لا يعلم يقل الله أعلم يقتدى بالأول الأولى كالصديق رضى الله تعالى عنه وكعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرمه الله تعالى وجهه ، ولكن مفتى الديار كيف يسأل عن شىء لا يقل فيه الله أعلم وهو أعلم من هؤلاء حتى فى كلامه الفارغ الخارج عن العلم والعلماء وهو لا يعلم معنى الصيغة الواردة فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد كمال الله وكما يليق بكماله) ولا معنى (عدد انعام الله وإفضاله) بل لا يعلم الفرق بين استنجاء الرجل والمرأة هذا هو المفتى الذى يحكم بالطواف حول الميت حرام ولو كان عالما لالتفت إلى القياس فى الدين وإلا فلا معنى للقياس فى الذى أبانه رب العالمين فى كتابه وسيد المرسلين فى سننه أو لم يطلع على الترمذى فى سننه (أن عبد الله بن عمر وقف تجاه الكعبة وقال أشهد أن حرمتك عند الله عظيمة وأن حرمة العبد الصالح عند الله أعظم منك) فالعبد الصالح عند الله أعظم عند الله من الكعبة لا فى العبادة ولا فى العادة ، فمثل هؤلاء لا يعلمون على الله شيئاً فى العبادات ولا فى العادات وإلا حرم علينا نقبل الأولاد والأزواج ! !

وقول السيد أعزه الله : وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يقبله (والله لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك » فهو مقتضب . لأن بقية هذا الأثر مروى عند أحد أصحاب الكتب الستة وهى « لما قال عمر ذلك ، قال على رضى الله عنه وكرم الله وجهه : لا ياأمير المؤمنين ، إنه يضر وينفع ، إنى لأشهد إنى لسمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول « يأتى هذا الحجر يوم القيامة وله لسان زلق يشهد لكل من استلمه » فقال عمر رضى الله عنه أعوذ بالله أن أعيش بأرض لست بها ياأبا الحسن لولا على لهلكت » ثم قال السيد المفتى ، وتأتى بعد ذلك مسألة الشفاعة . وهذه فى الآخرة غيرها فى الدنيا . فالشفاعة إرتبطت فى أذهاننا بما يحدث فى هذه الحياة . من توسط إنسان لآخر عند رئيسه ، يطلب إليه أن يغفر له خطأه ، وإن كان هذ المخطئ لايستحق العفو والمغفرة ، غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة فى الآخرة فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرضى الله لهم أن يشفعوا ، لأشخاص يستحقون الشفاعه وهؤلاء أيضا يحددهم الله إذن فكل هذا متعلق بإذن الله وحكمه فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أى كان ، فإن هذا عبث بأننا لانستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ومن يشفع لهم، ولم أفهم من كلامه . أهو يسلم بأن مايحدث فى هذه الحياة يسمى شفاعة أم لا ؟ فإن كان لايسلم لفتنا نظره إلى قوله تعالى « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها » ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « إشفعوا تؤجروا » الحديث والشفاعة الحسنة هى ماوافقت الشرع ، والسيئه ماخالفته . ثم نقول له : ليس فى الدنيا من لايستحق العفو والمغفرة متى لم يكن مشركا : ثم نقول له : إن الحديث القدسى قد أخبر بأن العبد الذى أحبه الله تعالى قد منحه قبول طلبه فهو مرجو الشفاعة ، فطلب الشفاعة منه ليس عبثا ثم نحن نعلم أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . وبذلك نعلم من يشفع لهم . وقول فضيلة المفتى لا نعلم من يشفع كيف ذلك ؟ وقد أبان الله تعالى على لسان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة فى الدنيا والآخرة فى الحديث المروى عند البخارى وغيره من أصحاب السنن والمسانيد « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى من الأنبياء نصرت بالرعب من مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجدا وتربتها طهوراً وكان النبى يرسل إلى قومه خاصة وأرسلت للناس كافة وأعطيت الشفاعة العظمى » فالزائر المسلم ليس طلبه الشفاعة من حي أحيا من حي الدنيا عبثا !! وقول فضيلة المفتى الطواف حول الأضرحة حرام ؟ ؟ كيف قاس فضيلته على حكم عبادة الأصنام حكم زائرى الصالحين . ولم يقس حكم الطواف حول الضريح . على حكم الطواف حول الكعبة . مع أنهما مشتركان فى أصل علة الحكم ؟ !! وأما النذر . وقوله فيه أيضا حرام لأنه لغير الله فنقول له : إن من يعتقد أن لهم أفعالا مستقلة غير الله وهذه

عقيدة المشركين بلا شك فهو حرام . وأما من يعتقد من المؤمنين أن النذر فى مقابلة نعمة وهى الكرامة أو الحب وصاحب النعمة هو الله تعالى فيكون النذر له وإن كان باسم من جعله الله تعالى مظهراً لتلك النعمة وتسند إليه من الفاعل عزوجل فلا شىء فيه ثم نقول للسيد المفتى إنه لم يخف عليه الحديث القدسى « عبدى لم تشكرنى إذا لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه » الحديث وأخيرا نسأل السيد المفتى الذى هو أمام من أئمة المسلمين الذين يقتدى بهم فى أحوالهم ؟ هل يليق بمن هذه صفته أن يحلق لحيته « ذقنه » وما حكم الله فى هذا ؟

خاتمة الجزء

لايخفى على كل عاقل أن الكتاب العزيز والسنة المطهرة هما الأصلان المتأصلان والركنان القويان اللذان عليهما مدار أصول وقواعد الدين الإسلامى الذى كفل الحق عز وجل حفظه وتأييده وخلوده مابقيت الدنيا لهؤلاء الأمثال الأماجد والخيرة من الأمة الأفاضل الأوائل قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالحق سبحانه وتعالى هو الموفق لكل هؤلاء حتى يكون مصداقا لقوله جل وعلا (فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وما ذاك إلا لكل مايستقبل فى الزمان ومر الدهور والأيام والأعوام فيجدونه غضا طريا عذبا سهلا سريا كأنما أنزل فى هذه اللحظة والساعة والثانية متوجا مرفلا بالعظمة والرهبة والروعة القلبية يخرج من فم تاليه والمحتج به كأنما السهم المنقض من الرمية ولا يسع مقابله إلا الخر على فيه فى البكرة قبل العشية ولايسع مخالفه إلا الخضوع لديه مرغما مذعنا بالرجوع إليه فمثل هؤلاء الجهابذة ومن وفقهم تبارك وتعالى لشرحهما وبيان الأغراض منهما كالمفسرين والمحدثين والحفاظ والفقهاء والموحدين والمتصوفين ومن نسج على منوالهم ودأب على أغراضهم النبيلة الشريفة فى كل مايلزم لبنى البشر دينا ودنيا وأخرى حتى يتحقق الرد إليهما ويكونوا هم المعنيين فى قوله تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) الآية .

ولذا كان توفيقه سبحانه لاتحصى ثناء عليه لتأسيس هذا الدين الحنيف فى بادىء البدء وأول الأمر لخيرة عباده لهذين الأصلين الشريفين ليبنى عليهما كل من وفقه تبارك وتعالى للعمل فى ناحية من نواحيه أو ضرب من أضربه أو حزب من أحزابه أومستلزم من مستلزماته من قضاياه الكلية ومقدماته الجزئية وجميع نواحيه الفرعية ليكون حالا أو

عمل أى عامل من البيانات المتنوعة من المسائل الفرعية من أصل تلك الأحكام القدسية .

إذ بالسند الصحيح والمتن الخالى من التعديل والتجريح الذى جعله العزيز الحكيم أصلا متينا وعمدة يقينا لهذين الأصلين الشريفين اللذين لايشك أو يشتبه فى معنيهما المجمع عليهما من خيرة الأمة إلا كل من فى قلبه زيغ أو مرض حتى يخرج به عن هذا الإجماع ويقول بالرأى المخالف للاجماع على وفق ما يوحيه إليه شيطانه ليعرف بالمخالفة ويكون من مصداق قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

اللهم إنا نبرأ إليك من المشاقة والتفرقة بين المسلمين ونسألك التوفيق للعمل لمرضاتك إكراما لمن أرسلته رحمة للعالمين وبالمؤمنين رؤوف رحيم اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم إنا نضرع إليك بأن تحول حال العلماء إلى العمل بما فى كتابك العزيز وسنة نبيك الكريم حتى يكونوا من العلماء العاملين وأن تنصر ولاة أمورنا بتنوير قلوبهم حتى يرجعوا إلى تنفيذ الحكم الشرعى وإلزام هؤلاء العلماء العاملين فيرشدونهم إلى ماجاء فى الكتاب والسنة من الحكم المبين ويكونون كمن كانوا فى زمن ابن تيمية الذى كان يودع السجون طول حياته حتى مات سجينا لأنه كان كلما هاجر إلى بلد يدعو فيها بالمخالف لإجماع المسلمين فيقوم العلماء ضده وينصب لهم مجالس علم فكان يقول بالمخالف فلا يستحق إلا السجن ويمكث به زمنا طويلا حتى يذعن ويبين أنه قد رجع عما كان عليه فيفرج عنه أنه لايقيم فى هذه البلدة فيخرج من السجن مرحلا إلى بلدة أخرى وكانت له تلاميذ يحذون حذوه وينتهجون نهجه حتى أسس الفساد للضالين الذين لم يأتوا بعد وإن أساسه الفساد من كتب الخوارج الذين هربوا فى البلاد الإثنى عشر رجلا الذين كان قتلهم ومزقهم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه فكان يطلع على هذه المفاسد ويؤلف الرسائل الخمسة عشر رسالة الموجودة الآن فيظن كل جاهل ممن فيهم هذه النزعات بأنه عالم وأتى بالغرائب للضالين وهى نزعات شيطانية نسأل الله تعالى أن يحول حالنا وحال المسلمين إلى أحسن حال ترضاه لنا ولهم يارب العالمين فنستحق بذلك غيرتك لهم والدفاع عنهم وينطبق عليهم حق إسم المؤمنين المسلمين وأن توفقنا جميعا لما تحب وترضى برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى اللهم على سيدنا محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن عمل بدينك وسنة نبيك إلى يوم الدين آمين

فهرست الجزء السادس من فيض الوهاب

تم بحمد الله